الآثار المصرية في وادي النيل

(من طيبة إلى أسوان)

تأليف : جيمس بيكي

ترجمة
نور الدين الزراري

راجعه
الدكتور محمد جمال الدين مختار
كبير الأثريين بمركز تسجيل الآثار

أرمنت - جبلين - أسنا - الكاب - الكوم الأحمر - هيراكونبوليس
مقابر النبلاء - معبد أدفو - معبد سيتى الأول - جبل السلسلة
معبد كوم اومبو - أسوان - ايليفنتين - السور الكبير
مخطوطات أسوان الصخرية
سحيل - مقابر نبلاء ايليفنتين



الجزء الرابع

الآثار المصرية في وادي النيل

الجزء الرابع

(من طيبة الى أســوان)

أرمنت – جبلين – اسنا – الكاب – الكوم الأحمر – هيراكونبوليس
مقــابر النبلاء – معبد أدفو – معبد سيتى الأول – جبل السلسلة
معبد كوم أومبو – أسوان – ايليفنتين – السور الكبير
مخطوطات اسوان الصخرية – سحيل – مقابر نبلاء ايليفنتين

تأليف : جيمس بيكي

ترجمة

نور الدين الزراري

راجعه

الدكتور محمد جمال الدين مختار

كبير الأثريين بمركز تسجيل الآثار

١٩٩٨

الآثار المصرية

في وادي النيل

الجـــزء الرابع

الكتاب الخامس من طيبة الى أسوان

مقدمة

يسعدنا ان نقدم للقراء العرب الكرام الجزء الرابع من ترجمة كتاب جيمس بيكى وهو الآثار المصرية في وادى النيل ، فقد سبقه قبل ذلك الجزء الأول والثانى والثالث واليوم نقدم الجزء الرابع من هذا الكتاب العظيم الذى يشتمل على اهم الآثار وتاريخها ووصفها فى مناطق (ارمنت ، جبلين ، اسنا ، الكاب ، الكوم الأحمر ، هيراكونبوليس ، مقابر النبلاء ، معبد ادفو ، معبد سيتى الأول ، جبل السلسلة ، معبد كوم امبو ، أسوان ، ايليفنتين - جزيرة سحيل) وهذه الآثار الضاربة في القدم والتى لازالت قائمة تكاد تكون فى الحالة التى اقامها عليها من انشاها منذ آلاف السنين وفيها من روعة الفن وجماله مايدل على سلامة الذوق وعراقة الحضارة التى وصلوا اليها .

على ان ما كتب عن مصر يزيد بكثير عما كتب عن غيرها من البلاد ، فمما لاشك فيه انه لا يوجد في بلد آخر من البلاد من الآثار ما يضارع آثارها في قدمها وروعتها وكثرتها وجمال فنها ، ولعلها البلد الوحيد في العالم الذى يستطيع فيه المرء ان يتتبع خطوة خطوة تاريخ شعب خلال خمسين قرنا من الزمان على ضوء آثار اغلبها لازال قائما حتى اليوم وعن طريق كتابات ونقوش على الأحجار والمعابد والمسلات وأوراق البردى ونحوهما مما ابقت عليه أرض مصر الأمينة.

والجزء الرابع الذى بين ايدينا الآن هو أحد الكتب الهامة التى ترجمت ليطلع عليها السائحون ومحبو ودارسو الآثار وليعلموا كل التفاصيل عن أهم الآثار الموجودة في مصر والنوبة حتى أسوان ، وقد قدم المؤلف جيمس بيكى الذى درس اللاهوت في جامعة ادنبرة ثم هوى علم الآثار ودرسة دراسة عميقة عن حب وشغف والتحق بجامعة اكسفورد كمحاضر لعلم الآثار ، وكتب كتبا كثيرة عن الآثار والفلك ، ثم اصبح عضوا في جمعية الآثار الملكية ولعل اهم ماكتبة بيكى هو كتاب الآثار المصرية فى وادى النيل الذى سرد

فى مصر من كشوف اثرية خلال قرن من الزمان وهو الكتاب الذى اعتمد عليه الكثير من الكتاب الذين عالجوا مثل هذا الموضوع ، وقد امضي مؤلفه السنوات الطوال فى كتابته وجمع الصور والرسوم الخاصة به حتى توفي قبل ان ينشره.

وقد قامت زوجته السيدة « كونستانس . ن بيكى » بعد وفاته بمساعدة المستر « انجلباك » الأمين السابق للمتحف المصرى بالقاهرة باعداده للطبع بعد اضافة الفهارس والملاحق له .

ولا يزال هذا الكتاب يعتبر من المراجع الهامة لعلم الآثار ومتمشيا مع الآراء الحديثة التى وصل اليها علم الآثار خصوصا بعد ظهور الكشوف الكثيرة التى وجدت آراء كثيرة متعددة ، غير اننا سوف نشير الى هذه الكشوف وتلك الآراء في هوامش الكتاب حتى لايفوت القارىء شيء مما جد منذ تأليف هذا الكتاب ، وخصوصا ان كتاب (بيكى) انسب لقراء العربية بمعلوماته المركزة الواضحة ، ومادته الغزيرة واسلوبه المبسط الهادى ، وهو يجارى في هذا الأثرى الانجليزى « ارثر . ب ويجل » الذى قضي السنوات الطوال يعمل فى مصلحة الآثار كبيرا للمفتشين ، ثم عكف على كتابة الكتب الأثرية التى اهمها كتابه المعروف « دليل آثار مصر العليا » الذى اعتمد عليه مؤلف كتابنا هذا أعتمادا كبيرا فى وصفه للآثار المصرية نظرا لكثرتها وأهميتها .

كما عنى المؤلف بأن يورد نبذة تاريخية واضحة المعالم عن كل منطقة قبل أن يسترسل فى كتابة وصف لآثارها حتى تكون لدى القارىء صورة واضحة عن كل منطقة وتاريخها وآثارها لكى يستطيع ان يدرك هذا التاريخ ويشاهد تلك الآثار .

المترجم والمراجع

تمهيد

من المستحيل ان يكتب مثل هذا الكتاب دون الاشارة الى المؤلفات التى لاحصر لها الخاصة بعلم الآثار المصرية ودون الانتفاع بهذه المؤلفات . وسيجد القارىء فى الصفحات التالية اشارات الى الكثير من المراجع وبخاصة « دليل آثار مصر العليا » لمؤلفه « أ . ى . ب ويجل » .

وقد جرت العادة أن يعد المؤلف بعد الإنتهاء من وضع كتابه قائمة بأسماء من سبقوه من المؤلفين الذين يدين لهم بالفضل ، ولكن مما يدعو الى الأسف انه لم يمض شهر على كتابة هذا المؤلف حتى توفي زوجى بعد ان امضي عدة سنوات في عمل متواصل لاخراجه ، ولذا ارى من واجبى ان اقدم الشكر باسمه للمعاونة القيمة التىساهم بها فى اعداد هذا الكتاب كل من الأستاذة«مرجريتأ. مرى»، ومستر « الفريد لوكاس » ، والدكتور « ج . أ . ريزنر » والدكتور « روبرت . ل . موند » والسيد المبجل « ج . ى . ماك جريجور » .

وعلى الرغم من ان المؤلف كان قد اتم متن الكتاب ، غير انه بقى الشيء الكثير ليصبح معدا للنشر ، وقد قام المستر « ريجنالد انجلباك » امين المتحف المصرى بمباشرة طبعه واعداد فهرسه وكتابة الملحق رقم ١ ، لذا فاننى انتهز هذه الفرصة لأشكره على معاونته الصادقة القيمة .

كونستانس . ن . بيكى

الفصل الثامن والعشرون

(أرمنت (هيرمونتيس) : وجبلين واسـنا)

نترك طيبة الآن ونشق طريقنا في النهر ، وحيث يصادفنا الموقع القديم الأول وهو ارمانت الحديثة أو ارمنت . وهى المدينة المصرية القديمة لمدينة اون الجنوبية التى سميت بهذا الاسم لتمييزها عن هيليوبوليس التى كانت تمثل اون الشمالية .

لقد كانت ارمنت مقرا لأله الحرب المحلى منتو أو مونت ، ولذلك اطلق على مدينته اسم بيرمونت أو بيت منت حيث جاءت الترجمة اليونانية للأسم وهى هيرمونتيس التى اصبحت تعرف الآن باسم طيبة .

تقع ارمنت على بعد ٩٫٥ ميل فقط من الأقصر . ولكن البواخر السياحية لاتتيح وقتا كافيا لزيارتها . وان السفر اليها بالقطار من الأقصر فيه مشقة اى مشقة . وتقع المدينة على الضفة الغربية لنهر النيل فيما تقع محطتها على الضفة الشرقية .

ومن الممكن السفر اليها من الأقصر بقطار الصباح والوصول الى محطة ارمنت بعد حوالى اربعين دقيقة . ومن هناك تحملنا الركائب لمسافة اقل من ميل واحد الى النهر ، حيث تحملنا عبارة الى الضفة الغربية .

ثم نستخدم الركائب مرة أخرى لمدة نصف ساعة لتحملنا الى اطلال هذه المدينة . على أن من المستصوب استحضار ركائب من الأقصر لاستخدامها في هذه الرحلة ، وإن كان هذا ينطوي على متاعب كثيرة التي يندر أن يشعر بها السائح ، ولكن كل هذه المتاعب تهون في سبيل مشاهدة مما تبقى من الخرائب والأطلال القديمة التي تستحق كل هذه المتاعب .

ولكن السائح الذى يسافر بباخرة خاصة يكون مطلق اليد . ومع ان الأطلال لاتكاد تعوضه عن مشقة الرحلة الا ان مناظر الريف المحيط بها تجعلة يتمتع بجمال غير عادى . ويقول مستر ويجول . ان منظر الريف هنا مختلف كل الاختلاف عن الريف المرتبط بمصر فهناك على طول ضفة النهر صف رائع من أشجار اللبيبك السامقات الجميلة المنظر . والتي تتخلها خرائب رصيف أثرى قديم يعود تاريخة الى العهد الرومانى حيث بنيت فيها بلوكات مختلفة من هيكل بطليموس . ويتم الوصول الى الأطلال الرئيسية بواسطة طريق رائع يسير على طول حافة النهر عند بدايته ثم لايلبث أن ينحرف بضعة ياردات (أذرع) الى الداخل .

وتظلل هذا الطريق اشجار كثيفة تخترقها خيوط من اشعة الشمس التى تميل الى اللون الأصفر . وهناك على الجانب الغربى حقول شاسعة من قصب السكر تحيط بها شجيرات تشبة الشجيرات الأوروبية ، ويلمح المرء هنا وهناك جدولا منساب المياه .

وحينا يكون قصب السكر مائل الى الخضرة في فصل الخريف . تشكل الحقول منظرا بالغ الروعة والجمال ، بيد ان الزائر في فصل الشتاء يجدها جرداء بعد موسم الحصاد (دليل آثار مصر العليا صفحة ٢٩٤) .

ولعل الالة منتو ومدينته كانا ذا اهمية كبيرة في مرحلة سابقة لطيبة ، ومن المحتمل ان يكون هو كبير الآلهة الأصلى لمنطقة طيبة القديمة . ويسود الاعتقاد بأن هذه المدينة قد ازدهرت كل الازدهار في عهد المملكة الوسطى ولكن ما لبثت طيبة وعبادة آمون أن طغت عليها تدريجيا . بيد ان منتو القوى الشكيمة مازال يحتفظ بمركز يجلله المجد والفخار .

"لقد كان له ، كما يذكر ، معبد في طيبة قريب من المعبد العظيم لآمون رع في الكرنك . وقد استخدم أسمة بطبيعة الحال وكامر حتمى كل فرعون من الفراعنة الغزاة للتعبير عن شجاعته وقوة شكيمته . وقيل فى شعر بنتاور فى

وصف معركة قادش ، عن رمسيس الثاني انه « لقد اندفع جلالته مثل ابية منت ، وحينما اتجه رمسيس بابتهاله الى الآلهة عندما تأزمت المعركة . الى آمون للخلاص قال : « انني اصلى عند حدود البلاد ، ومع ذلك فان صوتى يصل الى هيرمونتيس » .

ولذلك فان منتو لم يزل يحتفظ بمركزه قويا ، ويعتقد انه اشتق من لمحة من عبادته لقب « العجل القوى » الذى مالبث فراعنة طيبة ان اضافوه الى القابهم .

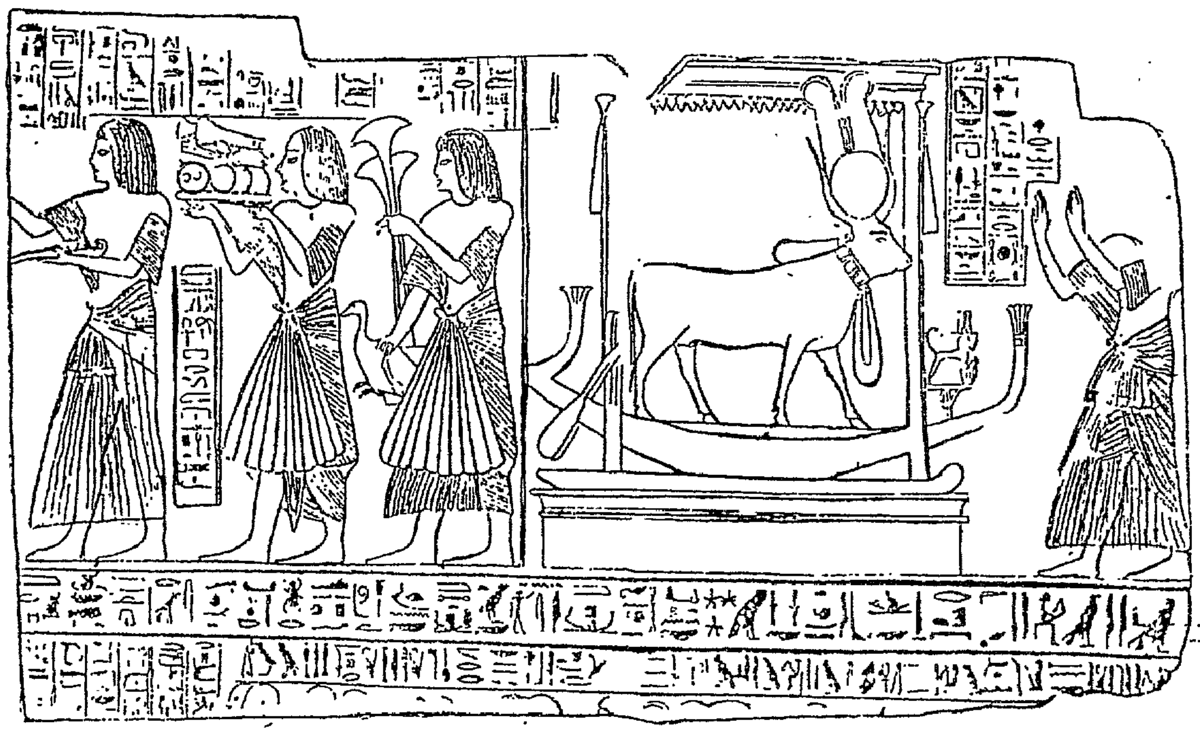
ولما كان لرع في هيليوبوليس ، عجلة المقدس آبيس وليتاح عجلة المقدس منيفيس في ممفيس ، كان لمونتو في هيرمونتيس العجل المقدس باخ ، وهو مـا يعرف بالبوكيس او الباسيس عند الكتاب الكلاسكيين ، فان ملامح عبادته قد تكون هى التى اتاحت للفراعنة هذا اللقب .

ويوصف العجل باخ ، كغيره من العجول المقدسة بأن له ملامح خاصة جدا ، التى كثيرا ما يكون من الصعوبة بمكان وجودها في اى مرشح لهذا المركز. وليس من الشائع للعجول ان تغير الوانها كل ساعة وان تكون لها « شعـور طويلة تنمو في اتجاه الخلف ، ضد طبيعة جميع الحيوانات الأخرى ».

ولكن مما لاشك فيه ان مثل هذه الخصائص ، حتى في الحالات الأكثر صعوبة لآبيس ، لاتمثل صعوبة قط للكهانة السامية ، وان مثل هذا العجل الذى يتمتع «بجميع الامتيازات الطيبة » ، يوجد بعد فترة اطول او اقصر ، حينما يصيب سلفه الصعف بسبب الشيخوخة او الافراط فى التغذية .

« ارمنت »

تقع مدينة ارمنت على الحدود الشمالية لهذا الأقليم وعلى الشـاطىء الغربى للنيل وهى مدينة ذات قداسة دينية قديمة حيث كان يعبد فيها الة الحرب مونت وهى التى نسميها بالاسم الاغريقى هرمونتيس (أرمنت الحالية)



(شكل رقم ١)

العجل ابيس قائم على سفينة الشمس وامامه الكاهن يقدم له فرائض العبادة والكاهنات يقدمن له القرابين والذبائح

ولكنها فقدت اهميتهـا منذ ان جعلت بعض الظروف البسيـاسية من المدينة المجاورة طيبة العـاصمة (ذات المائة باب) للمملكة جميعها ، ولم تسترجع هيرمونتيس مكانتها العظيمة مرة اخرى الا بعد ان سقطت طيبة التى استمر ازدهارها نحو الف عام .

ومع ذلك فان ارمنت مازالت دائما مدينة زاهرة وعامرة بآثارها الهامة .

ومما لاشك فيه ان هيكل المملكة الوسطى . مع أعقابه من الأسرة الثامنة عشرة ، قد اختفت ، وان كنا نعرف ان اخناتون قام ببعض البناء هنا ، وان الكتابة الهيروغليفية عن رمسيس الثانى قد عثر عليها فى هـذا المكـان أمـا « بن خبيرى » الذى عثر على كتابته الفرعونية ليس تحتمس الثالث ، ولكن ربما كان هو الملك الكاهن ويحمل نفس اسم الأسرة الواحدة والعشرين . ولقد شيدت كيلوباطرة هنا هيكلا لها ولابنها كاساريون ، ويبدو ان الهيكل كان بناء كبير الحجم .

على أنه لم يبق منه سوى اطلال قليلة لأنه استسلم لمسيرة التقدم . واستخدمت احجاره في بناء مصنع السكر ! وهناك في هذه القرية بقايا حمام رومانى وآثار قليلة لمـا كان هيكلا في العصر البطليمى .

ولم يبق هناك مايشد اهتمام الزائر . وان كان من المهم القول أن ارمنت فيها مقبرة للعجل باخ المقدس ، كما انه كان لمفيس مقبرة في سقارة لعجول آبيس ، وقد قام مستر ر . ل . موند ومستر و . ب . ايمرى باكتشافها في عام ١٩٢٧ .

ومن ارمنت يسير خط ثانوى للسكة الحديد على طول ضفة النيل الغربية حتى اسنا . وهناك على بعد اربعة اميال من أرمنت تقع محطة الزريقات . التى تقع غربها عند طرف الصحراء مقبرة كبيرة للمملكة الوسطى والامبراطورية الجديدة والتى يحتمل ان تكون امبراطورية ارمنت .

ومهما كانت اهميه هذه المقبرة في وقت ما فانها لا تحتوى على شيء لأن يستلفت انتباه الزائر لانها تعرضت للسلب والنهب بصورة منتظمة لسنين طويلة .

ولم يبق منها شيء اللهم سوى انصاف قبور فارغة تبين الاحترام الكبير الذى يبديه المصرى الحديث لأجداده .

وتقع بالقرب من محطة ارمنت الواقعة على ضفة النيل الشرقية ، قرية « تود » التى عرفت بتوفيوم القديمة (وان لم يثبت ذلك نوعا ما) . وهنا يقوم معبد مونتو الكبر الذى يعود تاريخه الى العصر البطليمى ، ويتساوى مع المعبد الواقع في الضفة الغربية عند ارمنت .

ولم يبق من هذا المبنى سوى بقايا قليلة ، باستثناء بعض الأعمدة المكسورة وجزء من جدار يحتمل ان يكون لأحد دهاليز المعبد ، ولكن مازالت هناك غرفة يحتفظ بها للأغراض الحديثة ، بعد ان اصبحت الآن منزل العمدة المحلى .

« جبلين »

تقع بلدة جبلين بين الاقصر واسنا في محافظة قنا :

ويتم الوصول الى بلدة جبلين اما من الشغب ، وهى محطة تقع على الخط الرئيسي (الضفة الشرقية) ، أو بالركوب من ارمنت بالسكة الحديد الفرعية على الضفة الغربية ، التى تعتبر جبلين محطتها . وتعنى كلمة جبلين ، التلين وتتميزان بوضوح بوجود ربوتين من الجير وهما تشكلان علامات مميزة من النهر .

وتمتدان في صف واحد على الضفة الغربية . وقد نشأت في الأزمنة الغابرة تحت هاتين الربوتين مدينتان ، احداهما تسمى بير حاتحور أى «منزل حاتحور» ، نسبة الى الآلهة التى اتسمت بالقداسة وقد عدل هذا اللقب الى اللفظ اليونانى

وهو باثوريس او باتيريس . ولما كان الاغريق يربطون بين هاثر وافروديت ، فان المدينة اطلق عليها اسم آخر وهو افروديتوبوليس .

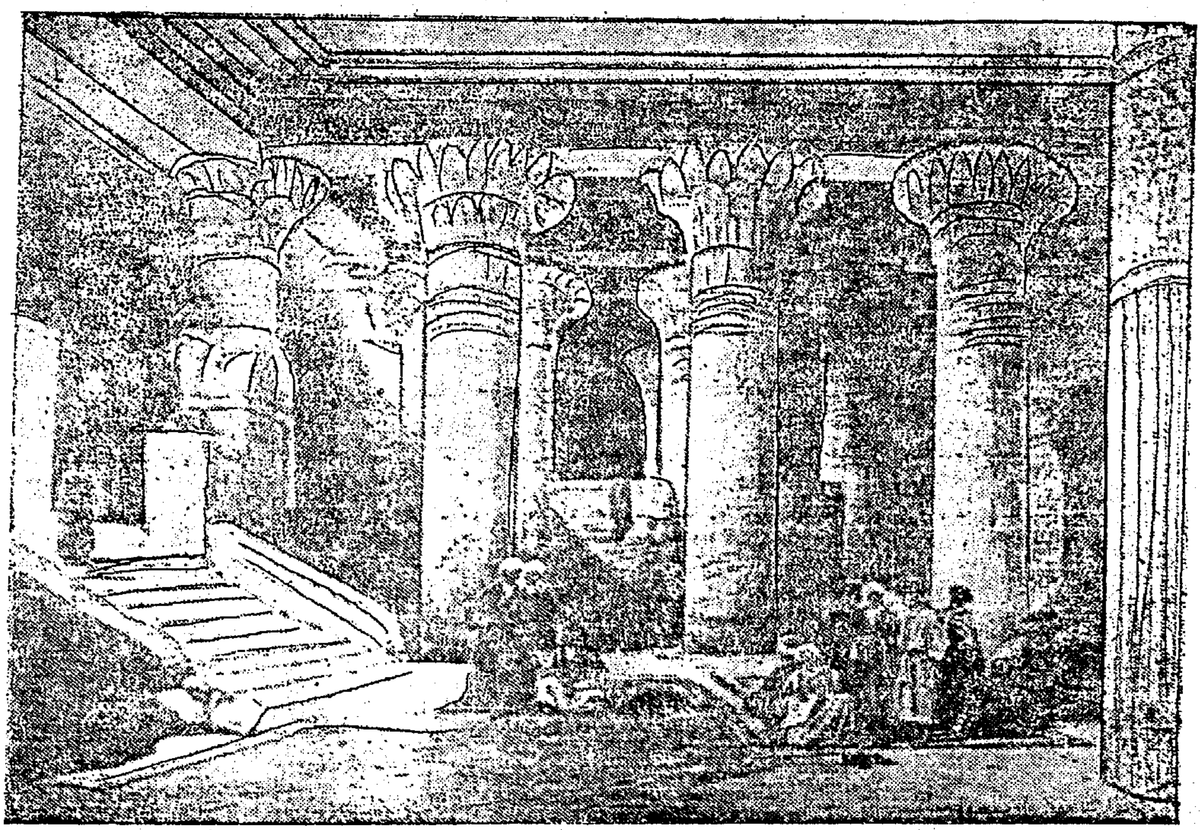
اما المدينة الثانية فتسمى كروكوديلوبوليس ، وهذا يعنى ضمنا انه لا بد انه كانت هنا في وقت ما كعبة سوبك او سيبيك ، وهو الاله التمساح . وقد اشير اليها عند اله الطب في اليونان القديمة وهو هيرمس تريسميجو ستوس الذى يقول ان اله الطب اسكليبيوس ، قد دفن في كروكو ديلوبوليس وانه كان على التلال الليبية معبد مخصص له .

وهذه هى المدينة الوحيدة التى تحمل ذلك الاسم في مصر والتى تضم معبدا كبيرا على تلال بالقرب منها . ومع ان هذه الاشارة ابعد ماتكون عن الدقة لأن المعبد لم يكن لأله الطب اسكليبيوس (او نظيره المصرى امحتب) . وانما لحاتحور . ولذلك فانه يبدو من الممكن ان هذه البقعة هى المقصودة . على انه لا يمكن القول بانه ليس هناك بالتأكيد دليل آخر مؤيدا او نافيا للفكرة القائلة بان ايمحوتب . المهندس المعمارى للملك زوسر المنتمى للأسرة الثالثة ، قد دفن بالفعل في جبلين .

وثمة فكرة تقول انه دفن في سقارة ، الى جانب الفرعون الذى مجد حكمة ، على أن هذا التكهن لاجدوى منه لأنه ليس هناك امل في تأكيده او نفيه .

والواقع انه لم يتبق سوى النذر اليسير من آثار الماضي في جبلين . حيث تقع على طول الوجه الشمالى والشرقى لمرتفع كبير مقبرة شاسعة يعود عهدها الى عصر ما قبل التاريخ ، وعصر المملكة الوسطى والامبراطورية القديمة، وتضم هذه المقبرة بعض الأضرحة التي يعود تاريخها الى العهد الرومانى ، ولكنها طالما تعرضت للنهب والسلب ، ولم يتبق منها شيء ذو بال .

وتوجد على قمة التل الجنوبى خرائب قلعة من الآجر التى بناها نفس مهندس الأسرة الحادية والعشرين للملوك الكهنة ، والذى سبقت الاشارة اليه ،



(شكل رقم ٢)
معبد اسنا كما كان قديما عند مراحل اكتشافه الأولى

وهناك لوحة هامة تحمل نقوشا رائعة من صنع المهندس نفسه ، وهى موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس تحكى كيف كان عصره يسوده الاضطراب والفوضي كما تشهد بعض مناظره نفي عدد كبير من النبلاء الى الواحات وكيف ان آمون في ذلك الوقت قد وافق على استدعائهم مرة اخرى وقرر أنه لاينبغى منذ ذلك الوقت فصاعدا نفى اى مصرى .

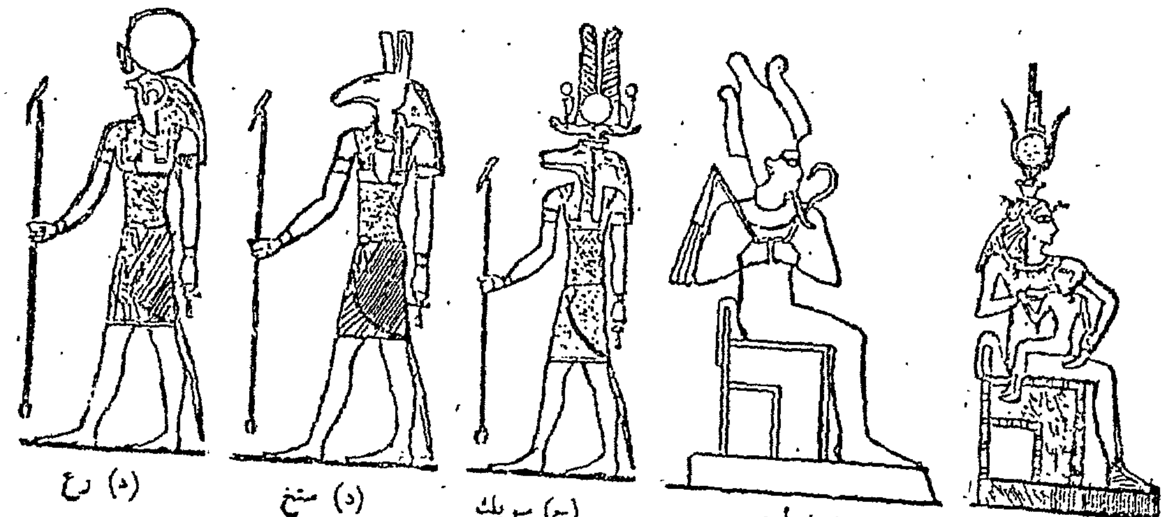
وقيل ان (بن خبيرى) (المهندس) قد خاطب آمون قائلا : « آه يا الهى الطيب، انك تضع قانونا عظيما باسمك . وهو عدم نفي اشخاص ينتمون الى هذه الأرض المقدسة الى مناطق نائية في الواحات ابتداء من هذا اليوم . ثم هز الاله العظيم راسه موافقا » — . ومما لا شك فيه أنه سبق اعداد الترتيبات اللازمة لضمان موافقة الاله قبل عرض المشكلة عليه .

ولعل هذه القلعة قد شيدت في جبلين بسبب نفى هؤلاء الأشخاص ، وللتحكم في طريق القوافل المؤدى الى واحة الخارجة التى تمتد عبر الصحراء بالقرب من جبلين .

وتختلط بخرائب القلعة اطلال معبد حاتحور التى مازالت قائمة على قمة هذا التل والتى يحتمل ان يعود تاريخها الى عصر المملكة القديمة . وقد عثر على أقدم النقوش في هذه المنطقة وهو عبارة عن عمود من بقايا آثار ضعيفة خشنة من أعمال الفرعون ود موز زد — نفر رع . الذى ينتمى الى العصر المظلم المتوسط الأول بين الأسرة الرابعة والأسرة الحادية عشرة .

ولكن بناءها هنا يعنى ضمنا وجود سابق للمعبد . وهناك مخطوطات قديمة عن تاريخ هذا المبنى يمتد من الأسرة الحادية عشرة والرابعة عشرة والثامنة عشرة ثم التاسعة عشرة ، وان لم يتخلف شيء في هذا الموقع يستحق المشاهدة .

وفي جبلين محاجر من الأحجار الرملية الهامة التى استخدمها ، كما تدل المخطوطات على ان الملك سيتى الأول ، من الأسرة التاسعة عشرة، قد استخدمها

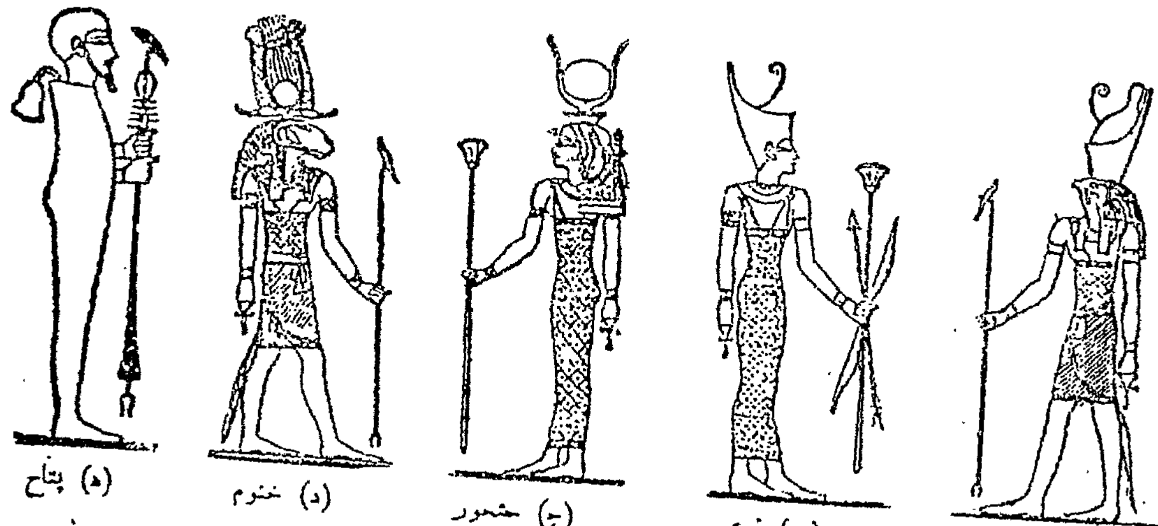


(ا) ايزة ترضع إبنها حور (ب) أوزير (ﺟ) سوبك (د) ستخ (د) رع

(شكل رقم ٣)

(ا ، ب ، ج ، د ، هـ)

(ايزة – أوزير – سوبك – ستخ – رع)



(شكل رقم ٤)

(ا ، ب ، جـ ، د ، هـ)

(حور ـ نيت ـ حتحور ـ خنوم ـ بتاح)

لبناء معبده المدفون في القرنة كما استخدمها تربنبدد، وهو من فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين ، وذلك ضمن الاصلاحات التى رؤى من الضرورى اجراؤها في الأقصر عقب الطوفان غير العادى الذى غمر المنطقة .

وجاء في سجلات نسينبديد ان ٣٠٠٠ رجل ارسلوا الى جبلين لقطع الأحجار من اجل الاصلاحات ، ولذلك لا بد ان جبلين كانت عامرة بالأعمال المختلفة لفترة طويلة من الزمن . وتقع محاجر جبلين هذه في الضفة الشرقية ، قبالة المدن القديمة ، وتتكون من محجرين كبيرين لهما سقفان تسندهما اعمدة خشنة من صنع عمال المحاجر ، بالاضافة الى محاجر مكشوفة .

وهناك الى جانب المخطوطين المنقوشين الآخرين اللذين ورد ذكرهما ، ثلاثة مخطوطات بالطلاء الأحمر يعود تاريخها الى عهود كاراكالا وايلاجابالوس والكسندر سفيروس . وفيما عدا هذه المخطوطات ، تعتبر المحاجر ذات اهمية كبرى بالنسبة الى الاخصائى فقط كامثلة افضل على مهارة عمال المحاجر المصريين والتى ستزداد وضوحا في سلسلة الأعمال الفنية الأخرى .

وعلى ضفة النهر الغربية تقع قرية « عصفون المتاعنة » ، وهى اسفينيس القديمة ، الى الجنوب على مسافة قليلة ، ولكن ليس هناك بين جبلين واسنا اى آثار ذات اهمية كبيرة للزائر ، وان كانت المنطقة المجاورة تزخر بمقابر عديدة واسعة تعود الى عصور ما قبل التاريخ واضرحة صخرية قليلة للمملكة الوسطى ومقبرة الامبراطورية الجديدة . على ان جميع هذه المقابر قد تعرضت للنهب والسلب وخربت القبور الصخرية الى حد كبير حتى انها اصبحت ليست بذات اهمية بالنسبة للسائح العادى ولكن لها اهمية تاريخية واثرية بالنسبة للزائر الدارس المتخصص والمنقب عن الآثار الهامة .

((اسنا))

تقع اسنا(١) على بعد ٣٦ ميلا على مدى النهر من الأقصر ، وهناك عند اسنا قناطر تحتجز فيها البواخر السياحية . وقد اقيم فيها خزان عام

---

(١) تعتبر (اسنا) المدينة الدينية الهامة التى يوجد فيها حتى الآن معبد =

١٩٠٨ - ١٩٠٩ لتنظيم رى الأراضي التابعة لمحافظة قنا . بيد ان اهتمامنا ليس بأى شيء حديث ، ولا بمدينة اسنا ذاتها ، وان كانت في زمن ما من اهم المـدن في مصر العليا .

وهى اليوم عاصمة محافظة ويبلغ تعداد سكانها اكثر من ٠٠٠ر٧٠ نسمة، وفيها هيكل خنوم البطليمى الذى يعتبر الأثر الرئيسي الوحيد في المنطقة .

تقع اسنا على ضفة النيل الغربية ، ولذلك فان ركاب السكة الحديد لا بد ان يسيروا على أقدامهم من المحطة الى النهر ، ويركبوا المعدية لعبور النهر ثم يسيرون مسافة قصيرة من الضفة الى المعبد .

وليس في ذلك مشقة كبيرة لأن الأمر لايستغرق اكثر من مسيرة عشر دقائق عبر بلدة رائعة المناظر اقيمت على اطلال المدن القديمة التى سبقتها . ولقد تم تسهيل طريق المسافر نهرا لأن البواخر تتيح له وقتا كافيا لزيارة هذا المعبد الهام .

كانت المدينة القديمة تسمى تاسنت ، التى اصبحت ، بفضل عملية فساد طفيفة ، تحمل الاسم الحديث . وكانت في عهود الاغريق تسمى لاتوبوليس نسبة الى سمكة اللاتس نبلوتيكوس النيلية « سمكة قشر البياض » التى كانت تقدس هنا وفي اماكن اخرى في مصر ، ولكن كتب البقاء للاسم القديم .

= متأخر يقوم على انقاض المعبد القديم حيث يشبه معبد مدينة (ادفو) ثم المدينة المزدوجة القديمة (نخب - نحن) التى تظهر انها كانت في بدأ التاريخ المصرى عاصمة للوجه القبلي جميعه . وفي (نخب) وهى الكاب حاليا كان يقوم معبد لعبادة الهه الوجه القبلى وحاميته (نخبيت) التى تمثل على شكل عقاب ينشر جناحيه .أما (نخن) وتسمى باليونانية هيراكنبوليس وهى تقع على الشاطىء الغربى للنيل تجاه الكاب فكان بها معبد للاله حوريس (وهو اله على شـكل صقر كان يتمثل به الملوك) وتعد اقدم آثاره اول ما وصل الينا منذ بدأ التاريخ المصرى . المترجم : من كتاب مصر والحياة المصرية تاليف أدولف ارمان .

وكان خنوم(١) الذى كان معبد اسنا مقدسا بالنسبة اليه احد الآلهة الخالقين فى مصر ، والذى كان قد عرف بأنه صانع شكل الانسان بداءة على عجلة خزاف ، أو صانع الأوانى الخزفية والفخارية .

وكان يعتبر ايضا الهاً ساهم في خلق الكون ، وقد وصف في مخطوط هنا بأنه « رفع السماء على اعمدتها الأربعة ، وأنه سما بها من الخلود . »وكان ينظر اليه بتقديس خاص ، في المنطقة التى نحن بصدد الولوج فيها الآن ، وكالة لمنطقة الشلالات والذى شكل مع الآلهتين ساتيت وانوكيت الثالوث الفيلى. واقيم له معبد يعود تاريخه ، على اكثر الاحتمالات ، الى عصور الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن المبنى الحالى يعود تاريخه الى العصر البطليمي ، اما زخارفه فتعود الى العصور الرومانية .

وفيما تحتل اسنا ، كما راينا ، مركزا هاما ، الا أن المعبد القديم ، بحكم تلك الحقيقة ، لايرى ، ولذلك لابد من البحث عنه ، والواقع ان الجانب الأكبر منه مازال مطمورا تحت منازل المدينة . ولم تكشف الحفريات الا عن الدهليز فقط .

ان هؤلاء الذين قراوا كتاب « الف ميل عبر النيل » الذى وضعته مس ادواردز ، سيتذكروا وصفها الظريف لنظرتها الأولى لمدينة اسنا ، الذى وان كان يغلب عليه طابع الخيال ، فانه مازال ينطبق تماما على المكان حتى اليوم .

قالت : هو مبنى غريب المظهر ، عبارة عن كتلة ضخمة من الحجر الجيرى الأصفر اللون ، ومسرف في الطول والانخفاض والاستواء .

وعلى بعد خطوات قليلة ، يقع افريز منحنى لمعبد هائل لم تنله يد الحدثان والخرائب او الاندثار ، ولكنة دفن تحت طبقات من الأنقاض التى تراكمت على

---

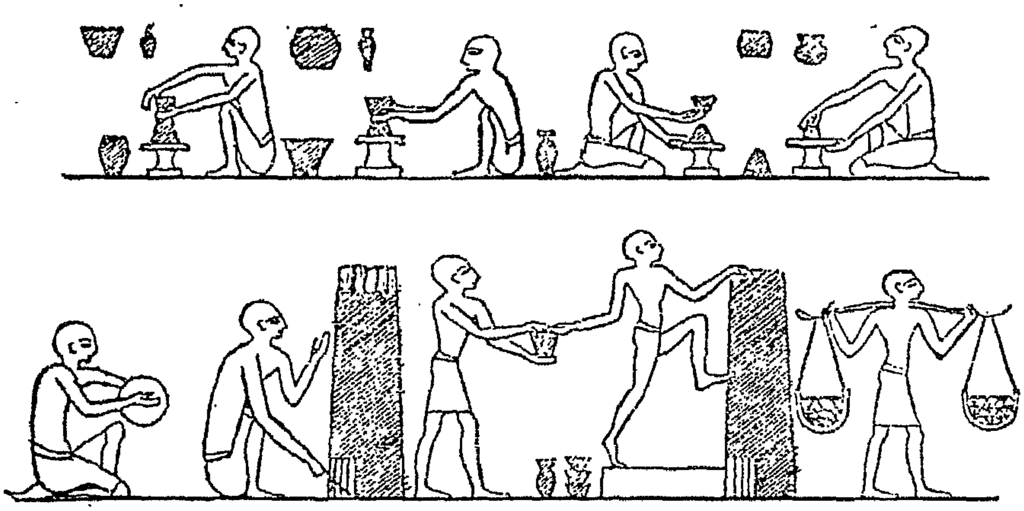
(١) يطلق على خنوم احيانا اله الفخار ، ويمثل براس كبش وجسم انسان ، واحيانا يصور وهو يسوى جسم الملك على عجلة الفخار ، ومراكز عبادة هذا الالة الرئيسية هى اسوان واسنا وحيوانه المقدس هو الكبش ، مثلما نجده ظاهرا ببهو الأعمدة الثانية بمعبد رمسيس الثانى . (المترجم)

مدى اكثر من عشرة قرون والواضح ان هذا الجزء هو الرواق . ونقف الآن تحت صف من تيجان أعمدة ضخمة ، اما بقية الأعمدة ؛ ذاتها فقد انطمرت ايضا تحت اقدامنا . ويبرز الافريز الكبير فوق رؤوسنا .

وهنا سور منخفض من الطمي وكوبستات تصل بين الأعمدة . أما كل ما هو وراء ذلك ، فيكتنفه الغموض والغرابة ويزخر بالكهوف - وهو عبارة عن خليج مظلم ترى في وسطه أشباح داكنة من الأعمدة .

وتؤدى مجموعة من درجات من الآجر تمتد نزلا من فتحة بين تاجى عمودين الى قاعة كبيرة تحت سطح العالم الخارجى ، وهذه القاعة شديدة الظلمة ومرعبة الى حد انها تشبه رواق من اروقة الجحيم .

وقد يبدو ذلك أمرا مبالغا فيه ، ولكنه يعطى الانطباع لهذا المعبد المدفون وبأنه ليس سيئا كل السوءبهذه الدرجة ، ان حفر الدهليز ، وهو كل ماتم



(شكل رقم ٥)
أواني فخارية تشكل على عجلة الفخار ثم تحرق
(عصر الدولة الوسطى)

انجازه ، قد جرى فى عام ١٨٤٢ ، في عهد محمد على ، ولم « يكن ذلك بدافع من الرغبة في اكتشاف الآثار ، وانما ليكون بمثابة مخزن آمن للبارود. ».

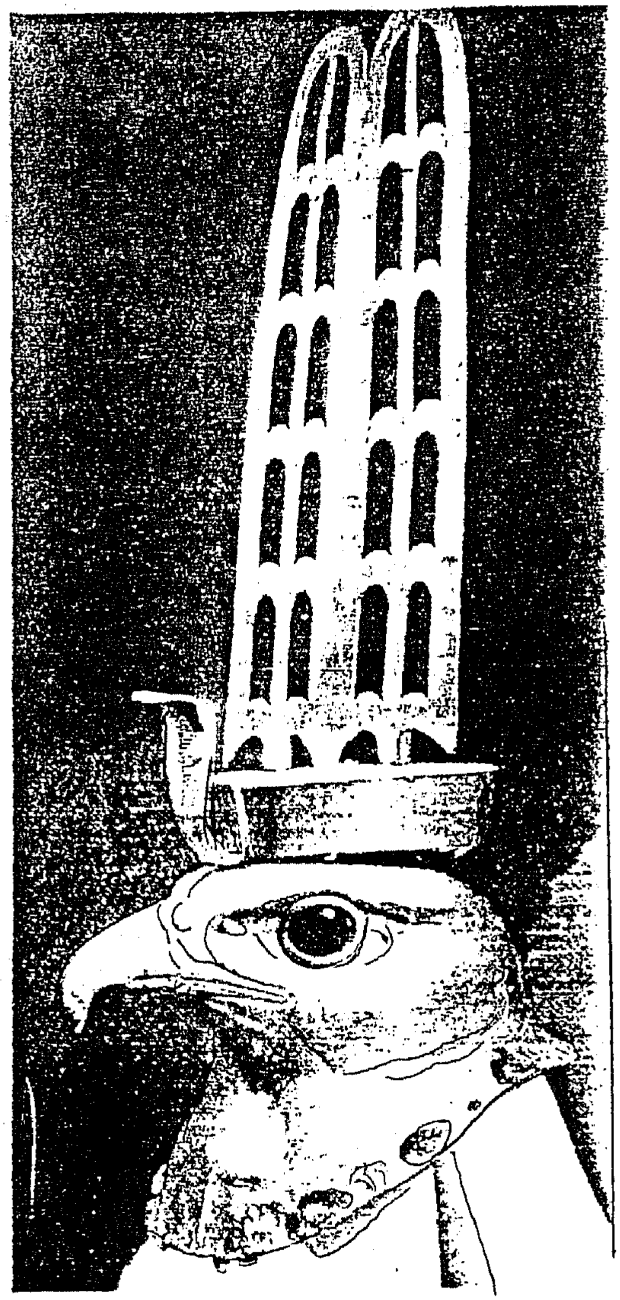
وينبغى الا يغرب عن البال ان الحالة الخربة للمعبد الاغريقى في اثينا مردها الى استخدامها لنفس الغرض ثم للنسف من جراء اصابته بقذيفة عام ١٦٨٧ . وجدير بالذكر أن معبد اسنا ، قبل اكتشافه ، أو اكتشاف جزء منه ، قد استخدم كمخزن للقطن .

ان ما يشاهد اليوم ويتم الوصول اليه بواسطة درج شديد الانحدار الى أسفل هو دهليز مستطيل الشكل مازال سقفه سليما وتحمله ستة صفوف من الأعمدة الضخمة يتالف كل صف منها من اربعة اعمدة. ويطل الدهليز على النهر ويبلغ عرضه ١٠٨ أقدام وعمقه ٥٤ قدما ، ويبلغ طول كل عمود من هذه الأعمدة ٣٧ قدما ومحيطه ١٧٫٧٥ قدما .

وتبلغ مساحة الواجهة كلها ١٢٠ قدما عرضا و٥٠ قدما ارتفاعا .

ومما يستلفت النظر لأول وهلة التيجان الجميلة للأعمدة المنحوتة نحتا جميلا والذى يبرز من تحت الأرض . على أنه اذا أجرى التدقيق فيها . فانه لاتلبث أن تظهر أعمال النقش البارز الغليظة والغائرة حيث تعكس جميع الأخطاء البطليمية بالاضافة الى غيرها التى تعود الى العصر الرومانى .

وجدير بالذكر أن الدهليز كله قد بنى في العصر الرومانى . وكان اول امبراطور ظهرت عنه نقوش باللغة الهيروغليفية هو الامبراطور كلوديوس . وقد يعنى ذلك أن أعمال الزينة لهذا البناء الضخم قائم بالفعل وقد بداها هذا الأمبراطور واتمها خلفاؤه من الأباطرة امثال فيسباسيان ودوميسيان وتراجان وهادريان وأنطونينوس بيوس وماركوس أوريليوس وكومودوس وسيفيروس وكاراكالا الذين تظهر صورهم منقوشة هنا على الجدران في حين محيت صورة الشقيق القتيل للأمبراطور كاراكالا بامر من هذا الامبراطور الذى قتل شقيقه .



(شكل رقم ٦)

رأس (الصقر) حورس من الذهب

(المتحف المصري)

وهناك بوابة ضخمة في الجدار الخلفى للدهليز تفضي الى الأجزاء المتبقية من المعبد وتحمل هذه البوابة صــورا منقوشة لبطليموس الســادس ووالده ووالدته .

وهناك قول قديم يفيد بأن شامبليون ، قد توغل في الربع الأول من القرن التاسع عشر في هذا المعبد حتى وصل الى المحراب حيث وجد هناك اسم تحتمس الثالث . ولكن مرييت يعترف بأن « هذه البيانات لم تثبت صحتها بصورة قاطعة « ان آخر امبراطور رومانى يظهر نقوش رسمة على المبنى هــو الأمبراطور ديسيوس على الباب الصغير على يسار البوابة في الجدار الخلفى للمعبد ، وهو يقدم قربانا الى خنوم .

ولذلك ، يبدو ان المعبد استغرق استكمال بنائه من حوالى ١٨٠ سنة قبل الميلاد حتى ٢٥٠ بعد الميلاد .

وقد زين الدهليز الكبير بأربعة صفوف من الأشكال البارزة التى تظهر بعض الأباطرة الرومــانيين كفراعنة مصريين وهم يقدمون القرابين للالــة ويمارسون طقوسا دينية مختلفة .

ومن بين هذه الأشكال ، واحد يظهر بالقرب من نهاية الجدار الشمــالى للمعبد حيث يبدو الأمبراطور كومودوس بصحبة حورس الذى له راس صقر وخنوم الذى له راس كبش ، وهو يسحب شبكة مليئة بالطيور المائية والسمك فيما تبدو الألهتان سيشيت أو سافخت وثوث تنظران — وهذه في الواقع مجموعة غريبة .

بيد أن هؤلاء الذين اصبحوا ملمين بالآثار في ابيدوس والكرنك والأقصر ناهيك عن آثار المملكة القديمة في سقارة ، يندر أن يضيعوا وقتا طويلا على مشاهدة الآثار الرومانية غير المتقنة والتى تفتقر الى التناسب .

ومع ذلك فان رؤوس وتيجان الأعمدة تبدو رائعة الجمال والفخامة بلا ريب ، ولاسميا اثنان منها تحملان صورة هادريان ، ومزخرفة بعناقيد العنب ، واللذان يمكن ذكرهما على انهما يستحقان الاهتمام .

وتقع مقبرة اسنا القديمة عند طرف الصحراء ولكى يزورها المرء عليه ان يمر من المدينة وعبر الريف غربا في طريق يؤدى الى جنوب قرية صغيرة وهى قرية حجر اسنا .

ولكن من المشكوك فيه ما اذا كانت هذه الرحلة التى تستغرق حوالى ثلاثة ارباع الساعة ، تستحق أن يقوم المرء بها . لقد تعرضت المقبرة للنهب والسلب مرارا وتكرارا .

وتعتبر البقايا الصغيرة للآثار القديمة ، التى لايعود أى منها الى عصر قبل العصر الرميسى « Ramesside » ذات نمط هزيل وتنفيذ متواضع .

وهناك قبالة اسنا على الضفة الشرقية مثل آخر لبلدتين توامتين ، وهذا امر مألوف على ضفاف النيل ، باستثناء كونترالاتوبوليس التى تحتل موقع قرية الحلة الحالية ومعبدها «البطليمى» ولكن لم يبق شيء منها .

كما يوجد هناك موقع يستلفت الانتباه ، بين اسنا والكاب والكوم الأحمر ، وهى المواقع الهامة التى سنتحدث عنها بعد ذلك . فعلى بعد ميلين ونصف الميل جنوب غربى محطة اسنا على الجانب الشرقى من النهر ، نحت في الصخر صورتان لاخناتون (امنحوتب الرابع) (نفر - خبرو - رع) ، اثناء عمليات قطع الأحجار التى اجريت هنا في السنوات الأولى من حكمه .

وهناك على الضفة الغربية بالقرب من قرية بساليا ، يوجد اطلال هرم صغير يعرف محليا بالكولا . لقد اصابة تلف شديد ، ولكن مع ذلك مازال قائما بارتفاع زهاء ٣٠ قدما على مربع تبلغ مساحته ٥٠ × ٦٠ قدما مربعا .

ولكن ليس هناك شيء يدل على من بناه او تاريخه . وعلى الضفة الغربية مقبرة أو مقبرتان تعودان الى عصور ما قبل التاريخ بالاضافة الى مقبرة للأسرة الأخيرة حيث عثر على مومياءات من الغزلان .

وهناك كذلك مقبرة أو مقبرتان للأسرة الأخيرة في الضفة الشرقية . بيد أنه ليس هناك في الواقع بعد ذلك ما يستحق التأخير للفحص أو البحث .

وعلى مسيرة ستة وخمسين ميلا من الأقصر عبر «النهر» نصل الى الكاب، وهى المدينة القديمة المعروفة للاغريق بمدينة ايليثيا سبوليس « Eileithyi acpolis » بموقعها الثنائى المعروف بالكوم الأحمر ، وهى هيراكونوبوليس الاغريقية ، وتقع قبالتها على الضفة الغربية .

وليس ثمة شيء ذو بال فيما يتعلق بهذين المكانين وخاصة نظرا لأن ادفو ، بمعبدها البطليمى المحفوظ بصورة تثير الدهشة ، تقع على بعد ١٢ ميلا منها فقط ، وكذلك فان البواخر السياحية لاتتيح اى وقت لزيارتهما .

ومع ذلك ، فهما تحتلان مكانا بالغ الاهمية في تاريخ مصر ، وحتى بعد أن تلاشي مجدهما ، وأصبحت هيراكونوبوليس منذ امد طويل عاصمة مصر العليا بعد تعاقب الغزوات التى قام بها الملوك الأوائل ، فأن المصرى المحافظ الأصيل مازال يحمل لهما كل تكريم واجلال ومازال اعظم النبلاء والمسئولين يفتخرون بحمل اسميهما الى جانب مايحملونه من القاب ولذلك ، فاننا سنكرس الفصل التالى لبحث تاريخهما وآثارهما .

الفصل التاسع والعشرون

الكاب والكوم الأحمر (ايليثياسبوليس وهيراكونبوليس)

كانت المدينتان المعروفتان الآن بالكاب[1] والكوم الأحمر في العصور الأولى لمصر القديمة من بين اهم المدن في البلاد — ولا يستطيع المرء مع ذلك ان يصفها بالمملكة ، لأننا نتحدث الآن عن الزمن الذى لم يكن فيه ثمة وجود لمملكة مصر الموحدة .

ولعل اسم الكاب هو الاسم المشوه للاسم القديم ، نخب ، التى كانت تعرف به المدينة الواقعة على الضفة الشرقية ، وكانت نخبت ، الآلهة النسر تعرف منذ اقدم الأزمنة الآلهة الحارسة لمصر العليا كما ان وزة بوشو ، الآلهة الافعى ، كانت حارسة لمصر السفلى .

وليست ثمة حاجة الى الاصرار على الربط بين هاتين الآلهتين في شعارات الملكية حتى احدث عصور تاريخ الأسرات — واوضح تصوير لهما هو النسر والأفعى المقدسة اللذان يزينان حاجبى توت عنخ آمون في جميع قطع اثاثه الجنائزية .

لقد اشتق الاسم الاغريقي لمدينة نخب (اليثياسبوليس) . من ارتباط الالهة نخبت بايلثيا ، آلهة النساء في العمل . وتسمى المدينة التوام الآن الواقعة في الضفة الغربية الكوم الاحمر ، وهو اسم يتكرر في اماكن كثيرة لاتقع تحت حصر في جميع انحاء مصر .

---

(١) كانت مملكة الصعيد في الكاب وهى امام الكوم الأحمر (نخن — هيراقونبوليس) التى كانت قبل ذلك مقر عبادة الالهة نخت ويرمز لها بالرخمة ويلبس ملكها التاج الأبيض-واتخذ له شعارا له نباتا آخر يسمى (سوت) وقد وصلت حدود هذه المملكة جنوبا حتى الشلال . (المترجم).

وكانت المدينة تعرف للمصريين القدماء بمدينة نخن ، ومن ارتباطها بحورس ، الاله الصقر ، أصبحت تعرف للأغريق باسم هيراكونبوليس ، أى مدينة الصقر . ان شهرة نخن قديمة قدم شهرة نخب .

ولقد عثر فى هذا المكان على آثار ملوك مصر القدماء الذين نستطيع أن نعتبرهم كشخصيات فردية ، وتقيم هذه الآثار الدليل على ان هيراكونبوليس أو نخن كانت المدينة الملكية لمصر العليا ، قبل انشاء ممفيس كعاصمة للمملكة الموحدة في عهد الملك مينا .

كان ملوك ذلك العصر ، حينما كانت الوحدة المصرية تجرى اقامتها ، يدفنون في ابيدوس ، ولكنهم كانوا ، على مايبدو ، يتوجون في نخن ، وكان اسم حورس الذى كان يحملة كل فرعون ، طالما كان هناك فراعنة ، بمثابة استمرارية اللقب الذى كان يحملة ملوك مصر العليا القدماء كرؤساء قبيلة الصقر التى كان مركزها فى نخن .

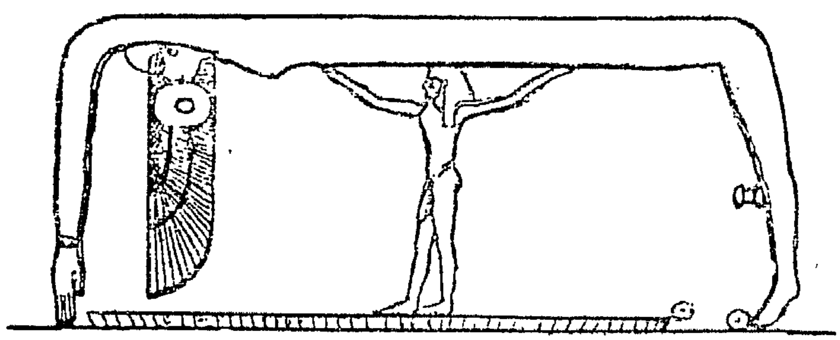


(شكل رقم ٧)

(كانت السماء انثى والأرض ذكرا ... السماء آلهة هى « توت » . ولكن للسماء آلهات اخريات هن « حتحور » براس البقرة وذراعى وساقى امراة أو بالأرجل الأربعة للبقرة التى تمثل دعائم السماء الأربعة)

اننا سنتحدث فيما يلى عن الآثار التى اكتشفها ج . ا . كويبيل في هيراكونبوليس ، والتى تقيم الدليل على اهمية هذه المدينة وارتباطها بالملوك المصريين الأوائل المعروفين ، ويكفى ان نلاحظ انه على الرغم من احلال مدينتين أخريتين محل هاتين المدينتين نخب ونخن ، اولا مدينة ممفيس ثم مدينة ايتكاوى وهيراكيلوبوليس وطيبة ، الا ان اهمية هاتين المدينتين لم تقل ، وظلتا موضع احترام وتقدير كما يتوقع من الطبيعة المصرية المحافظة والأصيلة .

كانت نخب ، الواقعة فى الضفة الشرقية تتمتع على مايبدو بدرجة اعلى من الرخاء والرقى من الناحية المادية ، ومن جاراتها الواقعة في الضفة الغربية ، بفضل مركزها كمحطة طرفية لطريق القوافل من المناطق الغنية بالنحاس والذهب الواقعة في صحراء العرب ، على ان الفخر الذى كانت هيراكونبوليس تتمتع به ينعكس في اللقب « المرتبط بمدينة نخن » ، والذى كان مستمرا زمنا طويلا من الدهر يحملة القضاة في مصر .



(شكل رقم ٨)

تتحول الدعائم فيما بعد الى جبال ... ونحت البقرة أو المراة ... على وجه السماء خضم تبحر فيه سفن الشمس وتسقط منه الأمطار . اما الأرض فرجل يستلقى على بطنة او على ظهره وتنمو النباتات على ظهرة ويحيط به محيط واسع ...

ويبدو من الآثار التى عثر عليها في المدينة في اثناء الأزمنة الأخيرة للمملكة القديمة ، ان نخن قد استخدمت كمستودع للآثار التاريخية العظيمة للفن الوطنى . ولكن اسناد هذا القول الى مشاعر المصريين ونزعاتهم ربما يكون أمرا غريبا عن العصر والناس .

كما يبدو أن المدينة الشرقية في المملكة الوسطى قد برزت أهميتها الكبرى في العصر الذى كانت مصر فيه تحت حكم فراعنة اقوياء ينتمون الى الأسرة الثانية عشرة وكانت قد بدات في ترسيخ أقدامها وتوطيد أركان حكمها في الجنوب ، كما يبدو ان السور الضخم الذى بنى حول نخب يمثل انعكاسا للخصام بين مصر والنوبة .

ومع اندلاع حرب الاستقلال ضد الهكسوس الغزاه ، برزت أهمية مدينة نخب من جديد ، لابفضل مركزها ، وإنما لأنها ارسلت الى جيوش احمس وتحتمس الأول اثنين من أبنائها اللذين نجحا ، بفضل بسالتهما في تسجيل اسميهما في سجل التاريخ المصرى القديم وعلى جدران المعابد .

لقد نجح أحمس ، ابن ايبانا ، وأحمس بن نخبت في اضفاء شهرة على مدينة الكاب، كما سنسميها الآن فصاعدا، التى ما كانت بدونهما ان تظفربها، وترتقى نقوشهما البديعة على مقابرهما الى مستوى نقوش امن ام‌حب في طيبة ، وتعتبر هذه النقوش أعظم وثائق تاريخية منقوشة الصورة في تماثل بديع ودقة رائعة التى انتهت الينا من الحروب القديمة التى اضطرمت نيرانها في مصر . .

وتبين لنا الأدلة النادرة ، وان كانت كافية ، ان الكاب وهيراكونبوليس ظلتا موضع اهتمام الفراعنة العظام الذين كانوا يحكمون في طيبة وان كانت سيطرة المدينة وتعوقها قد قلل من أهمية جميع المدن الأخرى في مصر العليا . كما توحى الصور الرائعة من مقبرة أحد كبار الوجهاء المحليين في عهد تحتمس الثالث ، التى سنشهدها في حينها ، على مستوى رائع وجميل ودقيق عن

الراحة والرفاهية التى يمكن مضاهاتها بما كان متوفرا من هذه الأسباب في العاصمة .

ولكن ليس ثمة حاجة الى القول بأن مدينة « ايليثياسبوليس » كانت في تلك الأيام مدينة على جانب كبير من الثراء والاسراف في الخلاعة والتهتك والتبذير ، وذلك تاسيسا على مشاهد ومناظر مختلفة في الاحتفالات الجنائزية .

لقد استمرت مدينة الكاب في الاحتفاظ برخائها طوال عصر الامبراطورية الجديدة ، ومن الممكن ان يكون انشاء منصب نائب الملك في أثيوبيا في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، قد اضفى على المدينة بعض الظلال من ارتباطها السابق بالملكية ، هذا اذا كان « ابناء كوشي[1] الملكيين » كما قيل ، قد اتخذوها مقرا لاقامتهم وحكومتهم .

وفي تلك الأثناء يبدو أن هيراكونبوليس كانت تختفى شيئا فشيئا وان كان اسمها مازال موضع تكريم . وليس ثمة جدوى من وضع قائمة بأسماء الفراعنة الذين ارتبطت أسماؤهم بمدينة او باخرى في الأيام الأخيرة للملكية الوطنية ، وانما تكفى الاشارة الى اسماء هؤلاء الملوك الذين نقشت اسماؤهم على رقيم أو خراطيش او كتلة من الحجر . ان آخر اسم للملكية الوطنية في اى من الموقعين هو اسم نخت ان ببيس الأول من ملوك الأسرة الثلاثين . كانت الكاب في ظل حكم البطالسة عاصمة المقاطعة الثالثة في مصر العليا واقام بطليموس يورغتيس الثانى وبطليموس سوتر الثانى معبدا في هذه المدينة . ومازالت النقوش الجميلة والصور البارزة التى تعود الى العهود الرومانية تظهر نخبت،نخب ، الآلهة النسر لمدينة الكاب مقرونة بوزة بوتو ، الآلهة الأفعى لمصر السفلى ، وتتوج الفرعون بالتاج المزدوج ، وكانت المدينة في ذلك الوقت ، ناهيك عن هيراكونبوليس ، مدينة كبيرة وعظيمة تمتاز بعظمة معابدها وكثرة الاحتفالات الدينية .

---

(١) لم يقطع حكام كوش صلتهم بطيبة بل ظلوا يقدسون اسم آمون ويتجهون بقلوبهم نحو الشمال ، كما حدث شيء من التقارب بين كوش وطيبة من الناحية السياسية أيام الأسرة الثالثة والعشرين (المترجم) .

(آثار الكاب وهيراكونبوليس)

سنتناول اولا مدينة الضفة الشرقية ، ولكى نتجنب الخلط او الالتباس الذى لامفر منه بين نخب ونخن ، فاننا سنذكرها باسمها الحديث فيما سنذكر نخن باسمها الاغريقى وهو هيراكونبوليس .

كما تقدم ، لاتقف البواخر السياحية عادة لاتاحة الفرصة لزيارة اى من المدينتين حيث لا يوجد مرسى للسفن والبواخر ، ولذلك فانه لابد من السفر من الأقصر بقطار الصباح الباكر الى اسنا ثم ركوب سيارة الى الكاب والعودة بقطار بعد الظهر الى الأقصر .

ان هؤلاء الذين يرغبون في مشاهدة هيراكونبوليس عليهم ان يستخدموا «معدية» نيلية ثم يركبوا دواب لمسافة طويلة على الضفة الغربية لتحملهم الى طرف الصحراء .

ويجد المشاهد ان اروع ملامح الاطلال في الكاب ، هو السور العظيم الذى يحتمل ان يعود تاريخه الى المملكة الوسطى . ومازال يسيطر بقوة بنائه وعظمته على كافة المنطقة المجاورة. كما استمر يصارع الزمن زهاء اربعة آلاف سنة . وهذا السور مبنى من حجر الآجر الخام ، وهو عمل ضخم كبير حيث يبلغ مقاييسه ١٫٨٦٠ قدما × ١٫٧٧٠ قدما وسمكه ٣٧ قدما . وتبلغ مساحة الأرض التى يحتويها حوالى ٣٫٣٠٠٫٠٠٠ قدم مربع .

وللسور بوابات على جوانبه الشرقية والشمالية والجنوبية ، وتقع البوابة الرئيسية في الجانب الشرقى . وهناك بالاضافة الى ذلك منزلقات عريضة توصل الى قمة السور ، ويجدر بالزائر ان يتسلق السور بغية التمتع بالمنظر الجميل والمفهوم العام الذى يستخلصه من مشاهدة عظمة وضخامة هذه المبانى الرائعة من وجهة النظر هذه .

وسنرى فوراً ان مدينة الكاب الحقيقية تحتل فقط جزءا صغيرا (حوالى ربع) المساحة التى داخل السور العظيم وهذا الجزء نفسه يحيط به سور آخر.

وثمة جزء صغير آخر في الركن الجنـوبى — الشرقى من جانب المدينة يحتله المعبد الكبير الذى يقوم بدوره داخل سوره الصغير . اما باقى المساحة الضخمة ، فانها خالية من المبانى الدائمة .

والتفسير الوحيد لذلك هو أنها يمكن ان تكون قد استخدمت كمعسكر محصن وكساحة للراحة والأمن لقوافل الذهب القادمة من الصحراء الغربية .

ان أطلال هذا المعبد نادرة جدا ، ولاتتساوى قط مع المركز الكريم التى كانت تتمتع به نخبت فى السجلات المصرية . ولقد اجرى جاكار من الأسرة التاسعة والعشرين اصلاحات كبيرة هنا ، واعقبه : كماراينا ، نخت انبيس الأول من الأسرة الثلاثين . ولكن عـددا قليـلا من الأعمدة وجزءا من ممشى ومحرابا من الجرانيت وبعض الجدران المحطمة هى الشاهد الوحيد على روعة ومجد المبنى الذى كان يتمتع بأهمية بالغه في الماضي .

وتروى لنا مخطوطات رمسيس الثانى المنقوشة على الجدران أن البنائين الذين لايعرفون الكلل كانوا يعملون في همة ونشاط فى الكاب وفي جميع أجزاء هذا المكان أيضا . ولقد بنا رمسيس الثانى هذا الصرح كضريح لأمة نخبت وصنع لها برجا من الحجر الرملى الأبيض النـاعم ويبلغ طوله ١٥ ذراعـا وصنع بابه من خشـب السدر . الضريح من النحاس منقوش عليه الاسم العظيم «جلالتى» . . كما كان يدعوها دائما .

على أن ابعاد هذا البرج تميل الى تبيان ان المعبد لم يكن ذا اهمية بالغة .

وهناك في الصحراء ، شرقى المدينة توجد معابد صغيرة عديدة لها بعض الأهمية ، ويمكن زيارتها قبل أن نعود لنتحدث عن قبور النبلاء . وربما كانت هذه المعابد قد انشات وبنيت لكى تكون لراحة هؤلاء الذين يستخدمون طريق القوافل التى تأتى منها قوافل الذهب من الصحراء الغربية .

وبعد ان نغادر السور الكبير عن طريق البوابة الشرقية نمر بأبراشية صغيرة خربة بحذاء السور . وبعد مسيرة اكثر من نصف ساعة ، نصل الى معبد صغير بناه سيتاو ، نائب الملك فى اثيوبيا ، في عهد رمسيس الثانى بالنيابة عن سيده الملكى .

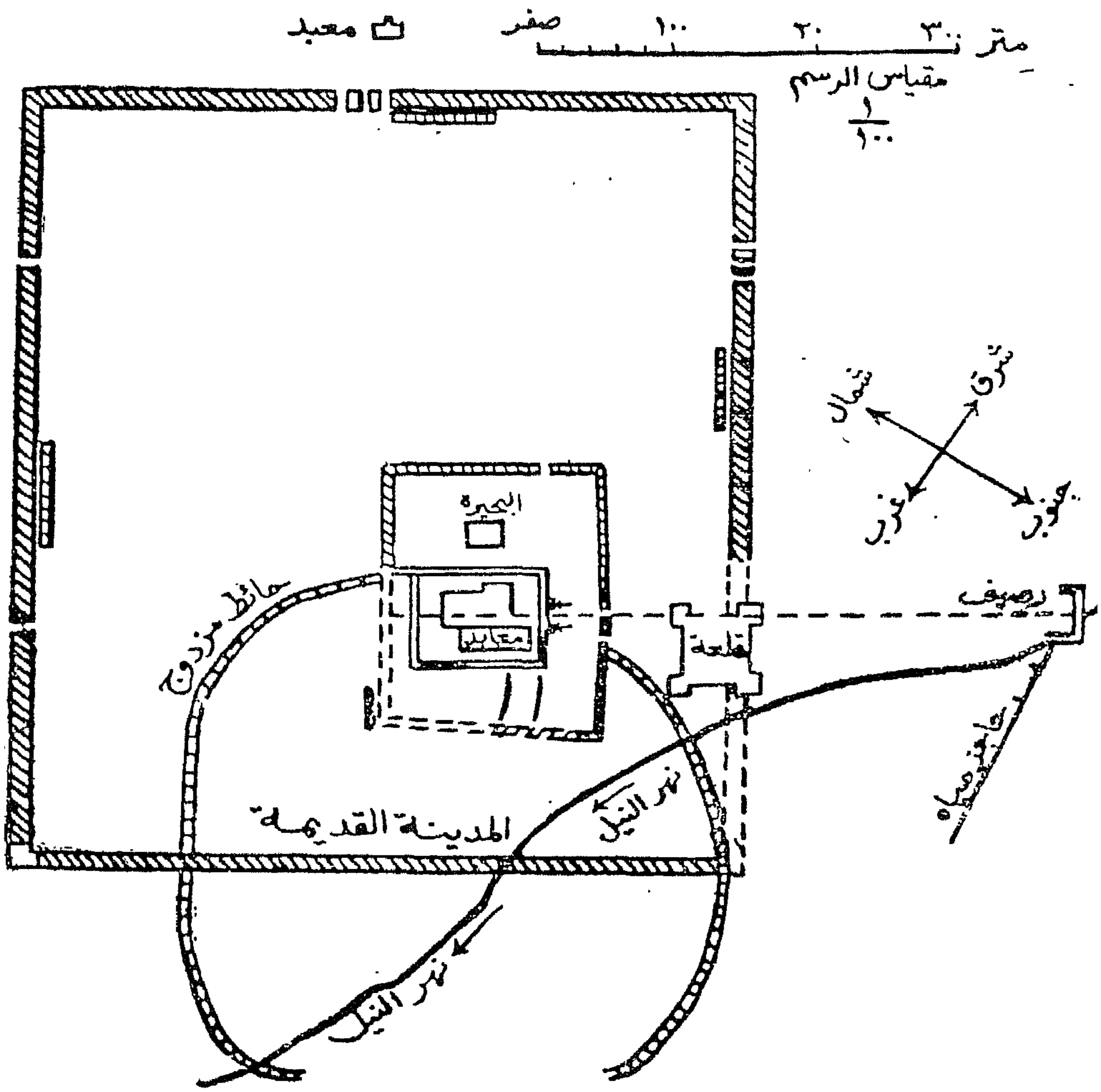
وتبين جوانب البوابة نائب الملك وهو يصلى . فيما يرى داخل المعبد مرة اخرى حاملا مذراة منصبة . ويرى رمسيس على الجدران الداخلية وهو يتعبد أمام الالة توت وحورس ونخبت وغيرها من الآلهة التى اصابها تلف شديد بفعل الزمن يصعب معه تبينها بوضوح .

وعلى مسافة قصيرة شمالى هذا المعبد الصغير بنى معبد آخر مقابل الوجه الصخرى . ويتم الوصول اليه بواسطة درج من ٤١ سلمة وللدرج درابزين على الجانبين ، ويفضي الى مصطبة ندخل منها عن طريق بـاب خرب الى الدهليز ذى الأعمدة المنحوت عليها نقوش نباتية الأشكال .

وقد شكلت الواجهة من الستائر بين الأعمدة . ويعتبر هذا اكبر جزء من الهيكل - اذ تبلغ مساحته ٣٣ قدما مربعا تقريبا . وثمة باب خرب آخر يؤدى الى قاعة اصغر تبلغ مساحتها ٢٠ قدما مربعا لها أيضا ستـائر بين الأعمدة . ويقع وراءها المعبد الذى كان في الأصل مقبرة الامبراطورية زاخرة بالصـور .

وترى خارج المدخل صورة للملكة كيلوباطرة ، ولكن صورة زوجهـا التى كانت هناك في وقت ما ، قد اختفت . وعلى السقف ذى الأقبية صور نسور بأجنحة مفتوحة ، ولكن هذا الجزء من الزخرفة ناقص .

ويتكون الافريز من اشكال بيضاوية فيها رسوم واشكال فرعونيـة لبطليموس سوتر الثانى ، على لوحة من الذهب تتعاقب مع أشكال لرؤوس حاتحور ويعود تاريخ هذا المعبد الى عصر البطالسة ، وهو نتيجة لعمل اثنين من الفراعنة وهما بطليموس يورجيتس الثانى وبطليموس سوتر الثانى . وقـد خصص هذا المعبد للاله نخبت .



(شكل رقم ٩)

سور الكاب الكبير (مدينة الكاب القديمة) واسوارها وقلعتها ومعابدها

ومن المعبد البطليمى ، يؤدى ممر وعر يسير بنا على مسيرة ربع ساعة اخرى الى معبد صغير جميل لأمنوفيس الثالث المخصص ايضا لنخبت « سيدة باب الصحراء » وهو لقب يشير بوضوح الى وظيفتها كالآلهة الحارسة للوادى الذى يخرج منه طريق قوافل الذهب الواقع بين مرتفعين الى السهول .

ويعود تاريخ الدهليز الخرب الآن ايضا الى العصر البطليمى . وكانت له اعمدة مكسوة بالورق البردى ، مازالت تيجانها مبعثرة في هذا المكان . وتقع وراء ذلك قاعة مستطيلة ، يقوم سقفها على صفين من اربعة اعمدة لكل عمود منها ١٦ جانبا ، وهناك فوق الباب المؤدى الى هذه القاعة صورة امنوفيس الثالث وهو يرقص امام الآلهة .

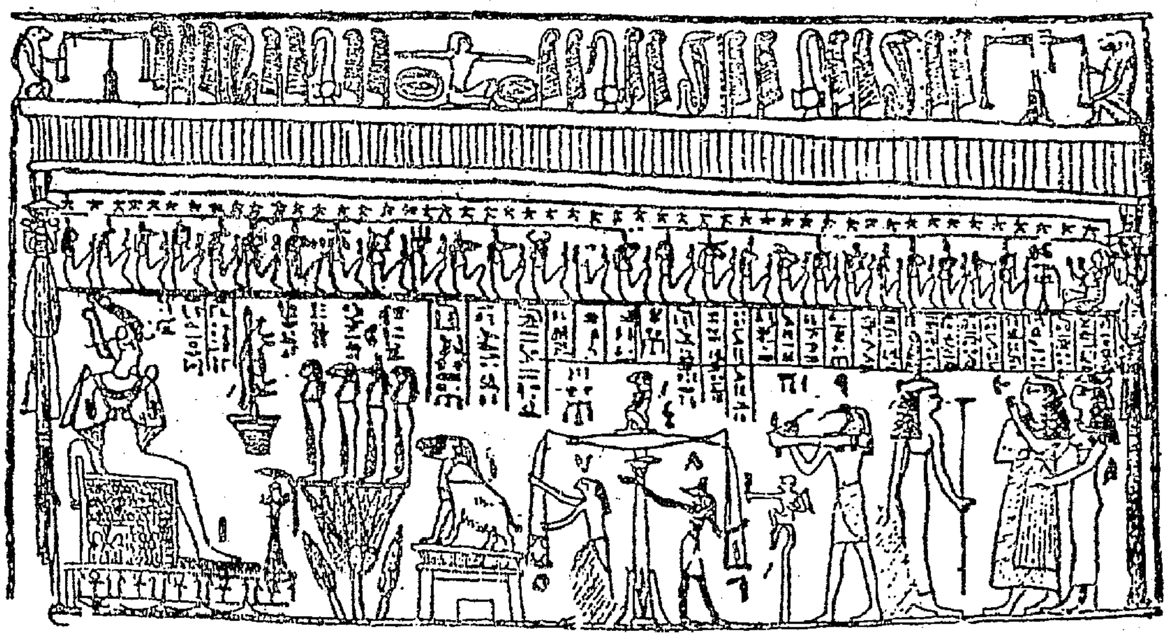
وعلى يمين الباب صورة للأمير حام ويست الأبن المفضل لدى رمسيس ، ويرى هنا مع أبيه أثناء احتفاله بالسنة الواحدة والأربعين من عيده الخمسينى .

ويقول المخطوط : «في السنة ٤١ جاء ابن الملك ، ومعه الكاهن بتاح ، ارضاء لقلب رب الأرضين ، حام ويست ، للاحتفال بالعيد الخمسينى الملكى الخامس في الأراضي كلها» .

ومازالت الرسوم البارزة في القاعة تحتفظ بالوانها الجميلة وهى لاتخلو من الطابع الفنى . ويبين الجدار الغربى (جدار المدخل) ، على اليمين واليسار ، امنوفيس الثالث مع ابيه تحتمس الرابع ، امام الموائد التى تقدم عليها القرابين .

وعلى الجدار الشمالى يرى امنوفيس وهو يقدم القرابين الى سفينة مقدسة لأحد الآلهة ، ولعله الاله حورس ، ويقدم قربانا الى نخبت التى تبدو هنا كامراة يعانقها آمون رع .

وعلى الجدار الجنوبى (اليمين) يقدم قربانا الى نخبت والى السفينة المقدسة وتعانقهم حورس آلهة هيراكونبوليس . وعلى الجدار الشرقى (الخلفى)



(شكل رقم ١٠)

(محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين)

(١) أسوريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (٢) ابناء حوريس آلهة أربعة أركان العالم (٣) اله العذاب (٤) الميزان الألهى (٥) كفة الميزان اليمنى بها قلب الميت رمز لأعماله (٦) كفة الميزان اليسرى بها معيار الحق (٧) الاله حوريس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات (٨) الاله أنوبيس يراقب كفة معيار الحق (٩) الاله تحوت قاضي الاحالة يسجل نتيجة الحكم (١٠) الروح تتبرا من كل ذنب وخطيئة امام رئيس القضاة (١١) المعبودة معت الهة العدل قابضة على الروح (١٢) القضاة وامامهم الروح تحاسب بين أيديهم .

يقدم الطقوس الى نخبت . ولقد كان الأفريز الذى عليه رؤوس حاتحور « الهة الحب واللذة والمرح » تتعاقب عليه رسومات امنوفيس ، مصدر الالهام حيث تبين ما تم في المعبد البطليمى الذى شاهدناه . وليس هناك حاجة الى الالتفات الى النقوش الهيروغليفية الأخرى لأنها ليست بذات اهمية ، ان مجرد وقفة قصيرة (من وجهة النظر المصرية) كافية لتبيان مدى عدم اهميتها ويبين المشهد الشرقى من المعبد بوضوح لماذا سميت نخبت « سيدة باب الصحراء » ، لأن بوابة التلال التى يتفرع منها طريق القوافل القديم واضحة للعيان . وتحمل الصخور التى نمر بها ذهابا وجيئة عددا من النقوش والرسومات التى يعود تاريخها الى عصور المملكة القديمة ، اما رسومات القوارب والحيوانات والرجال فانها في الغالب تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

(مقابر النبلاء في الكاب)

مع انه ليس لأى من هذه المقابر مكانة بارزة ، وأنها جميعا صغيرة نسبيا ، الا انها مع ذلك ذات اهمية كبيرة للأثريين لأن اثنتين منها تحتويان على قصتى حياة اثنين من اشهر الجنود الذين حاربوا من أجل مصر في الأيام الأولى للامبراطورية الجديدة ، احدهما حارب حينما كانت البلاد تناضل من أجل تحرير نفسها من كابوس الهكسوس ، والآخر كانت حياته العملية تتداخل الى حد ما مع سلفه حينما كانت مصر قد عقدت العزم على القيام بمخاطرتهما الكبيرة فى آسيا .

وفيما خلا مقبرتى احمس الأول والثانى اللتين كانتا اكثر اهتماما بالناحية التاريخية منهما بالناحية الفنية ، هناك مقبرة واحدة هى مقبرة باحيرى ، الجديرة بالاهتمام للصور التى تحتوى عليها للحياة المصرية المعاصرة والتعليقات الصريحة التى تصاحبها .

لقد تم اكتشاف المقبرتين في عمليات الحفر في الوجة الجنوبى لكتلة من الصخر الرملى تقع شمال شرقى البلدة حيث يفصلها عن المرتفعات الواقعة

وراءها أخدود ضيق وتسير صعدا حتى تصل الى طبقة صخرية صلبة ولكنها ليست على أية حال منتظمة الترتيب .

ولذلك فاننا حينما نتبع الخط المتصاعد من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى يكون من الضرورى أن نأخذ بالاعتبار الخط الذى يصل الى أهم ثلاث مقابر وهى مقبرة أحمس(١) ، ابن ابانا ، وهى اقدمها (ويتحدد تاريخها من وقت طرد الهكسوس والحروب التى أعقبت طردهم مباشرة) ، ثم يليها مقبرة احمس — بن نخبت التى يتداخل عهدها الى حد ما مع فترة ابن ابانا وباحيرى، وهو حفيد احمس الأول .

ومن المهم ملاحظة أن هذا السياق الزمنى في الكاب يغطى من الناحية العملية الفترة العدوانية للامبرطورية الجديدة ، لأن احمس الأول راى مصر في خضوعها وذلها تحت حكم الهكسوس .

أما حفيده باحيرى فقد عاش أثناء الفترة التى شهدت اعظم توسع للأمبراطورية في ظل حكم تحتمس الثالث وعاش ا ناء باحيرى حتى حكم امنوفيس الثانى حينما كانت الامبراطورية تحتفظ بمستوى رقعتها دون اى توسعات أخرى .

أما الانهيار فقد بدأ أثناء الحكم القصير لتحتمس الرابع ، خليفة امنوفيس الثانى ، ذلك لأنه بالرغم من المجد المادى المتفوق لحكم امنوفيس الثالث ، الا انه من المؤكد أن فترة انحسار المد في امجاد مصر كانت قد بدات.

---

(١) اجتاحت مصر سيولا من الغزاة الأجانب أخذت تتدفق على البلاد وهم الهكسوس الذين استولوا على الجانب الشرقى من الدلتا واقاموا لهم فيها قلعة فى اواريس مقرا لهم قرابة قرن من الزمان ، ومرة أخرى قدر لطيبة أن تبعث الحياة في المملكة المصرية اذ قام امير فيها يدعى أحمس بطرد الهكسوس من قلعتهم في الدلتا وتقدم الى الشرق حتى جنوب فلسطين ثم اتجهت حروب الأسرة الثامنة عشر بعدئذ الى بلاد النوبة الى اقتضت الحال غزوها من جديد فقام أحمس الأول بعدة غزوات الى أن اتمكن حفيده تحتمس الأول من اخضاع هذه البلاد حتى الشلال الثالث ومنذ هذا الوقت أصبحت بلاد النوبة (كوش) ولاية مصرية وأخذت تنشر فيها الحضارة تدريجيا (المترجم) .

وهكذا ، نرى أن مجموعة هذه الأسرة الصغيرة المؤلفة من أربعة أجيال تغطى كل الفترة التى شهدت صعود مصر من الحضيض الى الذروة .

ان اول مقبرة في الصف التى تبدا عند الجنوب الشرقى هى مقبرة السيدة ثنتاس التى كانت العازفة الموسيقية لنخبت ، آلهة المدينة وذلك في الفترة المتاخرة للأمبراطورية ، وللمقبرة قاعة مستطيلة فيها غرفة داخلية تنفتح منها ، وهناك في الجدران خمس مشكاوات تبين مدى التعديات على المقبرة فى ازمان لاحقة . وهناك على الباب لوحة منقوش عليها اسم صاحبها الأصلى ، ثم نمر الآن بخمس مقابر غير منقوشة او مزخرفة وبعد ذلك نصل الى مقبرة أحمس الثانى المعروف بأحمس بن نخبت تمييزا عن سميه .

وليست لهذه المقبرة اهمية من الناحية الفنية لأنها تعرضت لتلف بالغ، وان كانت خمس رسومات لأحمس مازالت باقية مع ابنة حام ويست الذى وصل الى مقام كبير الأبناء الملكيين لاليثياسبوليس .

وعلى الجانب الآخر من الباب رسومات لأعضاء آخرين من الأسرة، وتماثيل جنائزية محطمة . على ان اهميتها التاريخية تعتبر عوضا عن فقرها الفنى . لقد خدم أحمس - بن - نخبت تحت حكم لايقل عن خمسة فراعنة وهم : احمس الأول وامنوفيس الأول وتحتمس الأول وتحتمس الثانى وحتشبسوت وتحتمس الثالث .

ولكن لسوء الطالع انه لم يكن لبن نخبت أى نزعة او غريزة تملكية اواطماع مختلفة ، ولذلك فان روايته لخدمته المخلصة الشبه الحربية تحت هذا العدد من الملوك ، وفي فترة هامة ، ليست سوى قائمة بالمذابح التى ارتكبها او الأسرى الذين وقعوا تحت يديه .

وهنا عينة من أسلوبة فى وصفه وتوغله في آسيا الذى كان ايذانا ببدء فترة غزو مصر للعالم . وهذه اهم القابة : «الأمير الوراثى ، والقومى وحامل الختم

الملكي وكبير الخزانة ،ومبعوث سيده احمس ، والمدعو بن - نخبت » يقول : « بناء على أوامر الملك نب حتيرى (احمس الأول) ، اسرت له في (منطقة زاهى قيقيا) أسيرا حيا اصطحبته معى .

وتحت حكم امنوفيس الأول ، ارتقت روايته عن الأسرى ، ولكن أسلوبه في التحدث عن اعماله لم تتحسن قط . يقول « امتثالا لأوامر الملك زيركيرى ، اسرت له في كوش (اثيوبيا) أسيرا حيا » وخدمت أيضا تحت حكم زير كيرى واسرت له عبيدا شمال ايموكيهيك (الغزوة الليبية) ، ثلاث عبيد .

وقد استرعت انتباهه العمليات الكبيرة الى قام بها تحتمس الأول ، ولكن مع أن المرء يستطيع ان يرى أن بن - نخبت قد امتلأ بالفخر للمنجزات التى قام بها في هذه الغزوة الخالدة وان « الكتابة الجميلة » ترتعش بصورة واضحة عند طرف قلمه - فهو يقول : «لقد عملت من جديد لحساب الملك أو خبركيرى، وقد اسرت له في بلاد « نحارين » ٢١ يدا وحصانا وعربة » .

والواضح انه في هذه المناسبة تخلى عن عادته في اخذ اسرى أحياء لأنه يرى أن «الميت لازميل له» ، ولكن ٢١ميتا آسويا يبدون فينظره عددا كبيرا حتى بالنسبة الى رجل عبوس شديد المراسي مثل محارب من محاربى الكاب .

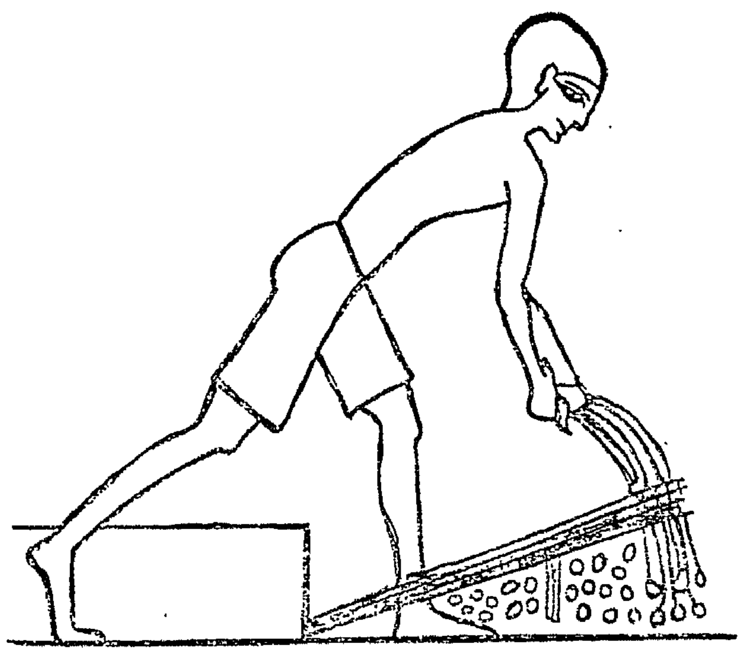
وهو يسخر من الخطابة ويبدو ذلك في تقريره عن خدمته في الغزوة الحربية التى قام بها تحتمس الثانى « لقد اتبعت الملك أو خبركيرى ، وقد سيق الى من شاسو أسرى احياء كثيرين ، اننى لم احصهم .

ان هذه اللمسة الأخيرة لاحتقاره لمثل هذه المسائل الصغيرة كتسجيل عدد اسراه ، تنفى عنه رواية بن نخبت لتهمة البلادة التى وجهناها له . وقد عملت الملكة حتشبسوت الى تكريم هذا المحارب حينما بلغ من العمر ارذلة باسناد مهمة انقذته من البؤس . وقال عن ذلك «أن الزوجة السماوية ، زوجة الملك العظيم وزهى بن كيرى (حتشبسوت) . قد كرمتنى .

لقد قمت بتربية ابنتها الكبرى ، الأبنة الملكية نفريرى ، منذ كانت طفلة رضيع » . وقد توفيت نفريرى وهى صبية ، هل الذى قتلها يهمه تربية احمس ؟ (انظر بريستد — السجلات القديمة . الجزء الثانى) .

بعد ذلك نصل الى مقبرة باحيرى ، الذى يأتى فيما بعد في السباق الزمنى ، فهو كما علمنا ، حفيد احمس الآخر ، ابن ايبانا ، الذى كان رجلا اكبر سنا من احمس بن نخبت ، وان كانت حياتهما العملية تتداخلان .

كان باحيرى رجلا ذا أهمية اكثر من كونها أهمية عليه ، وان لم يكن يحمل من القاب التكريم التى كان رجال البلاط يحبون ان تزخر بها النقوش على مقابرهم بهذه الألقاب .



(شكل رقم ١١)

منظر من مقبرة باحيرى بمدينة الكاب يمثل فلاح يقوم بعملية تمشيط الكتان بمشط مثبت في الأرض .

لقد كان « أمير نخبت ، وامير أونيت وكـان ينصرف ويقوم بعمليات التفتيش في حقول الحنطة بالولاية الجنوبية ، ومسجل حسابات الحنطة » ، وبالاضافة الى ذلك كان يتقلد منصب المربى « لابن الملك وازموس » ، كما كان ابوه اتفرورى في زمانة مربيا للأمير الملكى الذى يحمل نفس الاسم .

لقد انحدر كما راينا من عائلة عسكرية مستقرة في الكاب ، وكان جده لأمة هو احمس الأول ، ابن ايبانا . وكانت زوجته السيدة حنوت — ارنيهة ، وهى ابنة رورو ، رئيس النقل (زعيم القوافل ؟ وهو منصب وجيه) . وتمتاز مقبرته وهى الوحيدة في الكاب ، والتى تعتبر على جـانب كبير من الأهمية من الناحية الفنية ، بفتحتها الواسعة الناجمة عن تدمير بابها الأصلى .

كانت واجهة المقبرة قد حفرت في الصخر لضمان ارتفاع كاف ، وكانت على جانبى المنصة المستوية وجوه صخرية فعلى الجانب الأيمن يبين وجه صورة باحيرى راكعا وناظرا الى اعلا ، ويمارس الطقوس الدينية للآلهة نخبت حامية الكاب .

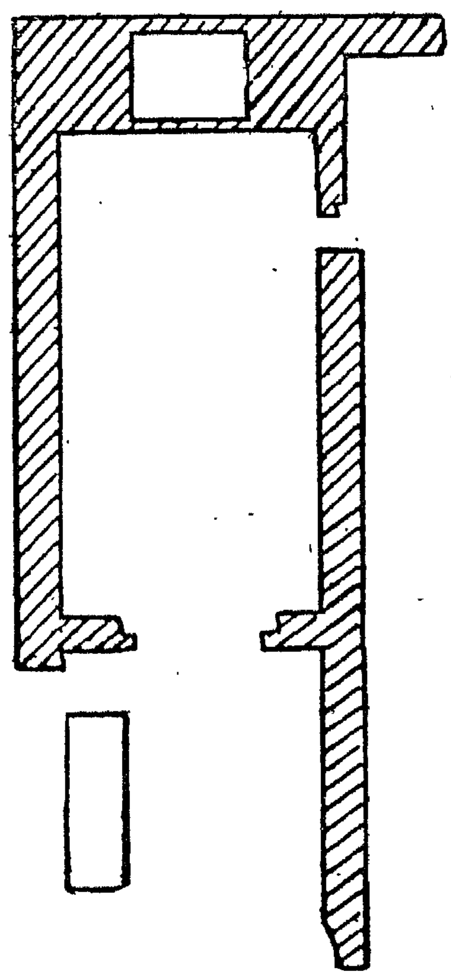
وكان الباب الأصلى مزدانا وزاخـرا بالمناظر والرسـومات التى مازال موجود منها عدد كبير من الأعمدة المنقوش عليها كتابات هيروغليفية مشوهة . وكان مكان اعداد المومياءات قد غاص في المنصة خارج الباب .

ويتسم مدخل المقبرة بالبساطة المتناهية ، فهو يتكون من غرفة رئيسية مستطيلة يتساوى طولها مع طول المحور الرئيسي ، ومشكاة مع ثلاثة تماثيل . وسقف المقبرة مقبب .

كما ان الصخر المكون من الحجر الرملى لايتيح سطحا جيدا للنقش كصخر الحجر الجيرى في مقابر طيبة ، ومع ذلك فان النقوش عليها قد تمت بطريقة جيدة ، ومازالت تحتفظ بالوانها الجميلة .

وتعتبر المقبرة مثلا طيبا للأعمال الاقليمية التى كانت تقوم بهـا الأسرة الثامنة عشرة ، وتمتاز نقوشها ومخطوطاتها بالبروز والوضوح والصراحة التى

يتحدث فيها الممثلون في المشاهد المختلفة عن جهودهم أو الظروف التى وجدوا انفسهم في ظلها ، وكذلك القافية والنكات التى يتبادلونها ، وان كان ينبغى القول بانه اذا اريد الحكم على المصرى حسب المستويات الحديثة في هذا الشأن فانه كان يلقى النكات مثل الاسكتلندى التقليدى في أصعب المواقف .



(شكل رقم ١٢)

(مقبرة باحيرى في الكاب)

(بالكوم الأحمر)

يرى باحيرى على النصف الأول من جدار المدخل « يخرج من الأرض لينظر الى قرص الشمس» .. أما النصف الآخر من الجدار فقد دمر ، ولكن يحتمل أن تكون عليه رسومات أخرى لباحيرى وهو امام وليمة في الداخل على الجدار الشرقى من الغرفة . وللجدار الغربى او الجدار الشمالى ثلاثة مشاهد ، الأول يبين باحيرى وهو يشرف على عمليات زراعية وجرد قطعان الماشية وتلقى الاتاوات . ويرى في نموذج الشكل الواقف للحاكم ، أخطاء الفنان النحات الذى نسي الجمة (الشعر المستعار) والذقن الصناعية .. الخ ، لموضوعة الى أن تم قطع اجزاء كبيرة من الحجر حتى انه لم يكن في الأمكان اضافة الأشياء التى نسيهـا .

على ان هذا العيب قد تم تلافيه باستخدام معجون المرمر ، الذى سقط الآن ، تاركا آثارا لم يكن أى واحد منها كاملا ، منها صورتان جانبيتان للوجه واذنان وجمتان .

وامام باحيرىفنرى السجلالعلوى الذىيحتوى على عمليات تحديد كميات الحنطة وتسجيل عمليات الغربلة والتذرية ولدينا هنا بعض عينات من تعليقات العمال التى تمت الاشارة اليها بالفعل .

يقول رجل يحمل قضيبا خشبيا لسلة حنطة فارغة : «الم الازم هـذا القضيب كل يوم كرجل ؟ هكذا شأننا . » وحول الثيران الخمسة غير المكممة التى تهرس القمح تحت أقدامها بيت شعر مشهور يستشهد به كل كاتب مهتم بالأدب المصرى :

(استحث الثيران
القش لكم
واسرع في ذر القمح
والحنطة لسيدكم)

ويتضمن السجل الثانى الحصاد ، بما في ذلك القنب والحنطة ، ويتم حصاد القنب بجذبه من جذوره ، فيما يجرى قطع الحنطة عند سيقانها وذلك بواسطة منجل من الخشب وحجر الصوان .

ويقول رجل مسن يعالج نبات القنب الذى حملة اليه في حزم شاب «اذا احضرت الى ١١٠٠٩ حزمة منه ، فانني أنا الرجل الوحيد الذى يستطيع معالجتها كلها . »

ويرد عليه الشاب بلهجة خالية من الاحترام وبجملة وقحة يتلاعب فيها بالألفاظ ما ترجمته : « اسرع ، ولا تثرثر ، أيها العامل العجوز الدجال ». ويبين السجل الثالث عمليات الحرث والذر وكسر الطحين .

وتظهر في الأمام ، بالقرب من قدم صورة باحيرى الواقف ، عربة الرجل بحصانيها وعجلاتها الأربع البدائية (كانت العربات في ذلك الوقت مازالت شيئا جديدا) ، مع سايس الخيول الذى يصيح بالحصانين الهلعين : « اثبتا . وتذرعا بالصبر .. ايها الطيب الذى يحبه سيده ويتباهى الأمير به لكل انسان » .

وتحت هذا المشهد ، مشهد آخر يبين احصاء وتعداد الماشية ، امام باحيرى الجالس وهو يسجل بنشاط المجموع بنفسه ، وبعد ذلك نرى الحبوب اثناء شحنها وسط تعليقات العمال : «هل كتب علينا ان نقضي اليوم بطولة نحمل القمح والشعير الأبيض ؟ لقد امتلأت الصوامع وأخذت اكوام الحبوب تتساقط من حافاتها ، وحملت الصنادل بأكثر من طاقتها وراحت الحنطة تسقط منها .

ومع ذلك ، فما زال السيد يحثنا على الاستمرار في العمل .. حسبنا اننا رجال من البرونز . »

ونشاهد على هذا الجدار الغربى حياة باحيرى غير الرسمية ووسائله الترويحية حيث يشاهد صيادي السمك وصيادى الطيور التابعين له ، ويرى في مشهد آخر جالسا مع زوجته وهو ينظر الى الفاكهة والأزهار والألعاب التى تمارس أمامه .

وفوق الزوجين يجرى جمع غلة الكرمة ، فيما يرى باحيرى في جزء آخر من الجدار جالسا مع الأمير الصغير وازموسى، الذى يميزه ازاره الجانبى الطويل، وهو جالس على ركبتيه .

وتبين النهاية الداخلية لهذا الجدار الغربى الطقوس الجنائزية المألوفة ولا تحتاج الى وصف — فقد شاهدناها مصورة بطريقة ادق وأوضح في مقابر طيبة وسبق وصف مثل هذه الطقوس .

أما الجدار الشرقى أو الأيمن فقد انشيء فيه باب في تاريخ لاحق ، يفضي الى غرف أحدث عهدا لاعلاقة لها بالمقبرة الأصلية . وهنا في هذا المكان نرى مشهدان ، اولهما يرى باحيري وزوجته جالسين امام خوان صنع أثناء عمل الباب الآنف الذكر ، فيما يرى ابنهما امينموس يمارس طقوسا دينية اماميما ، لأنهما يرأسان وليمة جنائزية تحتل بقية المشهد وتظهر صورتاهما بحجمهما الطبيعى .



(شكل رقم ١٣)

(حفل نسائى من عصر الأسرة الثامنة عشرة)

ثم يأتى اتيفرورى وزوجته ، وهو أب باحيرى ، وجده احمس ؛ ابن ايبانا وزوجته ، تظهر صورهم بأحجام اقل من الحجم الطبيعى . واخيرا نأتى الى الضيوف العاديين المقتنعين بالجلوس على حصر دون مايحظون بأى اهمية ،

فيما يقوم الموسيقيون بامتاع جميع الحاضرين بموسيقاهم ونرى صور المشروبات والمأكولات اثناء تقديمها للمدعوين .

وتعتبر بعض هذه المخطوطات في هذا المشهد وثائق غريبة وعجيبة أكسبت مدينة الكاب سمعة « مدينة الخلاعة والتهتك والتبذير » في عهد الأسرة الثامنة عشرة . ويبين المشهد المذكور اثنتين من بنات عمومة باحيرى وهما سيت آمون ونوب — ميهى ، مع خادم يقدم النبيذ لهما .

وترى سيت آمون وهى ترفض الكأس ويعلق الخادم على ذلك بقوله : « من أجل سموك اشربى لأجل الشرب وتمتعى بالعيد ، اصغ الى ما يقول رفيقك . . لا ينالك تعب من تناول الكأس » .

ما الذى قالته رفيقتها نوب ميهى هو : « اعطنى ثمانى عشر كأسا من النبيذ : اننى احب ان اشرب لأجل الشرب ، ان جوفي جاف كالقش ! » .

ان هذا في الواقع ليس حوارا رفيعا ، ولكن السيدة والخادم كانا يمزحان ويوحى المشهد بأنه فض مجالس فهو يعكس حاسة دعابة كقول نوب ميهى بان جوفها جاف .

ويظهر على باقى هذا الجدار باحيرى مع زوجته وثلاثة من أبنائه وهم يقدمون القرابين للآلهة ، ويحمل باحيرى مصباحين أو مبخرتين بكل واحدة منهما خمس ذبالات ، ووراء القرابين عدد من حاملى الآلات الموسيقية .

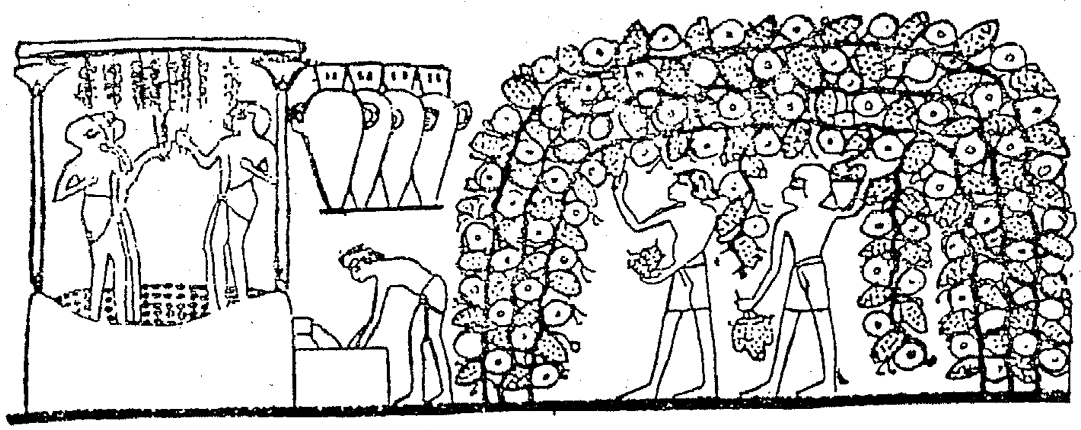
وعلى الجدار الخلفى مخطوط طويل يتحدث عن جميع فضائل باحيرى . ويبدو مظهره بقامته المستديرة والمشكاة التى في وسطها تماثيل ، مثل عمود هائل مزدان بالنقوش ، وهو مما لاشك فيه نتيجة لأفكار المهندس المعمارى الذى كانت تدور بخلده حينما صمم هذه المقبرة .

ولا تنطوى هذه النقوش على اى اهمية . وذلك مرده الى غياب اى لمسات شخصية تعطى ومضات فنية حتى لترجمة حياة كحياة جد باحيرى ، أحمس الأميرال ، ابن ايبانا .

ان التماثيل المكسورة في المشكاة هى لباحيرى وأمه كيم وزوجته حنوت-ايرنهة . ويرى باحيرى على الجدار الأيمن وهو يقدم ضروب الولاء لأميرين ملكيين كان هو وأبوه قد قاما بتربيتهما وتعليمهما ، كذلك لأبيه اتفريرى وأمه كيم .

ويظهر الجدار الأيسر باحيرى وزوجته جالسين أمام خوان القرابين فيما يؤدى ابنهما امنموس امامهما الشعائر التى يمكن ان تمتع أبوية .

ويحتمل ان يكون تاريخ بناء هذه المقبرة يعود الى أوائل حكم تحتمس الثالث وان الأشكال الفرعونية المستطيلة مليئة بالطلاء الأزرق .



(شكل رقم ١٤)

(جمع العنب وعصره الأسرة الثامنة عشرة)

ثم نمر بعد ذلك في مقبرة خالية من النقوش ، منتقلين الى المقبرة الواقعة ورائها وهي مقبرة سيتاو ، كبير كهنة نخبت في الكاب في عهد رمسيس التاسع. وهذا هو آخر قبر عليه نقوش في الكاب .

ولكن لسوء الطالع اصابه تلف بالغ . ويؤدى درج صغير من اربعة درجات في انحدار الى قاعة متفرع منها ثلاث غرف أخرى .

وعلى الجدار الأيسر مناظر عن الحرث والحصاد . الخ ... التى دمرت الآن تماما ولم يتبق منها سوى اربعة قوارب جنائزية واضحة كما ينبغى ذكر الاحتفال بالعيد الخمسينى لرمسيس الثالث الذى كان في التاسعة والعشرين من العمر ، وكان يؤدى طقوس الاحتفال فى مهابة دينية .

ولذلك لابد ان بدا سيتاو حياته العملية الرسمية اثناء الجزء الثانى من حكم رمسيس الثالث ، وانه بقى حتى عهد رمسيس التاسع — ولم تكن مهمته شاقة لأن الرعامسة المتاخرين حكموا لمدد قصيرة الأجل .

ونرى على الجدار الأيمن سيتاو وزوجته جالسين ، في حين ان صهرهما الذى كان الأب الألهى لآمون رع ، يقدم القرابين لهما وتحت مقعد سيتاو ، يجلس قرد افريقى ، ويجلس اقارب سيتاو في صفوف امامه .

على إن هذا المشهد قد قطع بعد فتح باب المقبرة في تاريخ لاحق ، وهذا الباب يفضي الى احدى الغرف . وهناك لوحة على الجدار الخلفى عليها نقوش قد اصابها تلف شديد . وهناك نقوش تحدد تاريخ بناء هذه المقبرة في السنة الرابعة من حكم رمسيس التاسع ، فيما بين عامى ١١٧٤ و ١١٥٢ ق . م .

وبعد أن نجتاز مقبرة اخرى غير منقوشة ، نصل الى مقبرة احمس الأكبر سنا وهو احمس الكاب ، أو أحمس ابن ايبانا ، أو كما يمكن تسميته استنادا الى أحد المناصب الذى كان يشغلها وهو الأميرال احمس .

وهذه المقبرة مهيبة ، وهى تتالف من غرفة مستطيلة ذات سقف مقبب وغرفة اخرى على الجانب الأيمن تمتد منها اسطوانة المومياءات . ويرى احمس نفسه على الجدار الأيمن مع رجاله ، واقفا امام مخطوط طويل يحدثنا عن اعماله الشبه الحربية .

ويرافقة حفيده باحيرى ، الذى قابلناه بالفعل في مقبرته ، والذى اضاف صفه ودقة الفنان الى منجزاته الأخرى .

لقد كان مسئوولا عن تشييد مقبرة جده ، ولكنة لم يستكملها قط ؛ وان الأقواس الحمراء التى حدد بها الفنان نسب شخصياته مازالت ترى على الجدار الأيسر . ويظهر الجدار الخلفى كثير من رسومات اصابهـا تلف شديد للأميرال الكبير وزوجته جالسين مع قردهما المدلل تحت كرسيهما فيما يقف اقاربهما امامهما .

على ان الأهمية الرئيسية لمقبرة المحارب الكبير ، الذى كان جنديا وبحارا أيضا ليست أهمية فنية وانما تاريخية لأنه عاش وقاتل طوال مايمكن القول عنه بالضبط أزمة المصير الأول للأمبراطورية المصرية ، حينما طردت الأمة المصرية الهكسوس الطغاة وركبت موجة الوعى القومى المتيقظ ابتداء من غزو آسيا التى اسفرت عن انشاء الامبراطورية الآسيوية القصيرة العمر التى انشاها الفراعنة .

كان أحمس ابن ايبانا الذى خدم تحت حكم الملك سقنرع الثالث ، ملك طيبة ابان حرب الاستقلال وامه التى يرتبط اسمها دائما باسمه ، وهى ايبانا .

لقد بدأ مخطوطه بقوله : «أنا احمس ، قائد البحارة ، وابن ايبانا ، اننى اتحدث الى جميع الرجال ، اننى اعرفكم بالتكريم الذى لاقيته .. لقد كوفئت بالذهب (الاسم الفنى لمكافأة الشجاعة المصرية) سبع مرات امام مرأى البلاد كلها ، ومع العبيد من الرجال والاماء ، وكيف انعم على بحقول كثيرة (٦٧ فدانا في جملتها ، ولذلك فان الهبات التى حصل عليها لم تكن كثيرة) . وذلك لأن شهرة الرجل الباسل تكمن فيما فعلة وهى لن تتلاشي فى هذه الأرض وعلى مر الزمن الى الأبد .»

ثم يمضي يروى لنا كيف أن أباه ، بابان ابن روينيت ، كان جنديا تحت تحت قيادة سقنرع وكيف بدأ هو نفسه يعمل بدلا من أبية في السفينة « الثور

البرى » . في عهد سيد الأرضين ، بب حتيرى (احمس الأول) ، حينما كنت يافعا ، ولم اتزوج ، ولكنى كنت انام في ارجوحة صياد من الشبك . »

ثم يتحدث عن اعماله ضد الهكسوس في افاريس ، التى اكسبته مالا كثيرا لايقل عن ثلاث مكافآت ذهبية للشجاعة التى عملها ، ثم ينقلنا مع جيشه المظفر الزاحف الى فلسطين ، حيث نراه يخدم في الحصار الطويل الذى فرض على شاروهين بطريقة اكسبته مكافأة ذهبية رابعة .

وتحملنا عملياته الغالية جنوبا الي النوبة ، حيث كان الملك احمس يوطد من جديد دعائم السيطرة المصرية . وهناك نجده يجمع الأسرى كالعادة ، ويكسب الجائزة الذهبية الخامسة .

وليس ثمة شك في أن العطايا من العبيد والأرض كانت تتراكم عليه طوال الوقت وكذلك الجوائز الأخرى البراقة ولكنها كانت اقل اهمية .

اننا نجده الآن تحت حكم ملك جديد، وهو امنوفيس الأول ، يقود الأسطول الملكى في غزوة ثانية الى بلاد النوبة ، حيث يروى لنا بتواضع « انه قاتل بصورة لاتصدق » (وبالمعنى الحرفى اكثر من الحقيقة) . على ان الحملة ضد النوبيين قد عطلتها انباء عن غارة ليبية على مصر .

وكان على أحمس ان يعجل في دفع جيشه شمالا لمواجهة الخطر ، ويبدو انه اقدم على ذلك لتحقيق غرض وهو أن السفينة الملكية قطعت ٢٠٠ ميل في يومين ، ولذلك لم يكن بد من الفرعون المعترف بالجميل الا ان انعم عليه بجائزة ذهبية سادسة .

وقد حدث في القتال الذى اعقب ذلك ، ان عمد الى اظهار وتمييز نفسه لتحقيق غرض في نفسه ، وهو أن الملك عينة في منصب «محارب الحاكم» ، وهو منصب شرف في اللواء الملكى .

وكان مازال امامه خطوة اخرى لتحقيقها ، وقد تحقق له ما اراد في ظل حكم تحتمس الأول ، اثناء حملة اخرى ضد النوبة : « لقد ابديت بسالة عظيمة

في وجود الملك في مياه غير مستقرة وفي الطريق الذى كانت تشقه السفينة . وقد عيننى الملك رئيسا للبحارة » او كما نصفه نحن اليوم ، بالأميرال .

وكان أمام المحارب المسن مخاطرة أخرى قبل أن يعتزل ويعود الى الكاب لكى يقضى بقية أيامة في مزارعة التى اكتسبها بشق النفس . كان الميدان هذه المرة هو سوريا .

وهو يروى لنا ان تحتمس ،في غزوه لآسيا ، كان يتأثر من غزو الهكسوس لمصر « لقد سافر الفرعون الى رتينو ليغســـل قلبه ويشفى غليله من البلدان الأجنبية » ويحتمل ان يكون الأميرال أحمس الآن قد بلغ الخامسة والستين من العمر ، على أن حماسه لم يفتر بعد .

وقال : « لقد كنت في تلك الأثناء على راس قواتنا وقد شاهد جلالته بسالتى وشجاعتى ، لقد وقعت في اسرى عربه بحصانها وقد اسرت كل من كان فيها ، واحضرت كل ذلك الى جلالته . وقد انعم على الفرعون بجائزة ذهبية مزدوجة .

ومع اننى تقدمت في السن وبلغت من العمر أرذلة ، الا ان تكريمى استمر كما كان منذ البداية . »

عند هذه الملاحظة المرضية ،تنتهى قصة صديقنا العجوز ، وقد ذهبنا نتخيله جالسا في الظل في قدادينه السابعة والستين ومزارعه الكثيرة حوله وهو يعد على اصابعة عدد الأسرى الذين وقعوا في يده والجوائز الكثيرة التى حصل عليها، ويمشي جيئة وذهابا وهو يلاحظ حفيده اثناء بنائه لمقبرته .

ولكنه لم يعش ليراها قد تمت ، ولكن مخطوطه النادر مازال موجودا ولا يقدر بثمن ، فهو أكثر انسانية من قائمة المذابح التى ارتكبها من كان اقل منه منصبا وهو احمس — بن — نخبت ، وان المرء يبدو انه يلمس شخصية حقيقية قوية وشجاعة من اقوال ذلك الأميرال العجوز .

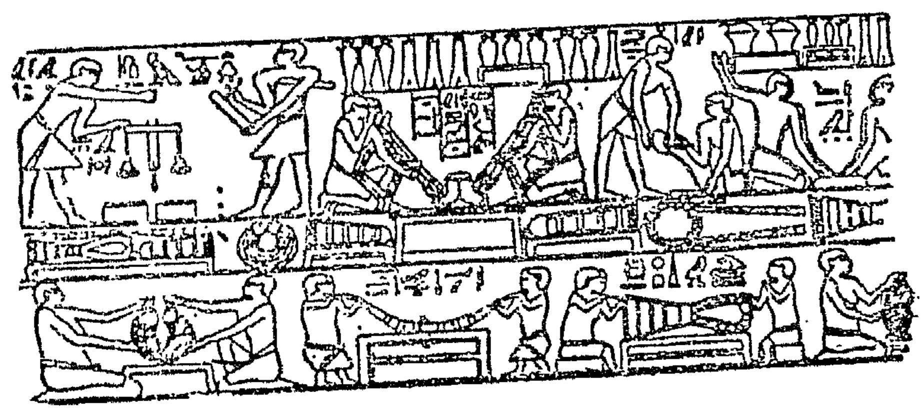
ووراء المقبرتين التاليتين ، اللتين ليس فيهما ما يثير اهتمامنا ، تقع مقبرة رينينى، الذى كان اميرا وراثيا ومشرفا على الكهنة في الأيام الأولى للأسرة الثامنة عشرة .

وتظهر على الحائط الأيسر لغرفة المقبرة ، غربة يجرها حصانين،ومشاهد مختلفة لمواسم ورسومات لرينينى وزوجته وهما يرأسان احتفالا جنائزيا ، ويرى اصدقاؤهما جالسين قبالتهما .

وعلى الحائط الأيمن مشاهد جنائزية مختلفة ، منها الشكل العادى وهو عبارة عن شخص مغطى بالجلد ومجرور على مركبة ، وقد يكون هذا الشخص قربانا بشريا أو نمطا للبعث . وهناك المشاهد العادية لفتح الأفواه وتقديم القرابين والمراكب التى تقل جثث الموتى والندابين .

وتجدر الاشارة الى قطيع الخنازير الذى يبلغ عدده ١٥٠٠ خنزير مملوكة للأمير ، وكان باحيرى ايضا يملك خنازير ، وهذا أمر يدعو للغرابة ، لأن الخنازير عموما ليست شائعة بين المصريين والعبرانيين .

وقيل أن هيرودوت يؤكد ان الخنازير كانت مقدسة بالنسبة الى سيلين ، التى كانت مرتبطة بنخبت ، آلهة مدينة الكاب حيث كانت للخنازير هنا مكانة تقليدية لأسباب دينية .



(شكل رقم ١٥)
(صانعو المعادن في عصر الدولة القديمة)

ونمر الآن في قبور عديدة ، منها ما كان مكشوفا بسبب انهيار الصخور حيث تؤدى مجموعة قصيرة من الدرجات الى مدخل مقبرة بابا وزوجته التى كانت « وصيفة ملكية » في الفترة الغامضة الواقعة بين الأسرة الثالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة . وللمقبرة سقف مقبب وعلى الحائط الأخير نقوش طويلة تبين رسومات لبابا وزوجته .



(شكل رقم ١٦)
(الملك العقرب وهو منظر يمثل راس دبوس حيث يمثل الملك وهو يشق)
(قناة للمياه)

وقيل ان بابا كان يملك تسعة خنازير ، ولذلك فان الخنازير كانت لها مكانة تقليدية في الكاب . ووراء مقبرتين أصيبتا بدمار شديد تقع مقبرة سبكتاحت ، الأمير الوراثى والكاهن الأعظم في ظل حكم الفرعون سخموازتورى (سبيب حوتب الثالث من الأسرة الثالثة عشرة) .

وهذه المقبرة لايمكن الوصول اليها الآن ولكن لها غرفة مقبية وسقف تملأه النقوش والزخرفة . وليس هناك مقبرة اخرى غير هذه المقابر لها اهمية ذو بال .

(هيراكونبـوليس)

والآن نعبر النهر الى قرية « الموصات » التى تقع بالقرب منها بقـايا مدينة نخن ، التى كـانت لها فى المـاضى شـهرة كبيرة ، وهى معروفة لدى الأغريق بمدينة هيراكونبوليس ، بسبب ولائها لحورس الذى له رأس صقر .

ويعرف موقع المدينة القديمة الآن بالكوم الأحمر ، وهو لقب مشتق من الأوانى الحمراء التى كانت موجودة بكثرة وفيرة على مرتفع يقع شرقى القلعة التى تعتبر أبرز البقايا القديمة . وأحسن ما يمكن ان يقال على الفور أنه ليس هنا شيء يستحق الزيارة من جديد من جانب أى شخص سوى اخصائى او سائح مهتم جدا بتعلم الآثار لأن الموقع عبارة عن « فوضى من الأكوام والحفر الصغيرة تنمو عليها الأعشاب البرية والعوسج .



(شكل رقم ١٧)

وجه لوحة نارمر (مينا) نقش عليهـا بالحفر البارز اسـم الملك بين راسي بقرتين ويرى الصقر حورس يحضر الأسرى (منطقة هيراكـونبوليس) عصر (الأسرة الأولى)

ومع ذلك فان لهذا المكان اهمية كبيرة وساحرة حينما نعلم ان هذه البقعة التى لايرجى منها شيء جاء منها بعض اروع كنوز اقدم مملكة في التاريخ يزخر بها الآن متحف القاهرة . منها تمثال خع — سخموى (3056, U42, Case) ولوحة الوان صور نارمر — (3055, U 42 West) — والتماثيل النحاسية للملك بيبى الأول وولده — (230231, G32; Contre) — . ورأس الصقر الذهبية التى لاتضاهى — (4010, U3, Case 3) .

ان أول نقطة وموضع اهمية واضحة هى اطلال القلعة القديمة والتى مازالت تمثل ملامح باهرة ورائعة لمنطقة ريفية بالرغم من مرور خمسة آلاف سنة عليها .

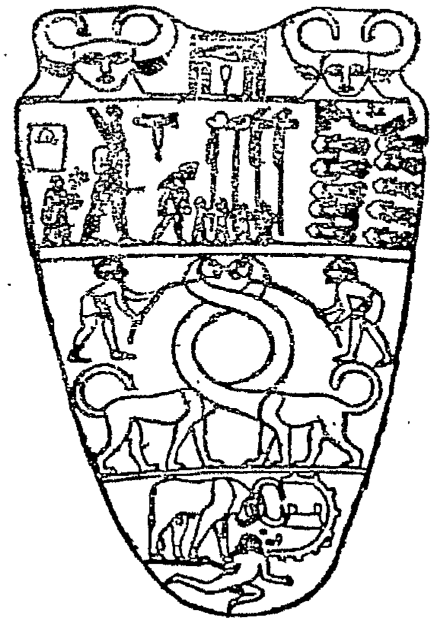
ومن بين هذه الأطلال اسوار ضخمة من الطوب الخشن ، يتراوح سمك جدرانها بين ١٥ و ١٦ قدما وهناك امام السور الرئيسي ، وبعد مسافة تتراوح بين سبعة وثمانية أقدام يوجد سور ثانوى يبلغ سمك جدارة ثمانية اقدام .

ومازالت أجزاء من السور الرئيسي على الجانب الجنوبى — الغربى بصفة خاصة ، تتراوح ارتفاعاتها بين ٢٦ و ٣٠ قدما .

ومن المرجح ان تاريخ هذه القلعة ، مثل المبنى الضخم المماثل له فى ابيدوس (شونة الزبيب) حيث يبدأ من الأسرة الأولى او الأسرة الثانية . «ان المنطقة الواقعة بين الأسوار مغطاة بأكوام النفايات والرمال» بيد أنه لا ينبغى للزائر أن يمتنع عن دخول ذلك المكان ، لكى يشاهد ما يسحره بالرغم من انحصار هذا المكان وراء اسوار ضخمة وعالية .

وسينعزل الزائر كذلك عن العيون والأصوات في الخارج ، الا ان هناك انطباعا رائعا بالجلال والهيبة سرعان مايحس به الزائر او السائح له .

وعلى مسافة قصيرة الى الشمال — الشرقى من القلعة — وفي المنطقة المزروعة ، توجد أطلال مدينة قديمة يحيط بها ما كان في الماضي وهو عبارة عن سور من الطوب الخشن .



(شكل رقم ١٨)

ظهر لوحة نارمر (مينا) نقش عليها بالحفر البارز حيوانان خرافيان ويشاهد ثور ينطح قلعة كناية عن انتصار الملك على اعداءه (الأسرة الأولى) (منطقة هيراكونبوليس)

وفي هذه المنطقة أجرى السيد ج ٠ ا ٠ كويبل في عام ١٨٩٨ اكتشافاته الشهيرة التى وضعت في مجلدين صدرا عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٢ (Hierakonpolis, — PART I and II) ، وتحمل اكبر اللوحات الأردوازية سجل وصور انتصارات نارمر او مينا ، مؤسس الأسرة الأولى وتيجان الصولجانات للفرعون العقرب ولنارمر او مينا .

والتماثيل الصغيرة الدقيقة الاردوازية لخعسخموى ، والتحف الرائعة من صنع النحاتين المصريين الأوائل وتماثيل نحاسية للملك بيبى الأول وولده الأمير ميرنرى ورأس الصقر الذهبية الملصقة بجسم نحاسي وعليها ريش طويل من الذهب .

ومع ان الموقع قد لايكون الآن جذابا . الا أنه يظل واحـدا من المواقع الكلاسيكية الهامة في مصر نظرا للاسهامات التى قامت بها معرفتنا للتـاريخ المصرى القديم وتطور الفن المصرى في مراحلهما الأولى .

وتقع هذه المقبرة عند اقصي الطرف الجنوبى - الشرقى لمقبرة من مقابر ماقبل التاريخ حيث تمتد بعض المسافة جنوب القلعة .



(شكل رقم ١٩)

(ملابس الاحتفالات في اواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة)

ولقد اكتشف السيد كويبل في موسمه الثانى (١٩٠٢) ، القبر المطلى الشهير لعصر ماقبل التاريخ وذلك في الحقبة الثانية لعصر لما قبل الأسرات، والذى قال عنه البروفسور جوردون تشايلد « انه من اقدم الرسومات النحتية على الجدران ، وأنه التاريخ المتسلسل من طلاء الزهريات في زمن ما قبل التاريخ. (The Most Ancient East, P. 93) - ان تفاصيل هذه الآثار الرائعة أشهر من ان تحتاج الى وصف .

ويقع غربى القلعة مباشرة مرتفع اختفزت فيه مقابر عديدة ، منها اثنتان فيهما مشاهد ورسومات من الطراز العادى مع زينة من الطلاء وبعض صـور اشخاص بارزة بروزا طفيفا .

والمقبرة الأولى تخص«خازن الصقر»لحكم الملك بيبى الأول الذى يبدو أن اسمه هو نى عنخ پيبى ، أما الثانية فانها تخص شخصا يدعى حارنحومايت الذى كان مشرفا على الكهنة والحقول تحت حكم أحد فراعنة المملكة القديمة . ولكن المقبرتين طغت عليهما الرمال والركام الآن .

وهناك على مسافة الى الغرب تقع مجموعة تبلغ عشرة من المقابر الصخرية التى اصاب بعضها خراب شديد . والمقبرتان الأوليتان عبارة عن غرفتين مستطيلتين خاليتين من أى نقوش أو مخطوطات او نحت . أما الثالثة فلها مخطوط منحوت حول الباب وعلى عتبة الباب العليا نقوش تبين رسم لتحتمس الأول .

وهذه المقبرة تخص مراقب المثالين والنحاتين الذى يدعى « ثوت » ، وللمقبرة غرفة مستطيلة ذات سقف مقبب مع غرفة ثانوية تتفرع منها على الجهة اليمنى .

وهناك في الغرفة الكبيرة مشكاة فيها تمثالان مشوهان لثوت وزوجته وتؤكد اللوحة المنحوت عليها هذه النقوش ان ثوت كان يتمتع بالفضائل التى يزعم المصرى دائما في النقوش الموجودة في مقبرته انها من خصاله .

وليست هناك أهمية للمقابر الرابعة والخامسة والسادسة ، أما السابعة وان كانت ذات أهمية في فترة ما ، فانها قد انهارت . والمقبرة التاسعة عبارة عن مجرد غرفة طويلة لها غرفة فرعية .



(شكل رقم ٢٠)

(صب المعادن الأسرة الثامنة عشرة)

وتتألف المقبرة العاشرة من غرفة طويلة تتفرع منها غرفة ثانوية حيث تقع في نهايتها مشكاة فيها بقايا تمثالين .

كانت الغرفة الرئيسية في فترة ما مزينة جيدا ولها نقوش ومازال في امكان المرء ان يتبين بعض بقايا هذه المشاهد ، منها نساء يرقصن وهن يحملن طاقات من الزهور واوراق العنب .

وأسم صاحب المقبرة هو « حرموس » الذى كان كبير كهنة حورس في هيراكونبوليس اثناء حكم تحتمس الثالث . ولكن المقبرة مالبثت ان اغتصبت في ايام لاحقة لأن رسوم رمسيس الثانى عشر تظهر أيضا على جدرانها ، على ان هذه المقابر ليست بذات اهمية في حالتها الراهنة كمقابر الكاب الواقعة عبر النهر ، ولايمكن القول بأن تتساوى مع المتاعب التى يتجشمها المرء في زيارتها .

وليس في هيراكونبوليس سوى النذر اليسير مما يشاهده الزائر العابر ، لأن الزمن قد قسا بشدة على هذه المدينة التى لابد انها كانت في يوم من الأيام واحدة من بين اجمل واهم المدن المصرية القديمة .

وهناك على مسافة الاثنى عشر ميلا بين الكاب وادفو توجد مقبرة او مقبرتان قديمتان ، ولكن ليس فيهما ما يدعو الى ذكر اى شيء او انهما تسترعيان انتباه الزائر او المسافر حيث انهما قد نهبا وسرقت معظم واهم محتوايتهما وزالت معظم المعالم الهامة من على الجدران .

الفصل الثلاثون

(ادفو : معبدها وتاريخها)

تعتبر ادفو واحدة من المحطات التى تقف عندها البواخر السياحية التى تسمح للزوار بوقت كاف لزيارة المعبد الكبير . ولما كان هذا المكان مزارا في منتصف الطريق بين الأقصر وأسوان ، فانه يمكن زيارته بالقطار من أى من المكانين براحة متساوية .

ولكن يجب الا يغرب عن البال انه في حالة القيام بالزيسارة بواسطة القطار فان المحطة تقع في الضفة الشرقية بينما تقع ادفو في الضفة الغربية . وان الوقت الذى تستغرقة « المعدية » وركوب الراحلة من نقطة الهبوط على الضفة الغربية يجب خصمة من الوقت المتاح لزيارة المعبد .

ان قطارات الصباح التى تقوم من الأقصر او اسوان تصل محطة ادفو حوالى الساعة العاشرة وان قطارات العودة تغادر ادفو حوالى الساعة الواحدة والنصف .

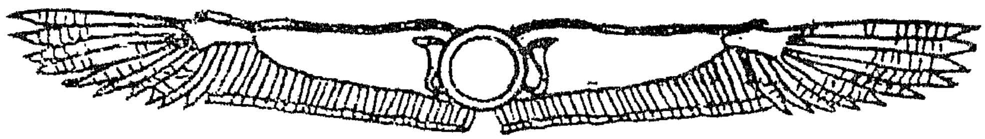
ولذلك فانه يمكن ان نرى بكل بساطة أن انفاق ثلاث ساعات ونصف الساعة مع استخدام معديتين وركوب حمارين ليست مشقة كبيرة في سبيل زيارة معبد هام من اهم المعابد كمعبد ادفو .

وعلى الزوار أن يبذلوا كل الجهد لرؤية المعبد الذى وان كان متأخرا في التاريخ ، الا أنه يعتبر من أكثر المعابد المصرية الكبيرة المتبقية في حالة كاملة وجيدة ، ويعطى أوضح فكرة للعناصر الحيوية الكاملة لعظمة وروعة ذلك البناء الشامخ في روعة وبهاء .

كانت بلدة ادفو تدعى في الأزمنة الغابرة « دبو » أو « ادبو » وتعنى «بلدة الإقتحام» . والاسم القبطى لها هو اتبو ، وهو الذى اشتق منه اسم ادفو . وكان اسمها الدينى القديم بحدت أو بحودت والهها المحلى ، وهو واحد من الآلهة العديدة التى يدعى الواحد منها حورس ، يدعى حور بحودتى او حورس ادفـو .

ويرتبط الأسمان بأسطورة قديمة ، وهى وان وصلت الينا في شكل متاخر نسبيا ، الا أنها مما لاشك فيه تمثل تقليدا أصليا قديماً وهى تروى عن الحروب التى دارت فيمـا بين القبائل . كما تروى لنا الأسطورة كيف أن حور بحودتى كان يتمثل في شكل قرص شمس متعدد الألوان ذى احنحة ، عزا سيت واتباعة .

وحورس الذى يميز عن حورس الآخر المعروف ، بابن ايزيس حسب اسـطورة أوزوريس ، قـد تلقى مساعدة في حربه مع سـت وأنصاره بتزويده بعدد من الرجال الذين كانوا ملمين بفن الحرب والقتال بالأدوات المعدنية .



(شكل رقم ٢١)
(قرص الشمس ذو الأجنحة رمز حورس)
(الظافر ، اله ادفـو)

ويبدو من المحتمل ان لدينا هنا رواية تقليدية عن غزوة حقيقية لقبائل بدائية تستخدم القذف بالحجارة ضد الغزاة الذين يستخدمون الأسلحة المعدنية ومهما يكن من أمر فان حورس ادفو او حور بحودتى ، وهو اله له راس صقر ويتبوأ مركزا بارزا فى علم الأساطير المصرية .

ولكن اسطورته اختلطت فيما بعد باسطورة اوزوريس ، كما اختلطت أيضا باسطورة حورس ابن ايزيس ، ولكن مركزه الأصلي كان في دائرة أساطير رَع وليس في الدائرة الأوزوريسية اطلاقا .

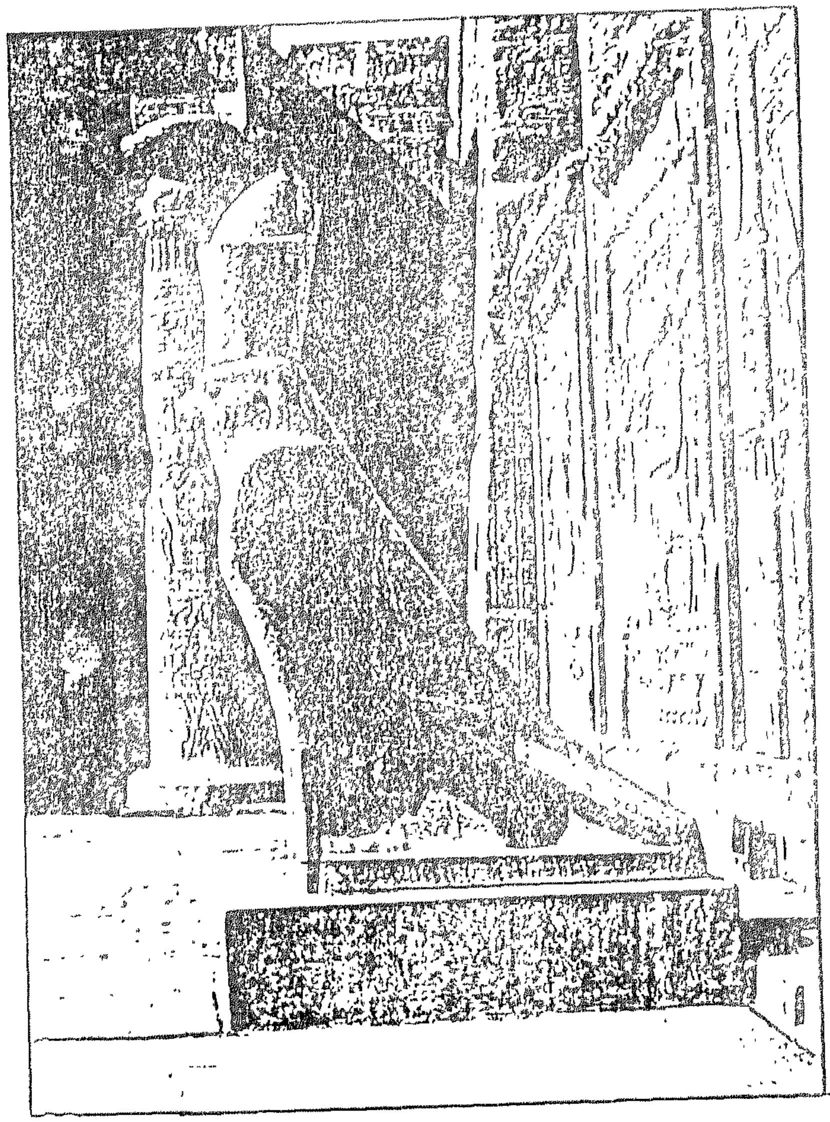
واصبح شعاره ، وهو عبارة عن قرص شمس مجنح متعدد الألوان ، كما هو معروف لكل شخص ، رمزا للحماية ضد جميع الشرور ، وهو منقوش فوق بوابات جميع المعابد المصرية .

ولايمكن القول سوى النذر اليسير عن التاريخ الأول للمكان ، فالمواد القليلة التى وصلت الينا عن الفترة المضطربة التى اعقبت انهيار المملكة الوسطى – منها لوحة عليها نقوش فرعونية وجدت هنا تشير الى اميركان ابن فرعون مغمور يدعى دوردموز الذى يبدو ان مكانته في هذه الفترة كانت مجرد تابع لملك يدعى انتيف ، كما عثر على دلاية ملكية عليها اسم زوجة ملكية عظيمة (سبك – أم ساف) .

كما عثر على لوحة اخرى لأسرة الملكة نفسها عليها نقوش مختلفة – ولا تخدم هذه الأشياء شيئا اللهم سوى جعل الرؤية ممكنة في الظلام . وقد عمل رئيس خدم الملكة المشهورة اختب ، من الأسرة الثامنة عشرة ، على تجديد مقبرة سيب كم ساف في ادفو .

وبحلول عصر تحتمس الثالث ، اصبحت الرحلة السنوية التى تقوم بها حاتحور او آلهة دندرة . لقضاء بضعة أيام في ادفو مع زوجها حورس ، مهرجانا منتظما رائعا . وتبوأ ابن هذين الالهين حارسم اتاو او « حورس موحد الأرضين » ، مكانه كالعضو الثالث في ثالوث ادفوودندره .

وفي عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين يبدو أن العمل الذى قد انتهيا منه في المعبد الذى كان قائما اذ ذاك في ادفو كل من سيتى الأول ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع ، لأن رسومات صور هؤلاء الفراعنة قد عثر عليها هناك .



(شكل رقم ٢٢)
تمثال حورس (الصقر)

ان أول دليل هام عن الآثار التى وجدت قبل المعبد الراهن ، قد عثر عليها في ناووس نخت ان بيس الأول المبنية من الجرانيت ، والتى مازالت قائمة في محراب المعبد العظيم.

كانت ادفو اذ ذاك مدينة ذات أهمية كبرى لأنها كانت عاصمة المقاطعة « الثانية » والذى اطلق عليها هذا الاسم هم الأغريق (ابو للونوبوليس ماجنا) مع مساواة حورس ادفو بأبوللو .

والواضح ان المعبد القديم الذى بنى في عصر الرعامسة كان ، على اكثر الاحتمالات صغيرا نسبيا ، وان يد الحدثان قد نالت منه مع تعاقب الأزمان والسنون وعوامل الاهمال . » وقد رؤى انه قد من الصغر بحيث لايفى باحتياجات عاصمة ايه ولاية او منطقة . ،

وقد اقدم هؤلاء البناءون النشطون ، وهم البطالسة ، على احلال بناء جديد وأكثر قيمة منه محل البناء القديم .

لقد بدا العمل في المبنى الجديد في السنة العاشرة من حكم بطليموس الثالث ، يورجيتيس الأول ، او في سنة ٢٣٧ قبل الميلاد ، وقد استكمل المبنى الرئيسي في السنة العاشرة من حكم بطليموس الرابع ، فيلوباتور ، سنة ٢١٢ قبل الميلاد .

ولذلك فان استكمالة قد استغرق حوالى ٢٥ عاما ، واستغرقت اعمال الزينة والنقوش والنحت فيه ستة اعوام اخرى ، واستكمل تماما في عام ٢٠٧ قبل الميلاد . بيد ان الاضطرابات التى وقعت في مصر العليا قد عرقلت سير العمل فيه ولكن بعد ان استؤنفت الأعمال مرة اخرى فيه ، افتتح المبنى رسميا في عام ١٤٢ قبل الميلاد في عهد بطليموس السابع ، يورجيتس الثانى ، .

واستكمل العمل في القاعة الصغيرة ذات السقف المرتكز على اعمدة بعد عامين آخرين اى في سنة ١٤٠ قبل الميلاد . وهكذا ، فان المعبد استغرق بناؤه

٩٧ عاما ، ولكن كان مازال هناك شيء لابد من اضافته ، وهو القاعة الكبرى ذات السقف المرتكز على اعمدة والفناء الأمامي والبوابات ذات الأبراج ، وقد استكملت هذه في نهاية عام ٥٧ قبل الميلاد في السنة الخامسة والعشرين من حكم بطليموس الحادى عشر ، ثيوس ديونيسوس ، المعروف افضل باسم بطليموس أو ليتيس ، او بطليموس الزمار .

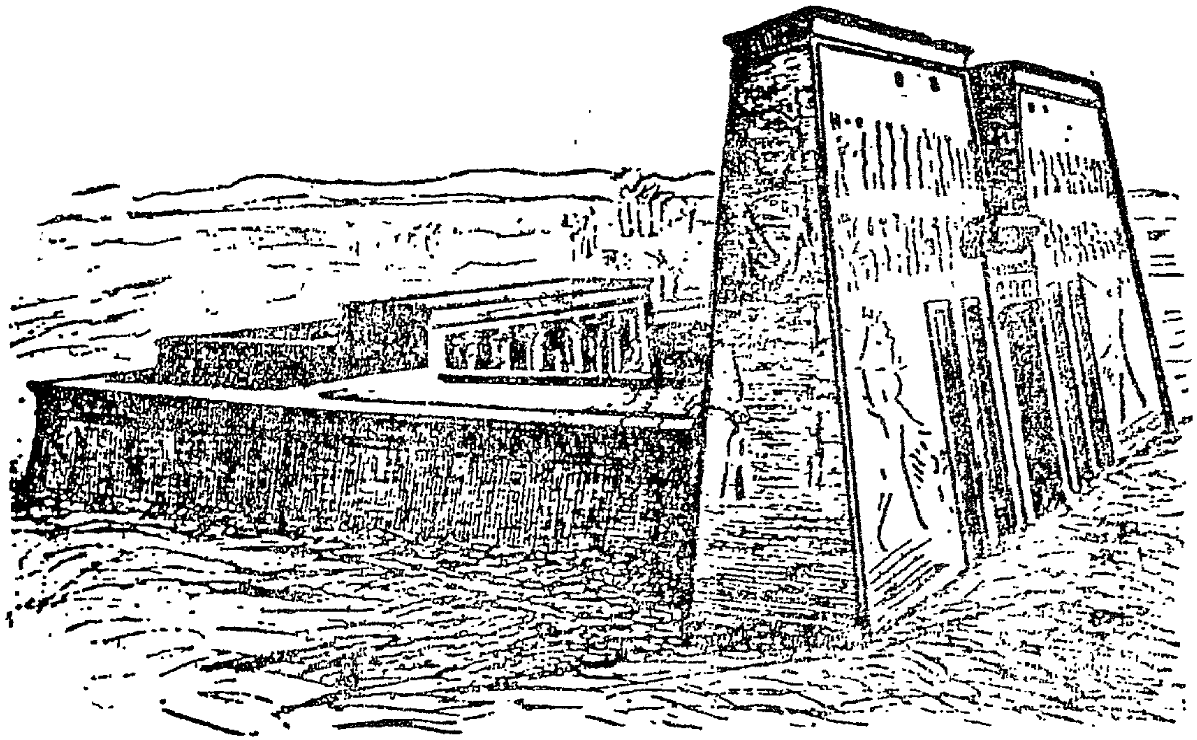
وهكذا ، فان المبنى الذى نراه الآن استغرق اتمام بنائه مائة وثمانين عاما ويجب اعتباره ، بمقارنته بالمعابد القديمة الأقدم عهدا ، بأنه تم بجهد منفرد . ويعود الفضل في ذلك الى استقامته وتركيبه الهندسي وعظمة بناءه .

ومن المهم ادراك ان المعبد الكبير لم يستخدم سوى سبعه وعشرين عاما حينما استغنى اغسطس في عام ٣٠ قبل الميلاد عن الآثار الأخيرة للسيادة البطليمية واخضع مصر تماما لحكم روما .

ليس هناك من المعابد المصرية الكبيرة ما تنطوى على مثل كامل للمفهوم المصرى الحيوى لما ينبغى ان يكون عليه هذا المبنى الذى شيده فراعنة لاتجرى في عروقهم دماء مصرية في الغالب وعلاوة على ذلك ، فانه يعتبر واحدا من المعابد المصرية القليلة جدا لاضفاء هذا النعت الجميل بدون ان يكون لهذه الكلمة معناها الخاص .

صحيح ان الجمال مقصور على انطباع عام عن التناسق . وعن التفصيل الأكبر والأوسع ، ومثل هذا الأسلوب الذى اتبع في زخرفة وتجميل تيجان الأعمدة ، ومع ذلك فانه مما لا شك فيه أن المبنى رائع وعظيم البناء ولا تستطيع جميع التفاصيل المتواضعة ان تلغى روعة وجمال هذا الأثر الذى تحدثه النظرة الأولى لهذا الكيان الهندسي العظيم .

لقد وصفت البوابات مع الواجهات ذات الابراج بانها « غليظة نوعا ما » بسبب . فقدان افاريزها ، ولكن لا يمكن توجيه اللوم للمهندسين المعماريين ، وليس من الصعب استكمالها بالخيال بالحلية المعمارية التقويرية التى كانت تتحلى بها ، وتصورها كما كانت تبدو حينما استكملت باديء ذى بدء .



(شكل رقم ٢٣)

واجهة معبد ادفو وقد بنى في العهدالاغريقى على غرار نموذج قديم ويشاهد المدخل في المقدمة ومن خلفه الفناء ثم المعبد الداخلى

وعلى اية حال ، فهي تبدو ، كما هي عليه الآن ، مؤثرة ، ليس في ذلك ريب اذ يبلغ علو البرجين ، حسب مقاييس العالم المستكشف العظيم مرييت ، ١٤٤ قدما و ١٠ بوصات ، بينما يبلغ عرض الواجهة ، عبر البرجين ، ٢٤٩ قدما و ١٠ بوصات .

ان من الممكن ادراك مقاييس ادفو بعقد مقارنة مع ارقام كاتدرائية سان بول . اذ يبلغ ارتفاع واجهة سان بول حتى قمة تمثال القديس المقام في اعلى البرج ١٣٥ قدما ، ولكن عرض الواجهة الغربية يبلغ ١٧٩ قدما مقابل ٢٤٩ قدما عرض ادفو . ويبلغ الطول الكلى لأدفو ٤٥١ قدما وست بوصات مقابل ٥١٣ قدما لسان بول .

اننا مدينون باكتشاف ادفو كما نراها الآن الى جهود العالم الأثرى الكبير مرييت التى اكتشفها في عام ١٨٦٠ في حالة يرثى لها . « لقد غزت القرية الحديثة المعبد ، وغطت شرفاتها الرحبة المساكن والاصطبلات والمخازن من كل نوع » .

« وامتلات الغرف في الداخل بالنفايات حتى السقف » . بيد ان نزع الملكية من القرويين وتنظيف المكان قد تم على أكمل وجه ، وقامت هيئة الآثار ، منذ عهد مرييت باعمال الصيانة والنظافة الهامة وللمحافظة على هذه الآثار الهامة ، فقد ازيلت الجدران المائلة للسقوط واعيد بناؤها وتم تجديد الأسطح المخربة .

واصبح المبنى الآن في حالة افضل مما كان معروفا عنه لقرون كثيرة ، أما تشوهات النقوش والرسومات البارزة التى اصابها التلف فان سببها يرجع الى الاهمال وتعاقب القرون والأزمان والاعتداءات المتكررة عليها عبر السنين .

وعندما نقترب من المكان نرى برجي الواجهة يحملان رسومات الملك اوليتيس البطليمى وهو يضرب اعداءه امام حورس اله أدفو وحاتحور الهة دندرة . وفوق هذا المشهد يرى الملك على اى من البرجين ، وهو يقدم القرابين امام صفين من الآلهة المحلية .

ويظهر فوق الباب الضخم بين البرجين القرص المجنح ممثلا بصفة خاصة حور بيحو دتى — والغرض من الفجوات الكبيرة في البرجين ، بالاضافة الى الفتحتين المربعتين فى كل برج ، هو لاستخدامها لساريات الاعلام الهائلة التى ترتفع امام كل معبد مصرى ، والتي يبلغ ارتفاعها في هذه الحالة ١٥٠ قدما على الأقل . . .

وامام الواجهة ذات الأبراج تقف صخرتان هائلتان من حجر الجرانيت ، رمزا لحورس اله ادفو .

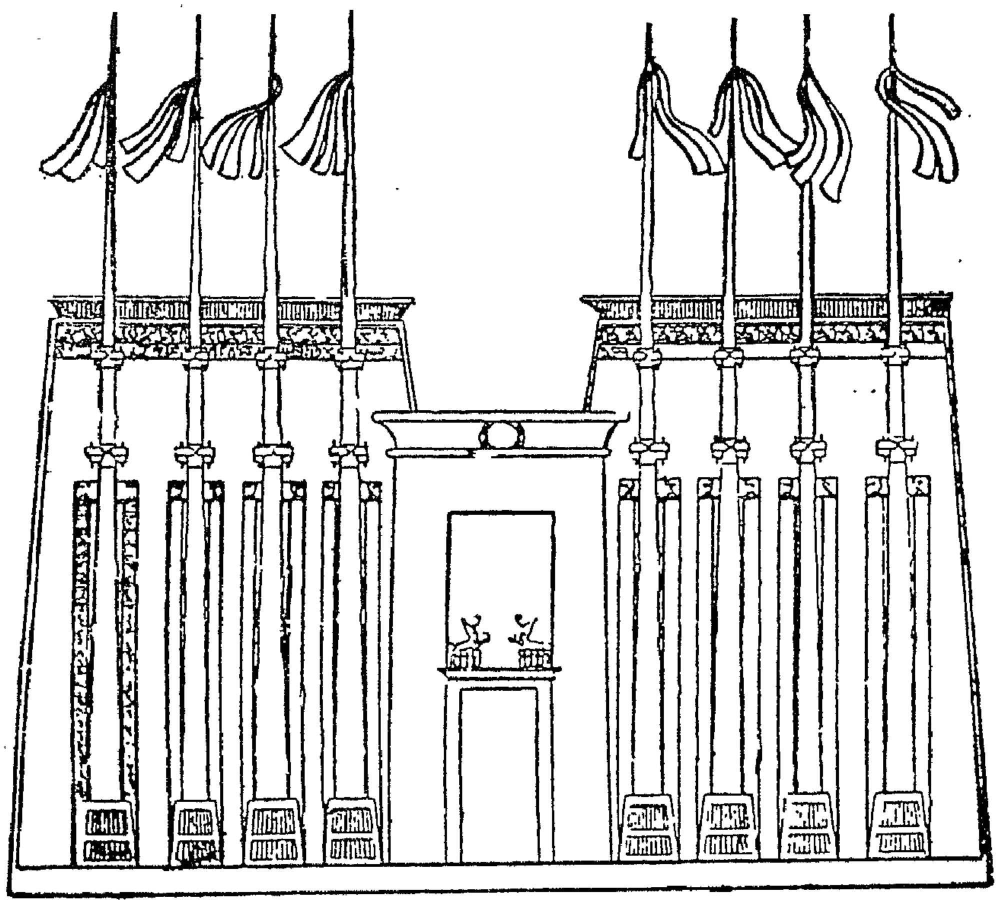
وبعد أن نمر من البوابة العظيمة ، التى كانت مغلقة في الأزمنة القديمة ، بواسطة باب مصنوع من خشب الأرز ومطعم بالبرونز والذهب ، نجد انفسنا في فناء كبير ، له صفان من الأعمدة على الجانبين ثم يلى ذلك الواجهة ذات الأبراج .

ويشغل الجانب الرابع اعمدة الصف الأمامى للمعبد الرئيسي بجدرانها الضخمة ذات الستائر المعدنية . ويبلغ مجموعها ٣٢ عمودا ، وتيجانها منحوته بتصميمات ورسومات رائعة لأوراق الزهور والنخيل التى كان المهندسون المعماريون البطالسة متأثرين بها .

وعلى الأعمدة ذاتها توجد نقوش بارزة ومحفورة للملك ، الذى لم ينحت اسمه ، وهو يقدم القرابين للآلهة ، وعلى الجدران خلف صف الأعمدة سلسلة من الرسومات الجميلة المتقنة الصنع في ثلاثة مجموعات حيث تظهر الملك وهو يمارس بعض الطقوس الدينية .

ولما كانت هذه الرسومات البارزة تتكرر مرارا حتى أصبحت مثارا للضجر،فانه يكفى مشاهدة سلسلة واحدةمنها فقط ، وهى السلسلة التى تبدا على الجانب الأيمن من المدخل (الجدار الخلفى للواجهة ذات الأبراج) .

ويبدو الملك (غير المسمى) خارجا من قصره ، واضعا على رأسه التاج الأبيض لمصر العليا . ١ — ويسير أمامه كاهن يحرق البخور وأعلام مصر العليا



(شكل رقم ٢٤)

(مدخل معبد ادفو بصوارية واعلامه الهائلة المتطايرة في الفضاء التى)

(ترتفع أمام كل معبد مصرى)

الأربعة ترفرف من حوله وتمثل ابن آوى للشـــلال الاول ، وأبى قـــردان هرموبوليس وصقر ادفو وطوطم طيبة . ٢ - ثم يجرى تطهير الملك من قبل الاله توت وحوريس إله ادفو .

وتقوم نخبت بتتويجه بوضع التاج المزدوج على رأسه ٢ — ويتلقى من حورس الصولجان من آتوم وسخمت وماعت٤ — ويقوده بعض الآله الذى يضع على انفه الأنخ ، وهو شعار الحياة ، بحضور حورس ، اله ادفو ٥ — واخيرا يقف أمام حورس اله ادفو وحاتحور إلهة دندرة ٦ — وتقع تحت هذه المشاهد سلسلة من عروض لرحلة الاحتفالات التى تقوم بها حاتحور آلهة دندرة في النهر لمقابلة زوجها حورس ، اله ادفو .

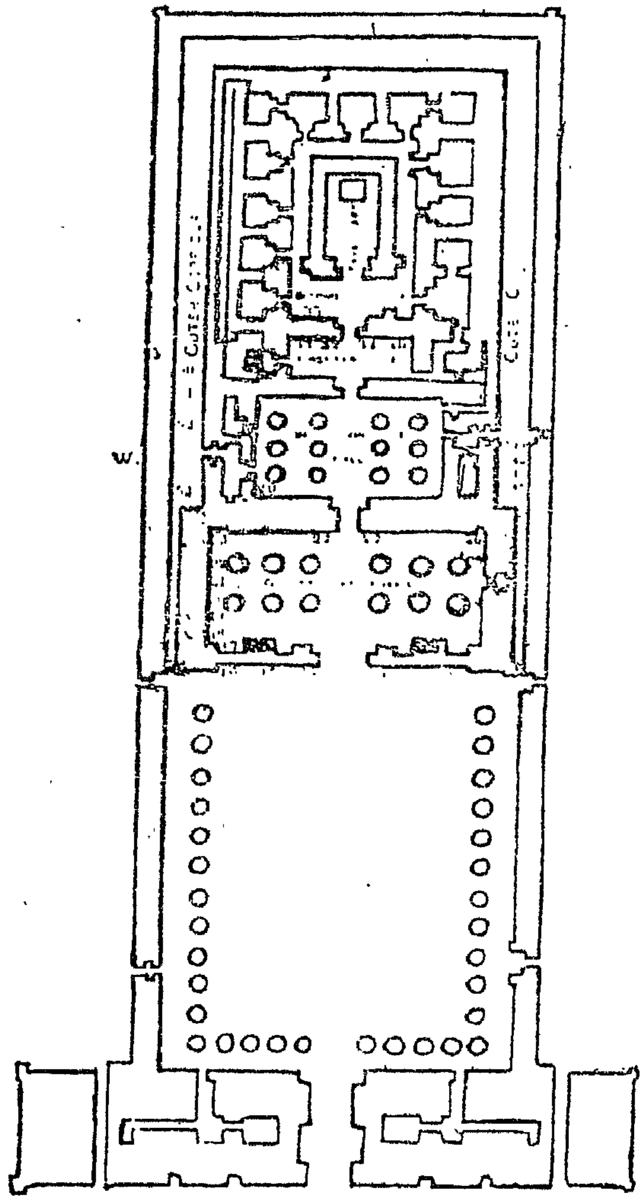
وعلى الجانب الآخر من المدخل تظهر مشاهد مماثلة ، ولكن الفرق الوحيد في المضمون هو ان الملك يضع على رأسة التاج الأحمر لمصر السفلى (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) . وقد جرى تنظيف وتبليط الفناء الأمامى ببلاط عريض ، وللفناء اربعة منافذ ، حيث سدت الآن .

وقبل أن نمضي الى المعبد الرئيسي(١) ، نقف فى وسط الفناء لاستعراض النقوش البارزة الضخمة على برجي الواجهة وهذه النقوش تظهر بطليموس اوليتيس ، وهو يعبد حورس وحاتحور ، فيما تظهره النقوش على الجدران الأمامية وهو يذبح أعداءه أمام هذين الالهين - وجدير بالذكر ان بطليموس اوليتيس لم يتميز بالبسالة أو التدين .

وهناك باب آخر يؤدى من الفناء الى كل برج من برجى الواجهة ، وهناك درج تبلغ عدد درجاته ١٤٢ درجة حيث يؤدى الى القمة .

---

(١) كانت المعابد قديما تقوم في داخل المدن بين أكداس المنازل الضيقة في مدينة من مدن الجنوب ، ولانقاذها من الضجيج الصاخب كانت تحاط بسور عال من اللبن حتى تصبح في مكان هادىء نقى يتوسط عالما صاخبا ، وكان الطريق المؤدى الى المعبد يمر في شوارع المدينة الضيقة ولكن شقت على مر الزمن طرق أوسع ساعدت على القيام بمواكب كبيرة ، وقد رسم طريق الاله متسقا ومستقيما خلال الأحياء ووضعت على جانبيه تماثيل كباش وأسود وحيوانات اخرى مقدسة كانت تقوم كحراس من الحجر تشرف على رعاية طريق الاله . (المترجم) .



(شكل رقم ٢٥)

(رسم هندسي دقيق يمثل التصميمات الهندسية والمعمارية وموقع الحجرات)

(والمداخل والممرات الرئيسية وبهو الأعمدة)

(لمعبد ادفو)

ان ذلك المشهد المهيب يستحق عن جدارة مشقة الصعود الى اعلى هذا الدرج لتكوين فكرة عظيمة عن تصميم بناء ذلك المعبد التى يمكن تكوينها ومعرفتها من هذا المكان المرتفع بعد التعب والجهد من الوصول اليه .

وعندما نعود ادراجنا الى الفناء الأمامى ، نقترب من واجهة المعبد الرئيسي حيث تتالف واجهة الدهليز من ستة صفوف من الأعمدة داخل القاعة ذات السقف المرتكز على اعمدة ضخمة ، مع ثلاثة جدران عالية ذات ستائر معدنية على جانبى الباب الرئيسي الذى بنيت قوائم اكتافة العملاقة مقابل الزوج الأوسط من الصفوف الستة .

وتظهر النقوش الجميلة البارزة على الستائر بطليموس يورجيتس الثانى وهو يقدم القرابين الى حورس اله ادفو (١١ ، ١٤) ، (الستارتان الواقعتان على يمين ويسار الباب) ، والى حاتحور الهة دندرة (١٢ ، ١٥) (الستارتان اللتان في الوسط) والى حورس مرة ثانية (١٣ ، ١٦) (الستارتان الجانبيتان) . ان الانطباع العام عن هذه الواجهة الفخمة بما فيها من تيجان الأعمدة المزخرفة بنقوش للزهور وسعف النخيل وستائرهما الزاخرة بالنقوش الجميلة المنحوته نحتا بديعا ، حقا انها جذابة للغاية وان كانت التفاصيل غير واضحة من فعل الزمن .

ندلف الآن الى القاعة الكبيرة المرتكزة على الأعمدة ، التى يبلغ عددها ١٨ عمودا (مع اعمدة الواجهة) مرتبة في ثلاثة صفوف كل صف يتالف من ثلاثة اعمدة على كل جانب من جانبى الممر الرئيسي ولم يتبق اى لون في اى مكان فقد محيت جميعها .

ولذلك فانه بالرغم من صيانتها وبقائها في صورة جيدة « الا اننا لا نستطيع ان نتخيل هذه القاعة كما كان يراها مؤسسوها الأوائل . وهى تبدو اليوم قاتمة ومثيرة للكآبة » ولكن لابد وان الألوان كانت تضفى عليها منظرا مختلفا .

ان اهم الملامح الممتعة التى تتسم بها هذه القاعة هو تنوع وجمال تيجان الأعمدة . وينبغي ملاحظة أنه لايمكن تكوين فكرة صحيحة عن نسب هذه القاعة الجميلة بمجرد المرور فيها فى اتجاه المحور الرئيسي للمعبد . بل ينبغى رؤيتها من نقطة عند الزوايا اليمنى للمحور ، حيث يتم تقدير اثر طولها مع مجموعة الأعمدة .

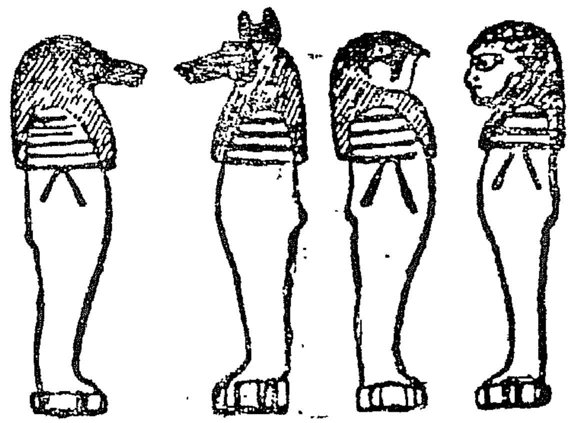


(شكل رقم ٢٦)
(حورس المقاتل ـ متحف برلين)

ويقع على يمين المدخل وشماله معبدان صغيران ، والمعبد الواقع على الشمال عبارة عن «غرفة التكريس»، او قدس الأقداس حيث يحتفظ بالزهريات الذهبية التى يتطهر بها المحتفل ، ولاسيما الفرعون في مناسبة اضطلاعه بمهام كبير الكهنة في الاحتفال بعيد حورس وحاتحور .

وهذا المشهد الموجود على الحائط الخلفى لهذا المعبد الصغير ، يبين الملك اثنـاء قيام حورس وتوت بتطهيره بهذه الطريقة . اما المعبد الصغير الثـانى الواقع على يمين المدخل فهو مكتبة المعبد الكبير ، أو « غرفة لفائف ورق البردى الخاصة بحورس وحرآخت » .

ونشاهد تحت القرص المجنح فوق الباب تمثيل (تالف لسوء الحظ) لنقوش تمثل حواس السمع والبصر والذوق والادراك ، كل منها في صورة شخص آدمي يعبد لوحة مخطوطة لكاتب أو ناسخ - وهو رمز هام للاحترام البالغ الذى يبديه المصريون بقداسة الكلمة المكتوبة .



(شكل رقم ٢٧)
ابناء حورس من اخذ المومياوات (متحف برلين)

كما ينبغى ملاحظة النقوش البارزة المتكررة عن الطقوس الدينية والتى تشير الى بناء الهيكل . وتبدا هذه النقوش من غرب غرفة التكريس وتستمر على طول جدار القاعة الغربى .

ويرى الملك بصحبة حورس وسفخت ، وهو يضع علامات واوتاد على الأرض المخصصة للمبنى المستقل (١٧) ويضرب في الأرض أول ضربة ليقطع أول جزء من صخرة (١٨) ويقوم بتطهير الأرض حتى يكون المبنى المقام عليها مقدسا (١٩) ثم يرفع أول قطعه من الحجر (٢٠) ويقوم بتبخير المعبد كله (٢١) ثم يقدم المبنى المستكمل الى حورس (٢٢) واخيرا يسلم حورس شعارا الزينة الخاص بالمعبد (٢٣) .

وهناك واحة شيخاء في غياهب هذه الطقوس الدينية . فالجدار الخلفى الذى يعتبر أيضا واجهة القاعة الصغيرة ذات السقف المرتكز على أعمدة ، فيه

سلسلة أخرى من الشعائر المتعلقة ببناء المعبد ، ففى مشهد واحد منها (٢٧) . يظهر الفرعون وهو يرقص امام حورس في حفل وضع الأساس .

أما النقوش البارزة الأخرى في القاعة ، فهى لاتحتاج الى اى وصف لأنها كلها من النوع المتعلق بالطقوس الدينية والمتكرر بكثرة . التى نال المشاهد عندئذ حظا كبيرا منها .



(شكل رقم ٢٨)
حورس المحارب
(نقش موجود في متحف برلين)

ونمر الآن عبر البوابة المؤدية من الدهليز الى القاعة الصغيرة المرتكزة على اعمدة . وهناك على عارضة هذا الباب مشهد لبطليموس فيلوباتور وهو يقدم صورة المايت (الحقيقية) الى قارب الشمس الذى تقوده صورتان لحورس .

وعلى جانبى هذا الباب صورة اخرى للحواس الأربع التى سبق أن شاهدناها في مكتبة المعبد . ان القاعة الصغيرة المرتكزة على الأعمدة التى تواجهنا الآن والتى ليست على درجة من الروعة كالقاعة الكبرى ، الا انها كيان هندسي جميل مكتمل في بناءه حسن النسب . واعمدتها الأثنا عشر المزخرفة تيجانها بنقوش جميلة وغنية من الزهور ، ليست غليظة كتيجان أعمدة القاعة الكبيرة .

والانطباع العام عنها انها اقل ازدحاما مما هو سائد في القاعات المصرية المرتكزة على اعمدة . ان النقوش البارزة هنا ذات نوع أفضل ، وان كان هناك احساس بوجود الأسلوب البطليمى الغليظ والمبالغ فيه .

وهى لا تخرج عن كونها تكرارا لما شاهدناه بالفعل ، ومع ان الجدار الخلفى عليه مشاهد اخرى قوامها الكاهن الأكبر (الذى يلبس الخوذة الحربية الملكية) ، وهو يمشي بحذاء مركب حورس المقدس على جانب ، وحاتحور على الجانب الآخر .

ولهذه القاعة اربعة أبواب في جانبيها الشرقى والغربى . وعلى الجانب الشرقى ، هناك باب يؤدى الى الرواق الخارجى فيما يفضي الثانى الى الدرج الذى يؤدى الى السطح . وعلى الجانب الغربى ، هناك باب يؤدى الى غرفة تحتفظ فيها بالمياه المقدسة ، لأن المناظر تظهر الملك ، مع هابى ، اله النيل ، يقدم ماء مقدسا الى حورس وحاتحور وغيرهما من الآلهة .

وتفضي هذه الغرفة ايضا الى الرواق الخارجى . ويبدو من النقوش والزخرفة على جدران الغرفة الثانية ان هذه الغرفة بمثابة مخزن للأوعية المقدسة التى تستخدم في مراسم الصلاة وتقديم القرابين .

ندلف الآن الى غرفة الانتظار الأولى ، المعروفة في الأزمنة القديمة بانها « قاعة مذبح القرابين » . وتعتبر المشاهد المختلفة التى بها من النمط الشعائرى

العادي المناسب لمثل هذه الغرفة ، ومن ثم فانه ليس هناك ضرورة للاسهاب في وصفها .

وفي أكثر الاحتمالات يقوم المذبح هنا بمهمة تقديم القرابين اليومية المنتظمة عليه ويتيح الباب الشرقى العبور الى سلم يفضي الى السطح ، فيما يؤدى الباب الغربى الى غرفة اخرى حيث يوجد الدرج الغربى الذى ينتهى الى السطح .

ومن غرفة الانتظار الأولى هذه ندلف الى غرفة الانتظار الثانية المقابلة مباشرة أمام المحراب . وكانت هذه الغرفة تعرف « بقاعة هجوع الآلهة » . حيث نلاحظ مشهدا على جدار المدخل الأيسر حيث يظهر الملك وهو يوثق أربعة اسرى راكعين أمام حورس وحاتحور (٣٥) ، وفوق هذا المشهد ، مشهد آخر يظهر حورس الطفل وهو ينهض من بين اعشاب المستنقعات التى تحكى الأساطير عنها انها مسقط رأسه .

وهنا نجد بوضوح مثلا رائعا عن عدم الخلط بين الأسطورة المتعلقة بحورس ، اله ادفو ، والتى تخص دائرة رع والاسطورة المتعلقة بحورس ، ابن ايزيس ، التى تخص دائرة اوزوريس .

ويؤدى الباب الواقع في الجانب الشرقى من غرفة الانتظار هذه الى قاعة صغيرة لها عند جانبها الشمالى معبد صغير على بعد ستة اقدام ، ولها عمودان ذوا تاجين عليهما نقوش للزهور .

ويظهر في سقفها الآلهة نوت . في أشكال مختلفة للشمس في مراكبها الخاصة بكل شكل . وتظهر الرسومات البارزة في هذا المعبد الصغير الملك والملكة وهما يقدمان القرابين للملك بطليموس الثالث والملكة ارسينوى (٣٦) فيما يبدو الملك والملكة في وضع تهيم بهما صورتان لملوك موتى (مطليتان باللون الأزرق) (٣٧) .

وهناك فوق باب القاعة الصغيرة مشهد للآلهة حاتحور السبعة ، وهى لأمهات الآلهة الخرافيات للأسطورة المصرية ، اللائى يمنحن الخير او الشر

عند ولادة الأطفال ، وهن يضربن على دفوفهن . وهناك عند الجانب الغربى من غرفة الانتظار . غرفة صغيرة كانت المعبد الصغير لأله من آلهة الاخصاب ، والتناسل والنمو .

وينبغى الا يغيب عن البال ان المقعد الرئيسي لعبادة (مين) كان فى قفط .

وليس مباحا لدخول المحراب او قدس الأقداس الذي ندخلة الآن سوى لكبير الكهنة او الملك فقط الذى يمارس سلطته ككبير لكهنة جميع الآلهة . وهى من الناحية العملية مبنى منفصل داخل مبنى المعبد حيث يضاء بواسطة فتحات صغيرة في السقف .

ويوجد في وسط الغرفة مذبح منخفض تستقر عليه مركبة حورس المقدسة حينما لاتستخدم في الطقوس الموكبية . وفي الركن الشمالى تستقر الكعبة الرائعة المؤلفة من حجر واحد من الجرانيت الرمادى الداكن التى تقدم ذكرها .

وقد بنى هذه الملك نكتانيبس الأول ، ولذلك فانه لابد ان تكون قد نقلت من المعبد الأقدم عهدا الى مكانها الحالى . لقد كانت في الأصل مغلقة بأبواب برونزية وتحمل صورة للصقر المقدس ، وهو شعار حورس ، اله ادفو .

يعتبر الجدار الخلفى للمحراب النقطة التى يمكن منها ادراك نسب المعبد الضخمة على أحسن وجه لأن من الممكن رؤية مشهد جامع عبر جميع القاعات التى اجتزناها خروجا الى الواجهات ذات الأبراج .

ولكن ليس ثمة شك في ان هذا يستحيل حينما يكون المعبد مشغولا ، لأن كل قاعة تغلق وتعزل عن القاعة المجاورة لها على كلا الجانبين بواسطة ابواب كبيرة مطعمة بالبرونز والذهب .

ويصبح العبور الى القاعات المتعاقبة مقيدا حتى نقطة لا يجرؤ سوى الملك أو كبير الكهنة بنفسه على الاقتراب من المحراب كما نعتبر النقوش والرسومات

البارزة هنا مثيرة للمتعة والخيال لأنها تظهر الملك ، وهو يقوم بوظيفته ككبير الكهنة .

ويفتح القفل الموضوع على مزار حورس ثم يفتح باب المزار ويظهر امام الآلة ويقدم البخور لوالديه وهما بطليموس ، يورجيتس الأول وبيرينيس ؛ كما يحرق البخور امام مركب حاتحور المقدس .

ويحيط بالمحراب على جوانب ثلاثة دهليز تنفتح عليه عشر غرف . وعند الدخول على الجانب (الشرقى) الأيمن ، وراء المعبد الصغير الذى تقدم ذكره ، نجـد غرفة الأجنحة المنتشرة ، مع رسومات بـارزة تبين الآلهة التى تحمى أوزيريس .

والغرفة الثانية هى غرفة عرش الشمس ، وتبين الشمس الآلهة (برأس الصقر) مع آلهة اخرى . وهنا مازالت بعض الألوان الأصلية باقية بحـالة جيـدة .

والغرفة الثالثة هى غرفة خونسو ، الاله القمر ذى رأس الصقر ، الذى يظهر مع آلهة اخرى . وهناك ثلاث من الغرف الكائنة على الجانب الغربى . مخصصة لأوزوريس وعبادته .

ومازالت الغرفة الأخيرة الثانية الكائنة على الجانب الغربى ، وهى غرفة عرش الآلهة ، تحتفظ بألوانها الجميلة بحالة جيدة .

ونعود الآن اما الى القاعة الصغرى المرتكزة على أعمدة أو الى غرفة الانتظار الأولى ، ثم نمضي قدما لصعود الدرج الشرقى الى السطح . ان من السهل الصعود على الدرج الذى نشاهد اثناء الصعود عليه رسومات بارزة تمثل الموكب العظيم الذى تحمل فيه صور حورس وحاتحور حول المعبد كله ثم الى السطح حتى يستطيعا الاطلاع على ملكهما .

اننا لا نستطيع ان نسلك خط السير هذا كله بسبب حـالة السقف التالفة ، ولكن بعد أن تعبر الآلهة السقف ، تحمل نزلا على درج آخر عند الجانب الأيمن من المبنى وتعاد الى مزاراتها .

واثنــاء نزولنــا يصــاحبنــا أيضــا الموكب النــازل . ان من ملامح الهندســة المعمــارية الفخمــة لادفــو والســور الدائرى العظيم الــذى يحتوى على الجزء الخلفى الكــامل من المعبــد مع طريق للمشي بين هــذا الســور وجدران مبانى المعبد الرئيسية . وهذا الســور الدائرى نفســه مزخرف برسومات بارزة وهى على الجانب الشرقى من النوع العادى ، وتصبح عنــد هذا الحد من النمط الشعائرى المثير والمحبب الى النفس .

ولكن تلك الرسومات على الجدار الغربى ، اكثر متعة لأنها تتالف الى حد كبير من مشاهد يصور فيها حورس وهو يذبح اعداء رع الذين يمثلون في صور تماسيح وافراس النهر .

لاحظ في أعلى الجدار الغربى عند الطرف الشمالى (٤٩) ، مشهدا يظهر فيه الملك وهو يسحب مركبة تحمل قارب حورس المقدس . وعلى الســجل الأدنى مشاهد متعاقبة يظهر فيها حورس ، احيانا مع الفرعون ، وهو يضرب افراس النهر بحربته ليصطادها .

وقد يلاحظ مشهد آخر بصفة خاصة على مسافة الى الجنوب اكبر من المسافة التى يظهر الملك على بعدها وهو يسحب المركبة وهذا المشهد (٥٠) يمثل قاربا بشراع ، ترى فيه ايزيس راكعة عند قوس ، وممسكة بفرس نهرى بواسطة سلسلة فيمــا يقوم حورس . من مؤخرة السفينة ، بغرز رمحه في الوحش التعس الذى يدير راسه بغضب .

ويقوم الملك . من الشاطىء بطعن الوحش برمحه في رقبته . ان هذه الرسومات البارزة التى كانت ذات قيمة فنية عظيمة في الماضى ، قد نال منهــا التلف اى منال . وثمة مشهد آخر (٥٢) يظهر حورس واقفا على فرس نهر مقيد بالسلاسل وهو يطعنه برمحه .

وبالقرب من النقطة التى يضيق عندها الطريق او الممر نتيجة للدهليز أو القاعة الكبيرة ، هناك مشهد غريب (٥٣) يظهر ثلاثة اشخاص ، اولهم يقتل فرس نهر بسكين ، والثاني وهو امحتب ، المهندس المعمارى الشهير والرجل الحكيم ، يقرا من لفافة ، والثالث ، وهو الملك ، عاكفا على تغذية أوزة (صناعيا، اى تزغيطها) ، لتسمينها بغية تقديمها كقربان .



(شكل رقم ٢٩)
(ايزيس ترضع حورس)

ويمكن ملاحظة حية البحر التى لها راس اسد للمبنى الرئيسي . وهناك خارج الجدران رسومات بارزة كثيرة من النمط العادى لا تحتاج الى انتباه خاص . وتقع بالقرب من زاوية المعبد الجنوبية — الغربية خرائب

بيت المواليد ، تماما كما في معبد دندرة . كان هذا المبنى من اعمال بطليموس السابع ، يورجيتس الثانى ، وبطليموس الثامن ، سوتر الثانى .

وعند هذه الزاوية يقع محراب محاط بالأعمدة ذات التيجان المزركشة برسومات اوراق النبات ، ومكعبات مزينه بشكل مضحك للاله بس . وتحيط بالقاعة الأمامية اعمدة تتخللها ستائر حجرية . ان الفرض الرئيسي من منزل الولادة هو تمجيد لحب الأمومة وروابط الأسرة .

وتسير جميع الرسومات الأخرى على هذا النمط . ويرى الرضيع حورس وهو يرضع من الآلهة حاتحور ويرى الآلهة السبعة الحاتحورات ومن يقمن بحضانة الطفل ورعايته . وترى حاتحور على تيجان الأعمدة والقاعة الأمامية ، وهى تضرب على الدف وتعزف على قيثارة أو ترضع المولود حورس .



(شكل رقم ١٣٠)

بس المحارب الحامى (متحف برلين)

ويقع عند الجانب الشرقى للممر درج تحت الأرض يؤدى الى مقياس النيل وهو مقياس مستدير خارج المعبد ، على جانبه الشرقى ، مع سلم حلزونى

يلتف حوله . وله بالطبع وصلة تحت الأرض تتصل بالنيل ، ولكن هذه الوصلة قد انقطعت الآن واصابها التلف .

تقع اطلال مدينة ادفو القديمة الى الشرق، جنوبى وغربى المعبد الكبير. وهذه الأطلال كثيرة جدا ، والروابى التى تغطى الموقع ذات علو كبير ، ولقد قام السباخون (الفلاحون) بتدميرها لأنهم عكفوا على حفر الروابى وازالتها من اجل خصائص تسميد التربة ، والتى كثر وجودها في هذه الروابى .

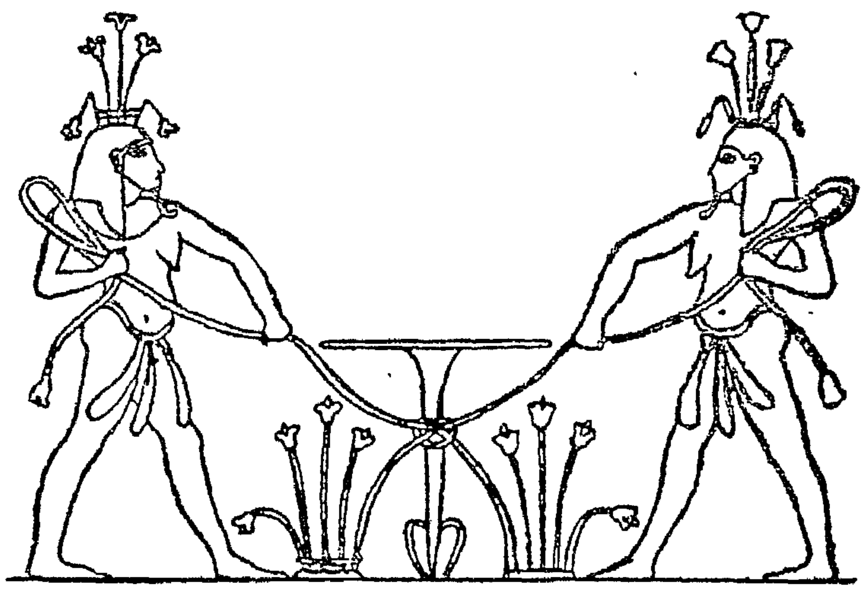


(شكل رقم ٣٠ ب)
(انوبيس المحارب تمثال من البرونز)
(متحف برلين)

وكان من المفروض ان تتولى الحكومة او مصلحة الآثار في ذلك العهد تنظيم هذه العملية ، ولكن فقدت مواد وادوات كثيرة سنة تلو الأخرى ، وان كثيرا من الآثار التى عثر عليها الحفارون كانت قيمتها لاتزيد عن اعتبارها آثار مفقودة، لأنها تتنقل الى ايدى التجار والمهربين ولصوص الآثار وانتشرت هنا وهناك أو فقدت معظمها حيث يتراكم عليها الغبار الى ان تصبح انقاضا أو نفايات او يعاد انتشارها عن طريق البيع والتهريب ، لتكرر نفس المصير المؤلم .

وجدير بالذكر ان بقايا السور المبنى بالطوب الخشن يمكن رؤيتها الى الجنوب الشرقى والجنوب الغربى من المدينة .

ولقد تم احتفار جزء من المدينة القديمة أخيرا بواسطة مدرسة بابيرولوجيك دى ليل ، ـــ "Ecole Papyrologique de Lille" .



(شكل رقم ٣١)

(اله النيل حابى يربط نبات الشمال والجنوب برباط مقدس)

والى الجنوب الغربى من ادفو وعلى بعد حوالى مائة ياردة من حافة الأرض المزروعة ، تقع تلال واطئة على حدود الصحراء ، وفيها تقع المدافن الصخرية التى كانت تصقل للاثرياء من السكان فى الأزمنة القديمة .

ويمر المرء فى طريقه الى هذه المدافن بدير مارى جرجس القبطى ، ولكن وان كان المكان له روعته وهيبته الا انه يتجاوز حدود موضوعنا ، كما انه

المدافن التى وراءه ليست ذات بال ، ذلك لأن المدفن الواحد منها يتكون اساسامن غرفة أو غرفتين صغيرتين تنفتح على جانب التل ، وان كان بعضها اكثر اتقانا.

ولكل واحد منها ساحة صغيرة امامها ، او درج يفضي نزولا اليها . ولكن لم تكن اى واحدة منها مزينة أو تحمل نقوشا ــ وهذه حقيقة تدعو الى الغرابة نظرا لأهمية ثراء المدينة الواضح بالآثار التى تمثل في هذه المدافن مكانة السكان من الطبقة الأحسن حالا .

الفصل الحادي والثلاثون

(من ادفـو الى السلسلة)

(معبد سيتى الأول)

(المعـروف بمعبد القرنة)

ليس هناك شيء يميز مسافة الستة والعشرين ميلا بين ادفو ومحاجر السلسلة المشهورة . بأى آثار بارزة اومهمة اللهم سوى لهؤلاء الزوار والسواح المستعدين للتجول نوعا ما عن طريقهم ، ويتحملون مشقة كبيرة ووقتا طويلا .

لأن هناك موقعين على جانب كبير من الأهمية ، احدهما على ضفة النيل الغربية والآخر على الضفة الشرقية ، او بمعنى اصح على بعد حوالى سبعة وثلاثين ميلا من النهر في اتجاه الشرق .

وهذان المكانان هما « شط الرجال » الواقع على بعد حوالى اربعة اميال شمالى السلسلة ، وما فيه من آثار هامة وقيمة تمتاز بأجمل اعمال النحت والنقوش والرسومات المختلفة ، كما يوجد معبد سيتى الأول ، الذى جرت العادة على تسميته معبد « ريديسيا » ، ولكنة يقع بالفعل في «وادى عباد» .

وسنتناول هذين الموقعين بالبحث في حينه ، ولكننا يجب في تلك الأثناء أن نذكر الآثار الصغيرة على الضفة الغربية ونحن نشق طريقنا عبر النهر .

على بعد حوالى اربعة أميال جنوبى ادفو ، ينهض هرم حجرى صغير في الصحراء جنوب غربى البلدة . ويغطى هذا الهرم مساحة لاتزيد عن عدة اقدام مربعة قليلة ، وفيما يوحى مظهره بأنه بنى حسب اسلوب المدرجات والمصطبات، الا أنه من المحتمل أن ما نشاهدة الآن ليس سوى نواة هرم قد ازيل من عليه غلافه الخارجى بفعل الزمن وعوامل التعرية .

ونظرا لأننا لانعرف شيئا عن الذى بناه ، أوما اذا كان من عائلة ملكية أو شخصية محلية هامة ، فان التكهن في هذا الشأن ضرب من العبث .

وعلى بعد اميال قليلة الى الجنوب تقع مقبرة « الحصاية » التى نحتت مدافنها من صخور الحجارة الرملية ، وبعضها عليه نقوش وكتابات سيئة باللغة الهيروغليفية . وهى تخص اسرة عريقة ذات مكانه بارزة كان يحمل كبار اعضائها لقب « امير ادفو » ؛ وادعوا أنهم كانوا يحملون لقب امير طيبة ولكن هذه مسالة اخرى .

ان النوعية السيئة لمدافنهم قد تحمل المرء على الاعتقاد بان هناك زعما وليس واقعا بالأدعاء باللقب الثانى .

وتعود هذه المقابر الى الفترة من الأسرة السادسة والعشرين الى الأسرة الثلاثين ، حينما كان من السهل اللجوء الى كثير من الادعاءات، بعيدا عن السلطة المركزية ، لأنه لم يكن هناك من يعمد الى تفنيدها . وعلى اية حال ، لاتستحق هذه المدافن الاهتمام الكثير الا للأثريين والمهتمين بالبحث والتنقيب .

واذ نمضي في ترحالنا جنوبا ، نمر بمجموعات اخرى عديدة من المدافن ، ولكن ليس هناك واحد منها ذا اهمية كبيرة او مستلفتا للأنظار . ونجد في قرية « الحوش » عددا من المحاجر الكبيرة التى اضفى منظرها الذى يشبه الساحة اسم « الحوش » عليها . وقد عثر على عدد كبير من مخطوطات هذه المحاجر القديمة هنا ، بما فيها مخطوط يعود تاريخة الى عهد المملكة الوسطى ، وربما عهد سنوسرت الأول .

وهناك ايضا مخطوطات اغريقية بما فيها مخطوط عن السنة الحادية عشرة لحكم انطونينوس بيوس ، حينما استخرجت كتل من احجار المحاجر هنا لبناء معبد ابو للو ، الذى يحتمل ان يكون هو حورس اله ادفو .

ونصل الآن الى شط ألرجال ، أو شط السبعة رجال ، وقد تقدمت الاشارة الى اعمال النحت فيه . وهنا في هذا المكان يوجد ممر ضيق يتجه غربا

بين تلال من الأحجار الرملية الداكنة اللون ، وعند نهاية الممر ، على الجانب الأيسر ، تم نحت رسومات كبيرة بارزة على الصخور .

وتتالف هذه الرسومات من ثلاث شخصيات ، اولها رسم بارز ضخم لمونتوحتب الثالث (سعنخ – كارع) (٢٠١٠ - ١٩٩٨ ق ٠ م) الذى ينتمى الى الأسرة الحادية عشرة، وعلى راسه التاج المزدوج ووراءه رسم بارز أصغر لأمه « ايوه » – القمر – ورسم ملكى إصغر من ذلك يمثل « ابن الشمس ، أنتيف » المسجل اسمه في سجل ملكى هيروغليفى ولكنه لايضع على راسه تاجا ولا يحمل لقبا ملكيا .

ويقف وراءه الحاجب خيتى او اختاى ، في حجم يساوى حجم انتيف . ويمكن شرح هذه المجموعة من الأسرتين المالكتين اللتين تمتاز احداهما عن الأخرى وتتفوق عليها ، في أن جانب أسرة انتيف من الأسرة الحادية عشرة يحتمل ان يكون مرتبطا بجانب أسرة مونتوحتب ومركز مونتو حتب يبدو انه قد تفوق على ابناء عمومته في المراكز المختلفة والامتيازات ، الذين قبلوا هذه المراكز الأدنى في الوقت الذى احتفظوا فيه باللقب الملكى ، وهو « ابن الشمس » ، الى جانب اسمائهم .

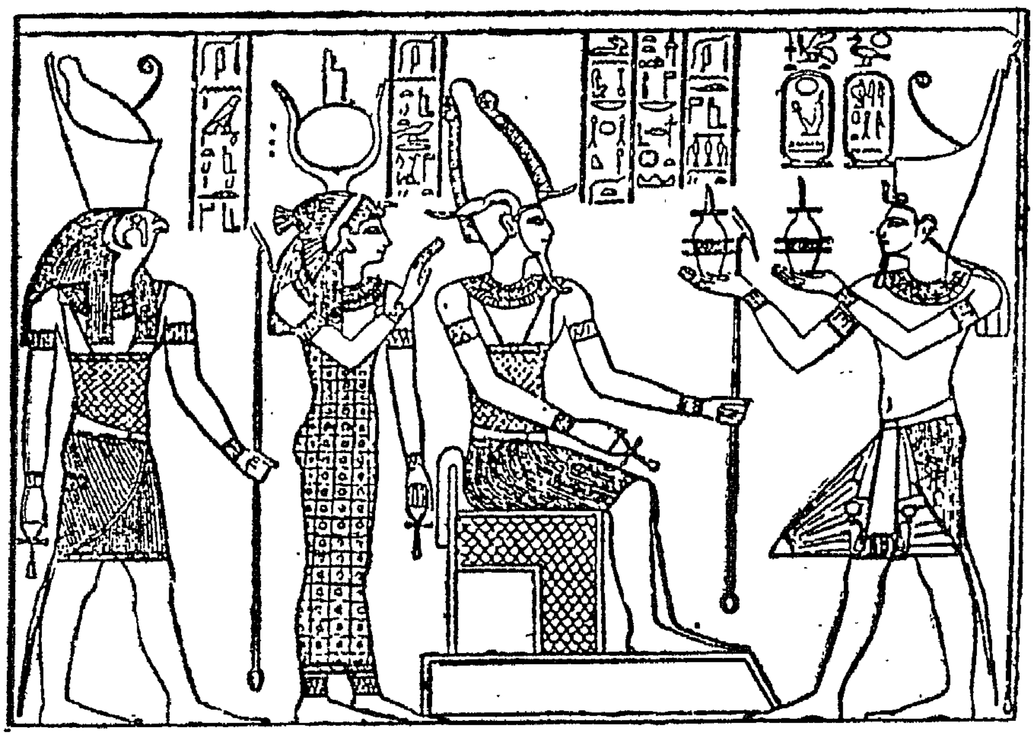
ومما يؤيد وجهة النظر هذه قول منقوش على بلاطة في جبلين لشخص اسمه « آتى » وهو أحد المسؤولين في هذه الأسرة ، ويلمح آتى في قوله هذا في وقت الفاقة قائلا : « لقد تبعت سيدى الكبير ، وتبعت سيدى الأصغر ، ولم افقد شيئا في هذا السلوك . »

وذلك يبدو انه تلميح الى نوع من القرابة الملكية الأدنى ، كما جاء في النقوش البارزة التى عثر عليها فى « شط الرجال » . وبعد التقدم قليلا فى الممر ، نرى خيتى للمرة الثانية وهو يقدم فروض الولاء والطاعة لمنتوحتب ، وهذه المرة بدون وجود أنتيف أمامه ولعل سلطة أنتيف الاقليمية تقع في الجنوب .

وان جميع اعمال النقوش البارزة في « شط الرجال » تمثل خضوعه لسيده الأعلى في مناسبة زيارة الملك الأخيرة الهامة لأملاك نائبة. وليس هناك بعد ذلك مايستحق المشاهدة على هذه الضفة تحت السلسلة .

(معبد سيتى الأول)
(المعروف بمعبد القرنة)

نعود الآن الى ضفة النهر الشرقية في رحلة الى معبد سيتى الأول أو معبد الريدسية أو معبد « وادى عباد » ويسمى هذا المعبد عادة بمعبد الريدسية ، لا بسبب أى علاقة بالقرية التى تحمل ذلك الأسم والتى تقع على بعد خمسة اميال عن ادفو ، ولكن لأن منطقة الريدسية كانت البقعة التى اجرى فيها ليبسيوس ، عالم الآثار الألمانى الشهير ، حفائره واستكشافاته لذلك المعبد . وفى الحقيقة تسهل زيارة المعبد من ادفو لأنها اقرب وان كانت الطريق من مناجم الذهب تبلغ نهايتها عند الكاب ، كما راينا .



(شكل رقم ٣٢)

الملك سيتى الأول يقدم النبيذ أمام أوزوريس اله الغربيين (اى الأموات) الاله العظيم ، سيدابيدوس « ون نفرى » ، سيد الأبدية ، حاكم الخلود وبخلف اوزوريس ترى ايزيس العظيمة ، ام الاله ، وحورس ابن ايزيس واوزوريس

ويندر ان تجرى رحلة الى ذلك المعبد ، حتى من قبل علماء الآثار،لأن هذه الرحلة تستغرق وقتا طويلا حوالى سبع ساعات على الجمال من ادفو ، وأن الآثار الحقيقية الموجودة في ذلك الموقع ليست على جانب كبير من الأهمية :

وان كانت الرحلة ممتعة وزاخرة بالمناظر الخلابة لأى مسافر يجد لدية الوقت للزيارة ولذلك ، مع شعورة بوجود مبرر قوى لزيارة المعبد المصرى التابع للأسرة التاسعة عشرة عند نهاية الرحلة ، ولكن لذلك تندر زيارة هذا المعبد .

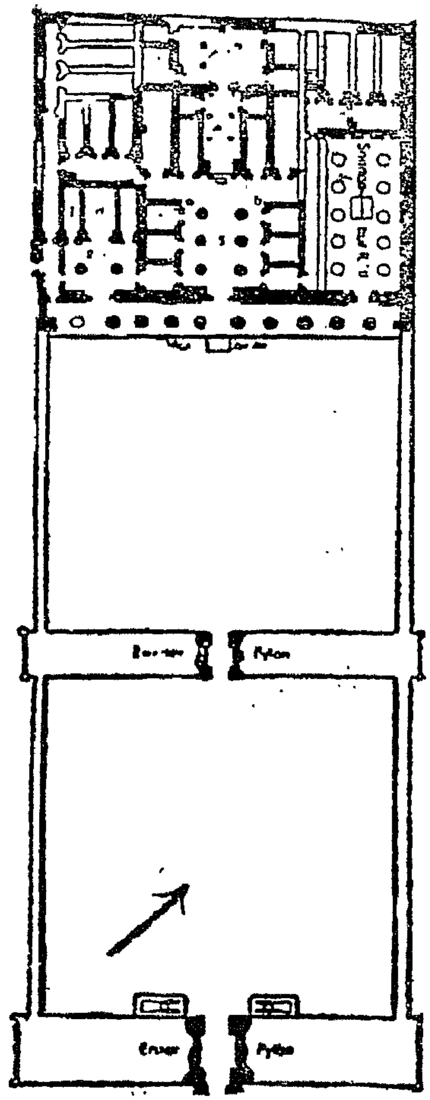
ويتألف معبد سيتى الأول من قاعة مستطيلة منحوتة في صخر من الحجر الرملى الذى يقوم عليه المبنى كله . مع قاعة مبنية من الحجر تقف أمامه ، وظهرها نحو واجهة الصخر .

ويرتكز سقف هذا الرواق على اربعة أعمدة مستديرة واربعة أعمدة مربعة ترتكز عليها الغرفة المنحوتة من الصخر في الخلف . وفي الجدار الخلفى لهذه الغرفة ثلاث مشكاوات لتماثيل الآلهة .

كانت الواجهة في الأصل خالية من الزينة ، ولكن اضيف اليها فيما بعد عند الطرف الشرقى شكل يمثل صورة صقر . وعلى يسار جدار المدخل . يرى رسم يمثل الملك سيتى الأول (من - ماعت - رع) (١٣٠٣ - ١٢٩٠ ق ع) يضرب اعداءه بعصاه . ويرى امامه آمون رع ممسكا جعلا بيد مرتبط باسماء ثمانية من البلدان الخاضعة له .

ويرى رسم الملك مرة أخرى على الجدار الخلفى للرواق يقدم القرابين (باليد اليسرى) الى حرختى (وباليد اليمنى) الى رع . وهناك على كل جانب من جانبى الباب المؤدى الى القاعة الداخلية فتحة فيها صورة ضخمة منحوته في (وان اصابها تلف بالغ) بروز شديد لسيتى كاوزوريس .

والسقف زاخر باشكال بارزة لمناظر تمثل مجموعة من النسور ذات اجنحة منشورة ، مع رموز هيروغليفية للملك ونجوم صفراء على ارضية زرقاء . ومازالت الوان هذه النسور باقية ومحتفظة برونقها كما كانت .



(شكل رقم ٣٣)
(التصميم الهندسي لمعبد سيتى الأول المعروف)
(بمعبد القرنة في منطقة الريديسية بالقرنة)

وعندما يدلف المرء الى القاعة الصغيرة المنحوته في الصخر ، يرى عند يسار الباب ، نقوشا طويلة تظهر الجنود وهم يثنـون على الملك ، ويؤدون صلواتهم الى آمون نيابة عنه لما ابداه من فطنة وذكاء في حفر بئر للمياه وبناء المعبد .

« يقولون من فم لفم : اوه . . آمون ، امنحه الخلود ، ضاعف له الخلود والبقاء • ايتها الآلهة التى تسكن في البئر ، امنحيه الاستمرارية ، لأنه مهد لنا الطريق التى نسير عليها حينما كانت مغلقة أمامنا ، اننا نمضي بأمان ، ونصل ونبقى أحياء . ان الطريق الصعب الذى كان في ذاكرتنا قد اصبح طريقا جيدا » .

وعلى يمين جدار المدخل رسومات مختلفة ومخطوطات بارزة يحض فيها سيتى ملوك المستقبل على صيانة هذا المعبد ويباركهم اذا فعلوا ذلك ، ويحذرهم فيما ينزل بهم من عقاب ويصب لعناته على جميع المسؤولين الذين لا يعملون بهذه النصيحة او يحولون هباته الى اغراض اخرى .

« اما فيما يتعلق باى شخص آخر يحول وجهه عن عبادة أوزوريس والسير في ركابه فان أوزوريس سيطاردة ، وستعاقب ايزيس زوجته ، ويلاحق حورس ابناءه من بين جميع الأمراء المدفونين في المقبرة ، وسينفذون حكمهم القاسي فيه » .

وهناك على يسار جدار المدخل المخطوط الثالث والأهم الذى يقول فيه سيتى ان احتفاره البئر وبناءه المعبد كانا نتيجة لتفتيش شخصي في المكان الذى حلمه ادراك صعوباته :

« في هذا اليوم ، عندما قام جلالته بتفتيش الريف الزاخر بالتلال حتى منطقة الجبال ، قد رغب قلبه في رؤية المناجم التى يجلب منها الالكتروم والمعادن.

والآن ، حينما صعد جلالته مبتعدا عن علامات مجارى المياه (يعنى انه خرج من المنطقة الزاخرة بالآبار) ، توقف في الطريق لكى يستشير قلبه ثم قال : « ياالسوء الطريق بدون ماء ! انها كمسافر جف فمه ، كيف يمكن ترطيب حلوقهم ، وكيف يمكن ان يروى عطشهم ، لأن الأرض الواطئة بعيدة والأرض العالية شاسعة .



(شكل رقم ٣٤)

(الملك سيتى الأول في معاركه مع الحيثيين)

فوق الملك ثلاثة آلهة يتولون حمايته : حورس في هيئة صقر والاله نفسه كقرص الشمس وآلهة الوجه القبلى في شكل عقاب وخلفه تمشي العلامة الهيروغليفية (التى تعنى (الحياة) كحاملة للمروحة)

ان الرجل العطشان يصيح قائلا : « يالارض الهلاك ! » اسرعوا ، دعونى افكر في احتياجاتهم . . . انني ساوفر لهم امدادا يحفظ لهم حياتهم ، حتى يشكروا الله من اجل اسمى في السنوات المقبلة . . .» او . لقد هداه الله لكى يمنحه الطلب الذى كان يبتغيه . . ثم اصدر امره الى العمال ليحفروا بئرا فوق الجبال ، حتى يمكن أن يقاوم الاغماء والعطش ويرطب القلب الملتهب في الصيف .

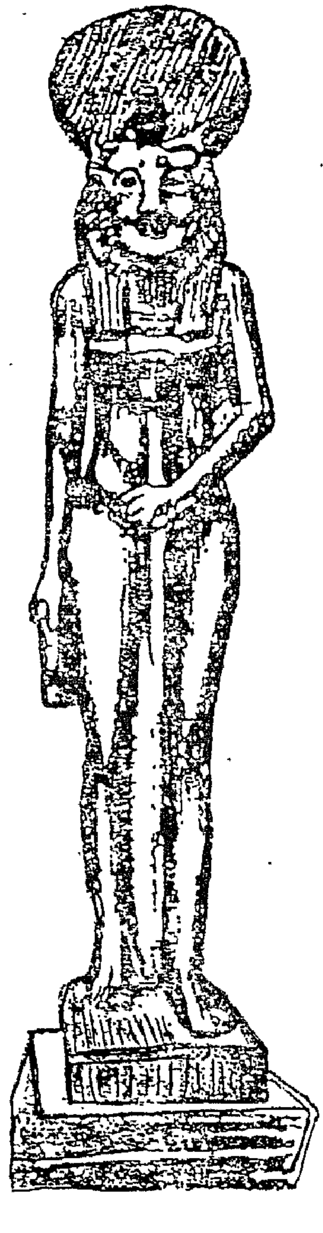
ثم لقد بني هذا المكان بالاسم العظيم لـ من — ماعت — رع (سيتى الأول) وفاضت المياه بوفرة عظيمة مثل كهفين من كهوف الفيلة . وهذه الاشارة ترمز الى المصدرين (الخياليين) للنيل عند ايليفنتين .

ولقد ذكر بريستد ان « كروفي وموفي » وهما الاسمان اللذان أطلقهما هيرودوت على الجبلين اللذين تنبع منهما ، حسب الأسطورة ، عينان تمدان النيل بالمياه ، وهما مشتقان من كلمتي تيفت — .Tephet وقيرتى — querti اللتين يطبقهما سيتى هنا على المصادر .

لقد لاحظ سيتى الأول بوضوح انه كان يعمل خيرا حينما مهد الطريق لعمال المناجم والجنود التابعين له الذين كانوا يحرسونهم ، ولم يعترض على الادعاء بانه صاحب الفضل في هذا العمل .

ومع ذلك ، فان هذا يعتبر مخطوطا ممتعا للغاية — فهو من كتابة رجل طيب كان يقدر الحالة السيئة لعماله ، وانه بذل كل ما في وسعه لتخفيف الأعباء عنهم . وعلاوة على ذلك ، فان هذا المخطوط يتفق مع جميع ما نعرفه من مصادر اخرى عن حسن خلق هذا الفرعون الطيب وعن سيرته العظيمة .
« انظر بريستد — "Ancient Records, III 88162" » .

وعلى الجدار الشرقى توجد ثلاث مجموعات من القرابين التى يقدمها الملك بنفسه الأولى الى مين — آمون مع ايزيس والثانية الى حورس اله ادفو والثالثة الى آمون — رع .



(شكل رقم ٣٥)
(الآلهـة سخمت)

وعلى الجدار الغربي يقدم قرابينه الى آمون — رع والى حارآخت وبتاح وسخمت والى اوزوريس الــه ادفو وايزيس . ولكلا الجــدارين بالقرب من نهايتهما ، فجوتان فارغتان غير مزخرفتين .

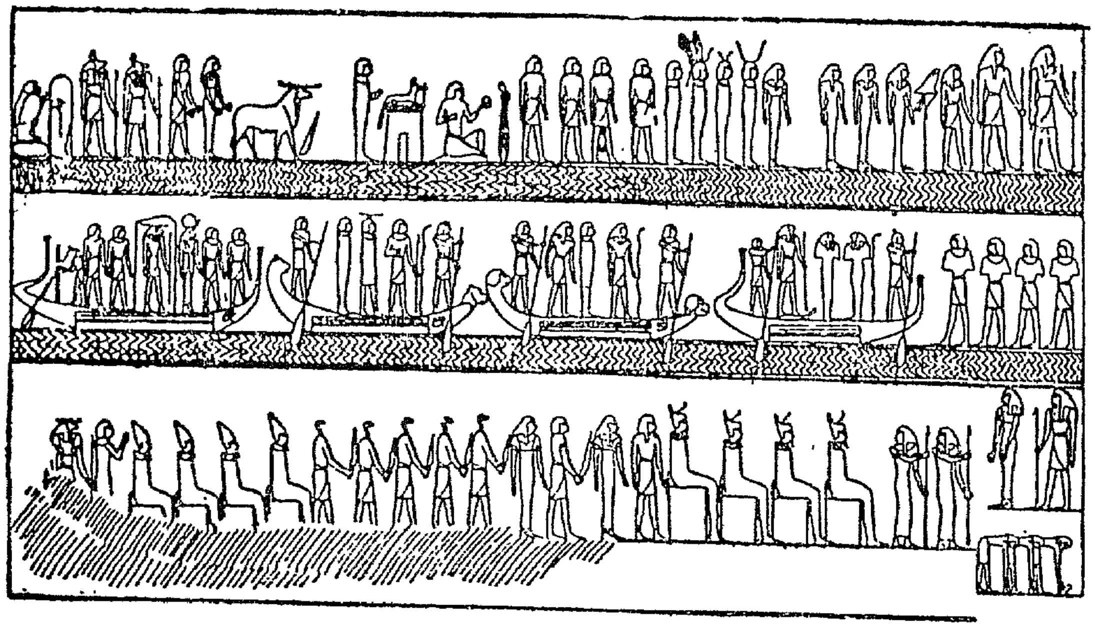
وللغرفة الخلفية . ثلاث مشكاوات لتماثيل الآلهة . فالمشكاة اليمنى فيها ثلاثة اشكال منحوته من الصخر ولكن اصابها تلف بالغ . ويبدو ان هذه الأشكال كانت تمثل حورس وايزيس وربما مع الملك لتكوين ذلك الثالوث .

والفجوة الوسطى لها ثلاث درجات تؤدى اليها ، وفيها ايضا تماثيل مدمرة ومهشمة تمثل حارآخت وآمون — رع وسيتى الأول . اما المشكاة الثالثة ففيها تماثيل بتاح واوزوريس وربما سخمت .

وسقف هذه القاعة مزين ، مثل سقف الرواق ، بالنسور والمستطيلات الهيروغليفية والكواكب والنجوم . ولقد أصاب الجدران تشويه شديد مع «شخبطة» رعناء من كثير من الزوار على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم ، وعمد بعضهم الآخر الى كتابة اسمائهم وبذلك أضافوا تشــويها كثيرا لصرح قــديم وهــام .

ان الصخرة الهائلة التى يجثم تحتها هذا المعبد تحمل رسومات مبتذلة لقوارب وحيوانات . وفي حالة واحدة من هذه الرسومات يرى الاله«مين» في موقفه العادى يقف امام مزار بنى فوق القارب . ان مثل هذا المكان المقدس يمكن اعتباره على أنه كان تحت حماية الإله «مين» الخاصة ، وهــو الذى يسمى اله الصحراء الشرقية .

وثمة مخطوط غريب آخر يعود تاريخه الى عهد الأغريق ، منقوش على صخرة تقع شرقى المعبد . وتشير النقوش آلى رحلة لصيد الفيلة ، وهذه الرحلة موضحة لفيل منحوت بصورة نادرة ، في حالة تأمل مستغرق . وفي منتصف الطريق بين ادفو والسلسلة ، يوجد اطلال كثيرة لقلعة « بويب » البيزنطية .



(شكل رقم ٣٦)

الساعة الثالثة من ساعات الليل حسب كتاب امدوات

(من مقبرة الملك سيتي الأول)

الفصل الثاني والثلاثون

جبل السلسلة : (المحاجر والمقابر والمعابد)

تقع منطقة جبل السلسلة على بعد واحد واربعين ميلا من اسوان ، وتزخر هذه المنطقة بالمواد الأثرية البالغة الأهمية ، ولذلك فانها تستحق المشاهدة والزيارة .

ان هؤلاء الذين يرغبون في معرفة القوة الرائعة التى كان يتعامل بها قدماء المصريين مع الأحجار ينبغى لهم ان يروا المحاجر العظيمة في هذا المكان حيث تتضح فيه ، دون غيره من الأماكن في مصر ، قوة ونبوغ ومهارة المصريين في استخراج كتل الأحجار وتهذيبها وتسويتها وصناعتها في المحاجر بالرغم من الطلبات الكثيرة والاحتياجات التى انهالت على المحاجر القديمة منذ مطلع هذا القرن .

ومن السهولة بمكان الوصول الى منطقة جبل السلسلة بالقطار المبكر الذى يقوم من اسوان الى محطة « كاجوج » حيث يمكن ركوب قطار العودة بعد الظهر . ونظرا لأنه ليس هناك متسع من الوقت لفحص الآثار على ضفتى النهر ، فان من المستصوب اتخاذ ترتيبات لازمة مقدما لتوفير الركائب ، وان تكون هناك معدية او باخرة جاهزة ، حتى لايضيع الوقت سدى في انتظار الوصول الى هناك .

ومن الممكن أيضا الجمع بين هذه الزيارة وزيارة لمعبد كوم امبو (انظر Baedeker ص ٣٥٩) : عند جبل السلسلة حيث تتغير طبيعة الأراضي المحيطة بالنيل على مسافة معينة .

أن الحجر الجيرى الذى يشكل عصب هذه المنطقة الى الشمال ، يعترضه هنا حاجز ضخم من الحجر الرملى حيث توجد تلال الأحجار الرملية التى تقع

على حدود وادى النيل بالقرب من اسنا ، ونقترب الآن من حافة النهر على بعد حوالى ميل على كلتا الضفتين .

ويستمر امتداد تلال الأحجار الرملية حتى قرب اسوان ، حيث تعترضها صخور بلورية متداخلة ، ثم لاتلبث أن يتجدد امتدادها بالقرب من معبد كلابشه ، خلف اسوان ، حتى وادى حلفا .

ان المضيق الصخرى الذى يتشكل من الأحجار الرملية عند منطقة السلسلة ، يعتبر لذلك أهم مكان مناسب يمكن أن يحصل منه المهندسون المعماريون المصريون على الحجر الرملى الذى كان يستخدم على نطاق واسع في عمليات بناء المعابد والهياكل والتماثيل المختلفة ابتداء من عهد الأسرة الثامنة عشرة فصاعدا .

وينبغى ان نذكر ان استخدام هذا الحجر هو الخاصية الرائعة التى تمتاز بها مبانى الامبراطورية الجديدة . وجدير بالذكر ان استخدام الحجر الجيرى ، قبل بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة ، هو الذى كان شائعا ومنتشرا في ذلك الوقت ، وان كان فراعنة الأسرة الحادية عشرة قد استخدموا الحجر الرملى على نطاق ضيق .

وعلى سبيل المثال ، في أعمال الأساسات والأرضيات اعمدة معبد الأسرة الحادية عشرة في «الدير البحرى» على انه مع قيام الأسرة الثامنة عشرة ، طغى استخدام الحجر الرملى كلية على منافسة الحجر الجيرى ، على الأقل في مصر العليا ، وبخاصة ان جميع عمليات بناء المعابد التى شيدت في مصر العليا قد بنيت من هذا الحجر .

لقد بنيت جميع المعابد والمبانى في الأقصر والكرنك والقرنة والرامسيوم ومدينة هابو ودير المدينة ومعابد دندرة واسنا وادفو وكوم امبو وفيلة والمعابد النوبية من الحجر الرملى ، وان كان الحجر الجيرى قد استخدم في بعض الحالات القليلة بكميات صغيرة .

ان هذا التغيير في استخدام هذه الأحجار قد اكسب سفوح التلال المكونة من الحجر الرملى ، اهمية بالغة ، ولذلك كان ذلك المضيق الصخرى ، منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة ، من اكثر الأماكن ازدحاما بالأعمال والانشاءات في مصر ، تماما كما كانت طرة في عهد المملكة القديمة .

ويطلق الآن اسم جبل السلسلة على هذا المكان ، وهناك قصة لهذا الأسم . وذلك انه يقال أن النيل قد اغلق في وجه الملاحة النهرية من الجنوب عند هذه النقطة بسلسلة كبيرة عبر النهر ، بل ان الأسطورة تشير الى صخرتين غريبتى الشكل كمحطتين ارتبطت بهما السلسلة في الأيام الغابرة .

على أن هذا يعتبر مجرد مثل واحد لنمط الاشتقاق المعروف ، ولكنه محض اختراع استنبط لكى يلائم الاسم المذكور ، وليس هناك دليل قط على أنه وجد مثل هذا الحاجز عند السلسلة كما تقول الأسطورة .

كان الاسم المصرى القديم للمكان هو « حنوى » ، ويقال أن الاسم الحالى ، وهو السلسلة ، ليس الا تشوية لهذا الاسم . وقد اطلق المصرى (القبطى) فيما بعد اسم خلخل على المكان ، وهوذا الاسم يعنى « حاجز » أو سور حجرى - وهو لقب يلائم الأسوار الحجرية للسلسلة .

اما الاسم الرومانى للمكان فهو « سلسل » ، وهكذا تطور الاسم على مر العصور الى السلسلة .

ان الآثار التى نحن في سبيل استعراضها وشرحها تبدأ بالاستخدام الموسع للمحاجر في ظل الامبراطورية الجديدة ، ولكن يجب أن لا يتصور أحد ان المعابد الصغيرة المختلفة والمزارات والمخطوطات ليست اكثر من آثار الأعمال التى جرت هنا في هذه المنطقة .

وليس هناك اى علاقة خاصة بين كثير من هذه الآثار واعمال الحفر والمحاجر ، ولكن هذه الآثار تقيم الدليل على شكل من التبجيل والاحترام للنهر العظيم والآلهة العظيمة المرتبطة به والواسعة الانتشار .

وجدير بالذكر ان « حـابى » ، الة النيل ، كان موضع عبادة وتبجيل في كل مكان في مصر ، ذلك أن كل مكان يمر فيه النهر المانح الحياة يعتبر مكانا مقدسا ، وعليه ، فانه حيثما توجد صخور مناسبة بالقرب من حافة النهر توجد المعابد الصغيرة او المخطوطات والنقوش الرائعة التى تعبر عن الاحترام للأشياء المقدسة .

وتنتشر اعظم هذه المعابد على طول ضفة النهر بصورة واضحة بينة ابتداء من معابد « سبيوس ارتميدوس » الى أبو سمبل . ان منطقة السلسلة بما فيها من اغراء وجمال ساحر لاينبغى اغفالها او تركها لأن هذه المنطقة بما لهـا من سفوح وتلال من الأحجار الرملية قـد حفز الفراعنة والأمراء والنبلاء من الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين على التدفق عليها ونحت شعارات دينية بارزة ومعابد صغيرة .

ويكفى القول ان ستة من الفراعنة من الأسرة الثامنة عشرة واربعة فراعنة من الأسرة التاسعة عشرة واثنين من فراعنة الأسرة العشرين ، ناهيك عن الشخصيات الأدنى ، قد خلفوا آثارهم التذكارية هنا .

ان معظم الآلهة الهامة التى كانت تعبد على هذا النحو في ذلك المكان لها بعض الارتباط بالنهر ، ولعل « سوبك » التمساح الاله ، اهم هذه الآلهة وأبرزها ، وحابى ، اله النيل ، يشاطره شعبيته وهناك آلهة مشهورة أيضا منها حاروير ، والاسم الاغريقى هو هاروريس وسوبك ، وهما الاها كوم امبو ، وثويريس ، وفرس النهر من الآلهة ، المشهورة ايضا .

والى جانب هؤلاء هناك الثالوث كتاراكت ، خنوم آلهة اليفنتين مع ساتت وانوكيت ، الاهتى ايلفنتين وجزيرة سحيل .

على انه بعد الأسرة العشرين ، يبدو أن المكان قد فقد ممارسة بنـاء المزارات واللوحات المنقوشة على طول السفوح ، ومالبثت هذه الممارسة أن

انتهت . ويرى السيد ويجال (Weigall) - ان فقدان القداسة في ذلك المكان قد حدث كنتيجة طبيعية لتحول المكان تدريجيا الى مركز ضخم للأعمال .

حيث طغت عمليات التحجير التى كانت تجرى على نطاق واسع ، على المشاعر الدينية التى كانت سائدة في الأيام السالفة . ولعل العمل في المحاجر بدأ لأن الأحجار الرملية في السلسلة كانت مقدسة بالفعل .

« لقد كان حقا من المشاعر الدينية أن يستخدم الحجر المقدس في بنـاء اماكن مقدسة » . حيث لم يمض وقت طويل حتى اصبحت منطقة السلسلة تضم اكثر الآثار الهامة التى كانت تتسم بالقداسة .

لقد استمر العمل في محاجر السلسلة بدون اعاقة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى آخر ايام اباطرة الرومان والذين حاولوا تطبيق اذواقهم وفنهم على أنماط الهندسة المعمارية المصرية . على ان بناء المعابد الرومانية - المصرية قد توقف حوال سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .

ومنذ ذلك الحين تخلصت السلسلة من ادوات ضجيج عمال المحاجر حتى عام ١٩٠٦ ، حينما افتتحت المحاجر من جديد بعد فترة هدوء دامت اكثر من سبعة عشر قرنا ، وذلك لتوفير الحجارة الى القنـاطر التى مررنا بهـا عنـد اسـنا .

ان مشكلة ، التوفيق بين احترام الأماكن المقدسة القديمة وبين المرافق الحديثة هنا قد ثبت انها ليست مشكلة سهلة تماما كما هو الحـال في فيلة .

ولكن ما لبثت هذه المشكلة ان سويت مع عمل احترام واعتبار لقيمة سجلات المـاضي ، ومع انه لم يكن من المستطاع تجنب بعض التلف الا ان هذا التلف قد حدث الى اقل حد ممكن ، وإن الخطوط الحـديثة المنحـوته أو المنقوشة التى تغطى الآن السلسلة الطويلة للخطوط والنقوش التذكـارية في مدينة السلسلة .

واحياء ذكرى اعمال المحاجر في المنطقة تعتبر من التعديات التى قام بها الحاضر على الماضي في مصر .

وتوجد أهم الآثار والمقابر ، بخلاف المحاجر ذاتها ، على الضفة الغربية ، ويمكن الوصول اليها بواسطة « معدية » الى مكان رسو الباخرة حيث تولى وجوهنا شمالا للوصول الى نهاية المضيق .

واذا اغفلنا الطرف الشمالى النهائى للخط الغربى حيث يوجد عدد قليل من المحاجر الصغيرة ومخطوطات غير هامة منقوشة على صخور مقطوعة بصورة سيئة ، نصل الى المزار الرئيسي في ذلك المكان ، وهو بمثابة معبد صخرى منحوت لحورمحب (قرب نهاية الأسرة الثامنة عشرة او بداية الأسرة التاسعة عشرة) وقد قام هو وخلفاؤه من بعده بتجميلة وزخرفته .

ويتالف معبد السبيوس (SBEOS) من قاعة مستعرضة منحوته في صخرة امامية ويتم الوصول اليها من خمسة ابواب تنفصل عن بعضها البعض بواسطة اعمدة مربعة القاعدة منحوتة في الصخرة الطبيعية ولم يبق من الأبواب الخمسة سوى الباب الأوسط .

ويقع وراء القاعة الرئيسية المحراب الذى يضم سلسلة قوامها سبعة من الآلهة على طول جداره الخلفى . وهكذا فان تصميم ذلك المزار أو المعبد الصغير يشبه بعض المعابد الصغيرة ذات المدافن المتوسطة في طيبة .

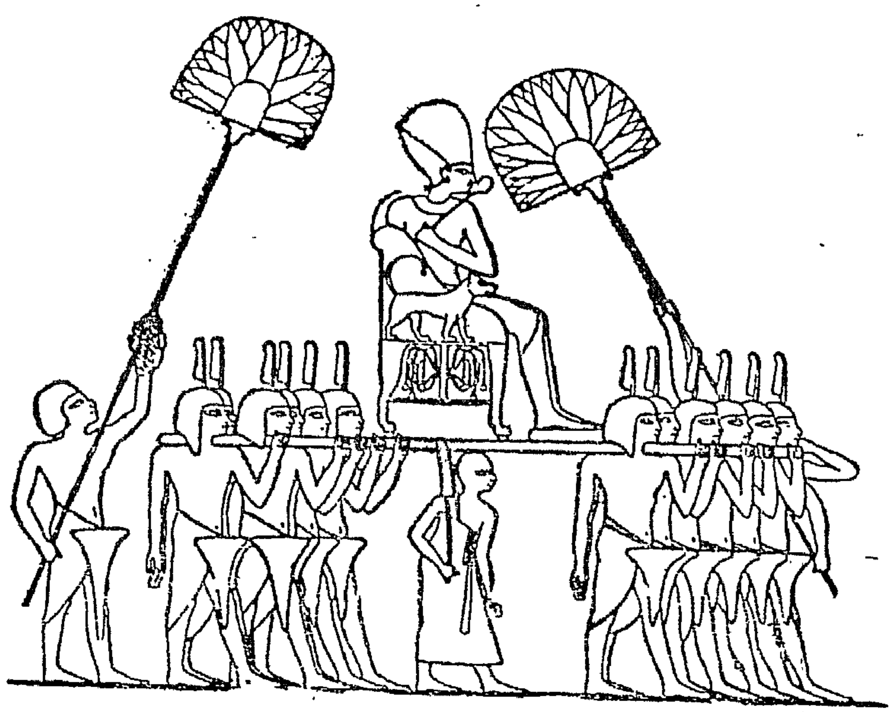
وعلى قمة الباب الأوسط الذى ندلف منه مباشرة توجد الكرة المجنحة واشكال مختلفة ورسومات لحور محب . وعندما نتجه يسارا اثناء دخولنا ، نرى على الجدار القصير (الجنوبى) ما يمكن أن يكون صورة منحوتة نحتا دقيقا للملك الذى يقف وراءه آمون - رع وشكل خرب لسوبك اثناء قيام الآلهة تويريس بارضاعه .

وترى هذه الآلهة هنا كامراة ، وليسبيت كفرس النهر ، ويقف خنوم وراء تويريس والذى اصاب رسمه المنحوت تلف كبير . وهناك على طول الجدار

الغربى والجدار الخلفى للقاعة سلسلة من الرسومات البارزة التى ينبغى لنا ان نتبعها .

اولا يرى حورمحب عند زاوية الجدار بعبة الحرب ، قبل آمون — رع ، ثم يرى بعد ذلك جالسا في محفته يحمله ١٢ من الجنود الذين يضعون ريشا على رؤوسهم ، بينما يقوم اثنان من حملة « المراوح » بارجحتها فوق راسه بينما يسير كبير حملة المراوح الى جانب جلالته ، حاملا المروحة الصغيرة المصنوعة من الريش التى تعتبر رمز منصبه المميز .

ويضع كل واحد من الجنود على راسه ريشة واحدة منتصبة وهى خاصة بالليبيين كما يرتدون المآزر الجلدية العادية . ويتقدم هؤلاء احد الكهنة أمام



(شكل رقم ٣٧)

(الملك « حور محب » تحمله الجنود والى الأمام والخلف حاملا المراوح الحقيقيان،)
(على حين يسير الى جانبة كاهن عظيم يحمل لقب « حامل المروحة » الى)
(يمين الملك)

المحفة وهو يحرق البخور بينما يجر ثلاثة صفوف من الجنود الأسرى النوبيين بينما ينفخ بروجي في بوق .

وعلى مسافة قصيرة بعد هذا المشهد ، نرى صورة بارزة النحت لمسؤول يسمى خاى ، من عصر رمسيس الثانى ، كما نشاهد رسما منحوتا للملك سيبتاح (الأسرة العشرون) ، الذى لاينسى مدفنه في بيبان الملوك ، وهو يقدم زهورا الى آمون - رع .

ويصاحبه مستشاره « بـاى » الذى يعتبر واحـدا من الشخصيات غير الملكية المدفون في بيبان الملوك . ويرى تحت هذا المشهد ، مشهدا خرب آخر لحورمحب في عربته وهو يطلق سهامه ضد أحـد الأعداء .

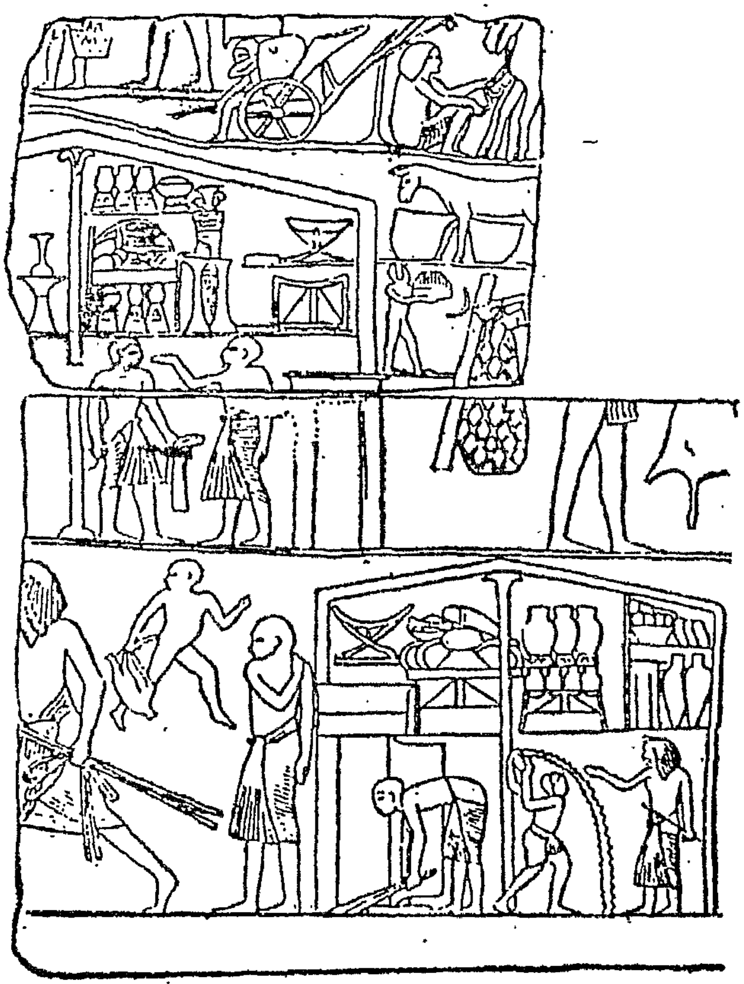
ويعتبر هذا المشهد والمشهد الآخر الذى وصفناه للتو . من بقايا اعمال حورمحب في ذلك المزار . وبعد ذلك ، نرى بلاطة منحوتة مؤرخة في السنة الثانية لحكم منفتاح ، من الأسرة التاسعة عشرة ، يرى فيهـا ذلك الفرعـون بصحبة زوجته يست نوفريت ووزيره بنيهس ، وهو يقدم صورة ماعت الى آمون - رع وموت .

ثم يعقب ذلك المشهد رسم ذو بروز شديد يتمثل لشخص وهو يقـدم فروض الولاء والطاعة الى حابى وسوبك ويمثل الأمير خام وى ست المشهور الذى كان الابن الرابع لرمسيس الثانى ، وكان من المقدر أن يكون وريث ذلك الملك الطويل العمر . ولكنه مات قبله تاركا شهرة واسعة في القصص والقوى السحرية . التى عاشت في خيال وشكل اكثر من حكاية مصرية من الحكايات والأساطير .

ويعقب ذلك بلاطة كبيرة عليها نقوش منحوتة لخام وى ست ، احتفالا بعيد ابيه الخمسينى ويظهر عليها ايضا الأمير ورمسيس الثانى وهما يتعبدان امام بتاح وآمون .

وعند دخولنا من الباب الى الغرفة الداخلية ، نجد انفسنا أمام بلاطة ثانية من نفس النوع اللهم سوى تغير بسيط لأحـد الآلهة ، وهو وجود سوبك محل آمون .

ثم يأتى شكل آخر لحام وى ست ، وقائمة اخرى بالاحتفالات بالذكرى الخمسينية بوجود رمسيس الثانى مع آلهة مختلفة وبلاطة اخرى منقوشة يظهر فيها الوزير خاى ، وهو يودع الملك بحضور مجموعة اخرى من الآلهة ،



(شكل رقم ٣٨)

(منظر من مقبرة الملك حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، ونرى)
(به خيمتين في ارض المعسكر وبكل خيمة كراسي وطعام وشراب الى جوار هـذه)
(الموائد ، وبالخيمة السفلى نشاهد خادم يكنس وآخر يسكب الماء ليطهر سبيله)

وتقول النقوش أن خاى جاء للاحتفال بذكرى خمسينية اخرى وهذه البلاطة مؤرخة في السنة الخامسة والأربعين لرمسيس الثانى . وفي الزاوية التى تتألف من الجدار الخلفى والجدار الشمالى ، نرى رسومات بارزة تالفة لثلاثة رجال في صلاتهم .

نرى مما تقدم ان هناك رسومات بارزة كثيرة لرمسيس الثانى أكثر من المؤسس الأصلى لذلك المزار المقدس وهو حورمحب ، والى جانب ذلك يبدو أن الاحتفالات بالذكرى الخمسينية لرمسيس قد اقيمت مرارا وتكرارا في السنوات الأخيرة من حكمه في ذلك المكان .

وهناك في الحقيقة امثلة أخرى كثيرة تقع في هذه السلسلة الى جانب تلك التى تقدم ذكرها .

وحقيقة الأمر أن رمسيس الثانى قد اعتاد اثناء السنوات العشرين الأخيرة من حكمه أن يحتفل بالعيد الخمسينى كلما كان يحلو له أن يفعل ذلك ، وكانت الفترات التى تتخلل تلك الاحتفالات تتراوح بين عام وثلاثة أعوام .

ويقال ان عدد المرات التى احتفل فيها بالعيد الخمسينى لاتقل عن تسع سنوات . وليس غريبا أن الابقاء على هذه الممارسة كانت أثقل مما يستطيع الأمير حام وى ست ان يحتمله الذى كانت تقع على عاتقه ، ككبيرا لكهنة بتاح ، جميع الترتيبات المتعلقة بهذه الاحتفالات .

وعلى اية حال ، فقد تخلى حام وى ست عن هذه العادة ، وتوفي بين الذكرى الخمسينية للملك التى احتفل بها في عامه الواحد والأربعين حيث احتفل بها الأمير ، كما رأينا في الكاب ، والذكرى الخمسينية للعام الثانى والأربعين التى احتفل بها الوزير خاى في السلسلة .

لقد توفي له أبناء كثيرون من ضمن ابناءه الذين لايقعون تحت حصر ، قبل أن يستسلم رمسيس الذى لم يكن يعرف الكلل ، للمرض ، ويتنازل لخلفه منفتاح ابنه الثالث عشر .

وعلى الجدار القصير الشمالي للقاعة يوجد ستة رسـومات لأشـخاص في بروز كبير إما جدار المـدخل الأيمن والأعمـدة فانها تزخر بالمخطـوطات المنقـوشة .

وهناك رسـومات اخرى على الباب المؤدى الى المحراب للملك حور محب وهو يقدم القرابين الى حارآخت وزوجتـه ايوس ـ آس . والى آمون وموت .

وعلى جدار المدخل عند الجانب الشمالى (الأيمن) الثالوث المكون من خنـوم وساتيت وانوكيت بينما تظهـر على إلجـدار الجنـوبى (الأيسر)، رسومات بارزة لأوزوريس وسوبك وحارآخت وسلقيت ، الاله العقرب .

وهناك على الجدار الجنوبى للغرفة رقم ٣٦ آلهة كثيرة وصور جنيـات وكذلك على الجدار الشمالى . وعلى الجدار الخلفى تجلس سبعة اشكال على شكل آلهة مختلفـة قد اصابها تلف بالغ وهى تمثل (من اليســار الى اليمين) . سوبك وتويريس ، وموت ، وآمـون رع ، وخونسـو ، وحور محب وتحوت .

واذا مضينا جنوبا من محراب حور محب ، فاننـا نصل بعد مسـافة حوالي مائة ياردة منه الى ثلاث لوحات منحـوته من صخر يواجه النهـر . يظهـر فيها رمسيس التاسـع على احـدى هذه اللوحات وهو يتعبـد امـام آمون ، وموت وخونسـو وسوبك .

ولكن هذه الرسومات المنقوشـة لا تنطوى على أهمية ، وتليها لوحـة للملك شيشنق الأول ، الذى يقف كبير كهنة آمون وراءه ويصحبـه موت الى حضرة آمون ـ رع ، وحارآخت وبتاح . ويفيد المخطوط ان الملك افتتح المحاجر في السلسلة من اجل المبانى التى تعهـد ببنائها في الكرنك في عامه الواحـد والعشرين .

وعلى البلاطة الثالثة يظهر رمسيس الثالث وهو يقـدم رسـما لماعت الى آمـون وموت وخونسـو . ثم نمر بمزيد من المحاجر وبعد ان نتقـدم مسـافة صغيرة جنوبا نجد ثلاثة معابد صغيرة ، أو بالأحرى خلوات او هياكل .

ولثانى هذه المعابد سقف مطلى وعلى كتف بابه الشمالى يظهر شكل لتحتمس ، « كاتب البيت الفضى » او الخزانة . اما الخلوة الثالثة فهى من اعمال امير وراثى يسمى «مين » الذى كان حاكم هذه المنطقة في عهد تحتمس الثالث .

وهناك خلوة أو خلوتان اخريتان ليست لهما اهمية ذات بال ، ثم يلى ذلك معبد صغير لمسؤول غير معرف فى عهد الحكم المشترك لحتشبسوت وتحتمس الثالث ، التى يلاحظ فيها ان رسومات حتشبسوت والكتابات الهيروغليفية عنها قد محيت تماما .

وهو الأمر الذى يظهر الى اى مدى كان انتقام تحتمس الثالث من ذكرى قرينته البارعة التفوق والذكاء ومدى المتاعب التى وضع نفسه فيها في تنفيذ ما كان يعتبره حقدا غير جدير برجل عظيم .

ثم نمر بمعابد صغيرة عديدة محطمة ومهشمة ونـلاحظ على بعد قليل منهـا ، جنوبا ، رسومات وكتابات هيروغليفية للفرعون مريرى ، من الأسرة السادسة ، وتبين هذه الرسومات ان المناطق المجاورة لم تكن مهملة في عهـد المملكة القديمة .

ثم نمر بعد ذلك بمدفن بدون سقف ونصف مهدم عليه بقايا مشاهد تثبت انها تخص شخصا يدعى سينوفر وزوجته حتشبسوت . وهناك على بعد قليل الى الجنوب مجموعة قوامها ستة معابد صغيرة منها ثلاثة يمكن الوصول اليها بدون تجشم متاعب كبيرة .

ولقد فقد اول هذه المعابد الثلاثة جداره الأمامى وجدارا جانبيا ، وهو يخص الأمير الذى يقع مدفنه في مقبرة طيبة ورقمة ٨٧ ، وكان ميناخت هـذا اميرا مبجلا والكاتب الملكى وناظر الصوامع في مصر العليا والسفلى اثنـاء حكم تحتمس الثالث .

ومازالت هناك بقايا لتمثالين بارزين احدهما المنحوت على الجدار الأيسر حيث يبين مناخت وصديقا له جالسين أمام مائدة القرابين بينما تظهر الأشكال المنحوته الأخرى على الجدار الخلفى ثلاثة اشخاص جلوسا .

والمعبد الصغير التالي يخص صديقا آخر قديما ، وهو من اعمال نفس سينوفر الذى يحمل مدفنه رقم ٩٩ في مقابر طيبة . ويخص المعبد الثالث ، الأمير نخن وهو نبيل فرعونى من نبلاء الحكم المشترك لتحتمس الثالث وحتشبسوت .

ومن بين المعابد الثلاثة الصغيرة الأخرى التى يصعب الوصول اليها ، يوجد معبدان آخران ذوا اهمية كبيرة ، لأنهما من اعمال اثنين من اشهر شخصيات حكم الملكة حتشبسوت . احدهما حيبو سونب الذى كان يملك احد المعبدين ، وكان كبيرا لكهنة آمون في ظل الملكة العظيمة ، وكان مسؤولا عن تشييد مدفنها الضخم في وادى الملوك .

انه لم ينج من الحزن والعار ، كما قيل ، عند وفاة حتشبسوت وسقوط انصارها ومعضديها لأن تمثاله في طيبة واسمة ، قد ازيلا منه (بريستد ، (Ancient Records, 11, 16059) ، كما خرب مدفنه (رقم ٦٧) في المقبرة وازيل من معبده الصغير اسم الملكة العظيمة ايضا .

اما المعبد التالى ، فهو معبد واحد من كبار انصار حتشبسوت ، وهو سينموت ، الذى كان مهندس الملكة المعمارى وخادمها المخلص الذى يؤدى جميع الأعمال .

ولقد اصاب معبده الصغير دمار كذلك على يد عملاء تحتمس الثالث اكثر منه على يد حيبوسونب ، وازيل رسمه واسمه حيثما كان ذلك ممكنا .

أما المعبد الثالث الصغير الذى يعتبر الوصول اليه اشد صعوبة من سابقيه ، فهو يخص وزير يدعى أماتو .

وبعد ان نمر بمعبد صغير آخر صاحبه مجهول ولكنه ينتمى الى حكم امنوفيس الثانى ، نصل الى معبد صغير لشخص يدعى منخ ، وهو « كبير خدم الملكة » .

ويبدو ان اخت منخ كانت واحدة من زوجات تحتمس الأول ، ولكن العمر امتد بمنخ واخته طوال حكم تتشبسوت والى حكم تحتمس الثالث . على أنه تعرض لغضب ذلك الملك نتيجة لمناصرته حتشبسوت .

ويحتوى هذا المعبد على مشاهد مهمة عديدة ، حيث يبين احداهما منخ جالسا مع أبيه انيني (انينا) وامه ثورا . . . ان من الممكن أن يكون هذا الانيني نفسه المسؤول الذى قام بعمليات الحفر في مدفن تحتمس الأول ، « لا يسمع انسان ولايرى زجل » ، وتروى مخطوطاته المنقوشة في طيبة (رقم ٥٤) انه لم يكفر على الاطلاق بالآلهة وكان متدينا .

ونمر بمعبدين صغيرين آخرين ينتميان الى حكم تحتمس الثالث وحتشبسوت المشترك اللذين أزيلت منهما رسومات الملكة . ويخص المعبد الثانى منهما ميناخت آخر حيث احتفظ ببعض المناظر وهى بحالة جيدة كما توجد ثلاثة تماثيل اخرى محطمة . وآخر معبد صغير ذى اهمية يمكن زيارته هو معبد رجل عظيم يدعى امن محت الذى كان اميرا ورئيسا لكهنة الجنوب والشمال وكبيرا لكهنة آمون أثناء حكم امنوفيس الثانى .

وفي هذا المعبد الصغير توجد اعمال فنية رائعة في مجال النحت والزخرفة ومازالت الألوان فيه بحالة جيدة وجميلة ويظهر على الجدار الأيمن (الشمالى) الأمير امن محت وزوجته ميمى (MIMI) جالسين امام مائدة القرابين التى قدمت اليهما من ابنهما آمن مواسخت .

وحولهما يلتف عدد من الأصدقاء ، وهناك أيضا قرابين يجرى تقديمها ويظهر الجدار الجنوبى (الأيسر) الزوجين جالسين امام مائدة القرابين وعلى الجدار قائمة بالمؤن والأمدادات التى قدمت هبة للمعبد الصغير .

وفي الجدار الخلفى تمثال تالف لأمن بحت ، مع مشاهد لخدم يحضرون القرابين . وقد جرى أغتصاب ذلك المعبد فيما بعد واستخدم كمدفن ، كما يتبين ذلك من ثلاثة احجار مقطوعة على شكل توابيت عند بابه .

ونمر بعد ذلك بعدد آخر من المعابد الصغيرة المدمرة وبعض المحاجر ونصل الى احدى الصخور التى قيل ، حسب القصة ، أن السلسلة الممتدة عبر النهر مرتبطة بها . والى الجنوب منها تقع اهم مجموعة من المعابد الصغيرة على الضفة الغربية بخلاف مزار حور محب .

وفي طريقنا اليها ، نمر بلوحة كبيرة منحوت عليها رسم يمثل رمسيس الثالث الذى يظهر بحضور آمون — رع وحارخت وحابى . ووراء هذه اللوحة مباشرة المنحوتة من الصخر توجد في الزوايا القائمة على خط النهر وبقية الأضرحة ، مجموعة اخرى قوامها ثلاثة معابد .

وقد تهدم احداها جزئيا من جراء انهيار أرضي ، ولكن المعبدين الباقيين متشابهان الى حد كبير . وفي كلتا الحالتين ، هناك خلوة على عمق حوالى ستة اقدام قد نحتت في الصخر . ويحدها على الجانبين اعمدة صغيرة،وقد تم تزيين مدخلها بنقوش بارزة على جوانبها .

ويوجد خلف هذه الخلوة لوحة كبيرة فيما يوجد على جانبى الخلوة سلسلة من اشكال الآلهة . كان المعبد الأول منهما قد نحت أيام منفتاح في سنته الأولى . وعلى اللوحة رسم منحوت يظهر فيه الملك وهو يقدم القرابين الى ثالوثين من الآلهة .

وهى الثالوث العادى المنتسب لطيبة والمؤلف من آمون ، وموت ، وخونسو ، والثالوث الثانى مؤلف من حارآخت ، وبتاح ، وحابى . وفي المخطوط ترنيمة النيل حيث تشير الى المهرجانات والقرابين . وجدارا الخلوة مزخرفات بأربعة صفوف من الأشكال السماوية .

ويأتى بعد هذا المعبد مساحة ضيقة من الصخر تحمل بلاطة صغيرة منحوت عليها الملك منفتاح وهو يقدم صورة ماعت الى آمون — رع . ويرافق الملك اثنان من رجال البلاط احدهما وزيره الذى يدعى بانحسى .

اما المعبد الصغير الثانى فقد نحت فى عهد رمسيس الثانى ، أب منفتاح، وهو يشبه الى حد كبير ، معبد منفتاح الذى رأيناه للتو ، مع وجود بلاطة أخرى مماثلة تحمل نقوشا ومشاهد جميلة واربعة صفوف من الآلهة .

ولقد نسخ معبد منفتاح ، كما يتضح ، من معبد ابيه . ويلى معبد رمسيس الثانى بلاطة او لوحة حجرية عليها رسم منحوت يبين الملك منفتاح يقدم قرابين لآمون ، ويرافقه روى ، كبير كهنة آمون ، الذى اقام هذا المعبد التذكارى .

والى الجنوب يقع المعبد الخرب لسيتى الأول الذى تهدم ،، كما رأينا ، من جراء انهيار ارضي . وتمتاز هذه المعابد الصغيرة بجمال رائع ودقة فى البناء ومازالت تحتفظ بآثار من الألوان الرائعة والنقوش التى كانت تزينها .

ننتقل الآن الى الضفة الشرقية حيث نواجه على بعد مسافة من النهر لوحة تعتبر من الناحية التاريخية اهم وثيقة هامة فى السلسلة ، لأنها ايضا تعتبر سجلا للحركة الأتونية (Atenism) الرسمية في طيبة بعد اعتلاء امنوفيس الرابع (اخناتون) العرش .

وهى لوحة حجرية كبيرة حيث تعتبر أول شيء هام يسترعى انتباه الزائر الذى يأتى من محطة كاجوج .

كانت النقوش التى تتوج اللوحة الحجرية مشوهة جدا ، ولكن يمكن بعد فحص وتدقيق كبير أن نتبين منها انها تحمل رسم الملك الشاب وهو يعبد آمون .

ان مثل هذا الشيء الهام كان يمكن أن يكون شيئا مجهولا فيما بعد ، كما كان الحال بالنسبة الى اسم امنوفيس الرابع الذى مازال يحمله هنا .

والواضح أن ذلك الملك لم يصل الى نتيجة مرجوة لعقيدته التى لم يوفق بها وهى ان تكون وسطا بين عقيدة آمون القديمة وعقيدته الجديدة (عبادة آتون)

(بالنسبة لتعنت كهنة آمون للدين الجديد وعدم رضائهم أو اعترافهم بعبادة آتون) ولكنه رأى ذلك فيما بعد ، ومازالت اللوحة الحجرية في السلسلة تعتبر دليلا على ازالة النقوش والرسومات البارزة ، بناء على اوامره .

ولكن الازالة لم تمح تماما الدليل الهام على الفترة التى كان اخناتون مترددا فيها في تحريم عبادة آمون في جميع أنحاء البلاد . ويشير المخطوط ادناه الى معبد آتون الذى كان الفرعون الجديد عاكفا على بنائه في طيبة (تل العمارنة) . ويقول المخطوط بعد الاسم الملكى العادى : « أول حدث لجلالته وهو يصدر اوامره — لحشد جميع العمال من ايليفنتين الى سامهودت (اى بمعنى) « من دان الى بئر سبع او « من نهاية البلاد الى شعير جون » .

والى اصدار أوامرة الى قادة الجيش لكى يكفلوا له قطع الحجارة للبناء مبنى بنبين "Benben" العظيم للاله حارآخت باسمه (الحرارة والأشعة المنبعثة التى هى في آتون) ، في الكرنك .

وقد شاهد المسؤولون والكهنة والأمراء وزؤساء حملة المراوح كل ذلك العمل الأساسي ينفذ امامهم في المحاجر والعمال تعمل بجهد ونشاط لنقل الحجارة . (بريستيد — Ancient Records 1188 932-5) .

ان هذه الأوامر الشاملة لرجال البلاط من اجل عملية النقل توحى ، على مايبدو ، أن الملك الشاب قد أصرّ على أن يلتزم رجال بلاطه بالسياسة الجديدة والدين الجديد المتمثل في عبادة آتون بقدر التزامه هو بها ، حتى لايكون هناك شك في الجانب الذى ينتمون اليه من ناحيته .

وهناك في المنطقة المجاورة أيضا مخطوطات امنوفيس الثالث ، مسجلا عليها نقل الحجارة لبناء معبد بتاح ، وتوجد ايضا بعض اعمال النحت على الصخور التى يعود عهدها الى ما قبل التاريخ .

ولكن الشيء المثير الذى هو موضع اهمية كبرى على الضفة الشرقية ، بخلاف اللوحة الحجرية التى عليها رسم منحوت لأمنوفيس الرابع التى شاهدناها

في التو ، هى عظمة المحاجر نفسها ، والتى تعتبر دليلا قويا على الأساليب الفنية المصرية القديمة في معالجة الحجارة وتسويتها . وعلى درجة الكمال الهندسي التى وصلت اليها عملياتهم في هذا المجال .

لقد شاهدنا بالفعل الأحجار في طره والمعصرة والتى اخذ منها البناءون الحجارة الجيرية في عهد مملكة ممفيس القديمة ، ولكن محاجر السلسلة مازالت أروع بكثير واشد جاذبية .

اننى استشهد بقول مستر ا . ب . ويجال : أن المحاجر العظيمة التى سيراها الزائر ليس لها مثيل في جميع انحاء العالم . ونظرا لمداها الواسع وعظمتها والعناية وكمال الصنعة الذى يظهر في قطع الحجارة ، فانها تعتبر من أعظم صروح العمل البشرى المعروف .

اننا اعجبنا كثيرا بمعابد ومدافن مصر كأمثلة رائعة وعظيمة لمهارة المهندس المعمارى والبناء والتى اتضحت وتجلت في التقوش البارزة والطلاء وشاهدنا باعجاب فن المثال والرسام .

وفي مخطوطات الفراعنة العظام قرأنا عن الحروب الرائعة والفتوحات العظيمة والادارات الحكيمة . ولكننا لدينا هنا سجل ضخم عن الأعمال اليدوية الرائعة التى كان يقوم بها العمال المصريون ،

ولقد قيل بحق « ان اسلوبنا الفج في استخدام النسف ، اذا قورن بدقة وكمال الأعمال التى كان يقوم بها المصريون في المحاجر ، يعتبر اسلوبا من أعمال المتوحشين » .

ان شهادة العالم الأثرى مريبت تؤيد ذلك أيضا ، فهو يقول : « ان أروع محاجر جبل السلسلة ، تقع على ضفة النهر اليمنى ، وهى فى الغالب مكشوفة للسماء . وقد قطع بعضها بأطراف حادة الى ارتفاع خمسين أو ستين قدما .

وقد رتبت وسويت بعضها في تسلسل سلالم من درجات منحدرة حجرية ضخمة . على ان العناية الرائعة والحذر الشديد والدقة البالغة الذى قطعت

به هذه الاحجار تقيم الدليل على روعة العمل ودقة النحت ويبدو ان الجبل قد قطع الى كتل متساوية بدقة ومهارة كما يقطع نجار ماهر لوحا خشبيا من شجرة قيمة » .

ويقول ويجال ايضا « أن لهذه المحاجر بالنسبة الى تاريخ مهن العالم ، قيمة هائلة ، وحتى هؤلاء الذين لايهتمون بتاريخ الجنس البشرى القديم سيجدون هنا دليلا كافيا على اعمال فنية رائعة لايستطيعون أمامها الا ابداء التقدير والاعجاب بها . »

وهناك محجران كبيران على الضفة الشرقية اللذين ينبغي ان يزورهما اى شخص او زائر يرغب في الحصول على انطباع عن قدرة المصريين الذين انجزوا هذه الأعمال الرائعة ، بما نصفه بأدواتهم وأجهزتهم الناقصة ، من اعمال رائعة في مجال قطع الحجارة وتهذيبها وتسويتها ونقلها بفضل تنظيم رائع وصبر لاحدود له فى هذا العمل .

ان السر لايكمن في الاعداد لأن الاعداد بدون تنظيم متقن وفهم جيد لتقسيم وتوزيع العمل ، كان يمكن أن ينتهى الى اعمال مشوهة شاملة وتكون النتيجة وجود مجموعة من وحدات من المبانى غير منتظمة او متساوية من الناحية الهندسية والفنية وغير متلائمة .

ويتم الدخول الى اول هذه المحاجر واكبرهما عن طريق ممر بديع نحت فى الصخر ومحاطا بجدران عالية على كلا الجانبين . وهذا الممر يؤدى الى محجر عظيم ترتفع جدرانه الصخرية الى علو كبير . وهنا وهناك نجد مخطوطات بكتابات دارجة (وهى الشكل النهائى والمنهار من الكتابة الهيروغليفية) والاغريقية التى كتبها عمال المحاجر .

وما زال فى الامكان رؤية بقايا الممر المرتفع التى سحبت عليه كتل الأحجار . أما المحجر الثانى فانه ليس كبيرا ، وقد نسف أحد أطرافه أثناء عملية الحصول على حجارة جديدة لبناء قناطر أسنا .

ولكن المدخل قد بقى سليما حتى الآن تحت رعاية مصلحة الآثار . ويتم اغلاق اكبر المحجرين بواسطة بوابة ضخمة ولايسمح بدخوله الا باذن من الحارس .. وهناك ايضا محاجر صغيرة ومخطوطات عديدة مبعثرة واضرحة صغيرة ، تحتوى على ثلاثة من تماثيل ابو الهول غير المستكملة والمبنية من الحجارة الرملية ، كما يوجد صقر من نفس المادة وليس هناك بعد ذلك ما يستحق التسجيل بين السلسلة وكوم اومبو .

فيما يتعلق بمسالة المحاجر المصرية والأعمال فيها انظر :

Somers Clarke and R. Engelbach. Ancient Egyptian Masonry. Chaps. II and and III.

* * *

الفصل الثالث والثلاثون

(معبد كوم أومبو)

(من كوم اومبو الى اسوان)

تتميز كوم اومبو وهى محطة وقوفنا التالية ونحن في طريقنا الى اسوان ، عن كومبوس التى زرناها ،والتى تقع على ضفة النيل الغربية (تجاه قفط وقوص تقريبا من بعد الأقصر) حيث يقع سهل كوم أمبو الى الشمال قرب بلدة دراو في مديرية أسوان .

ومعنى كلمة كوم اومبو فى الأصل القديم تعنى (الذهبية) وذكرت فى القبطية (انبو) وتقع المدينة فى الطريق الى اسوان حيث تبعد عنها بمسافة ٢٦ ميلا تقريبا (أو على مسافة ١٦٥ كيلو مترا جنوب الأقصر) ، وتقع (أكمة امبو) على بعد ١٥ ميلا فوق السلسلة و٢٦ ميلا أسفل أسوان .

ويتمتع معبد كوم امبو بموقع ممتاز على الضفة الشرقية للنيل ، ويتكون التل من بقايا المعبد القديم والمدينة السابقة واللذان اقيم عليهما مدينة بطليمية ومعبد أكثر اهمية ومازال ركام هذه المدينة يغطى المنطقة التى تقع على جانبى المعبد الشمالية والغربية .

وشهرة كوم أمبو الرئيسية تكمن فى وجود معبد حارويرس(حارويز)وسوبك المزدوج حيث تقف البواخر السياحية عند ذلك المكان لاتاحة الفرصة لزيارة ذلك المعبد العظيم . ولكن نظرا لضيق الوقت المسموح به لتفقد هذا المبنى الضخم الذى لايزيد عن ساعة واحدة فانة يندر ان يكون كافيا للزيارة ، أما الزوار الذين يرغبون ان يتمتعوا ويشاهدوا عظمة وضخامة وروعة هذا المعبد وتفقده بصورة اشمل وامتع ، فانة ينبغى لهم ان يقوموا بزيارته باستخدام قطار الصباح الذى يقوم من أسوان الى محطة كوم أمبو ثم ينتقلوا بعد ذلك

بسيارة توصلهم الى المعبد الكبير الذى يبعد ثلاثة أميال عن المحطة الرئيسية ثم يعودوا الى اسوان بعد الظهر بدون اى استعجال لهم لامبرر له .

يقوم المعبد في مظهره الشامخ على الضفة العالية للنهر عند أحد منعطفاته. وتتألف الضفة او المرتفع جزئيا من بقايا المعبد الأول، والبلدة التى قامت عليها فيما بعد هى المدينة البطليمية والمعبد الضخم ، ومازال هذا الموقع على جانبى المعبد الشمالى والغربى مغطى بأنقاض البلدة الأولى ولايعرف شيء عن تاريخها القديم حيث تقع على المنعطف الكبير الذى يصنعه النهر وطريق القوافل القديم الى النوبة والواحات .

وبالاضافة الى ذلك تمتد على ضفتي النيل بالقرب منها اراض زراعية شاسعة ، وعند جانبها الشرقى طريق يؤدى الى مناجم الذهب الواقعة فى الصحراء الشرقية ، ويدل اسمها القديم وهو (نوبى) الذى يعنى (الذهب) على أهمية هذا الجانب من حياة البلدة .

وليست هناك آثار ذات اهمية قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة عندما قام امنوفيس الأول وتحتمس الثالث بعمل اصلاحات في المعبد القديم الذى كان موجودا من تاريخ سابق .

وليس ثمة شك فى أن الوجود السابق لمثل هذا المعبد يفترض سلفا وجود بلدة لها بعض الأهمية التى يعود تاريخ تاسيسها الى عصر الدولة الوسطى على الأقل وفي اثناء الحكم المشترك بين تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت ، وقد انشأت بوابة ضخمة من الحجر الرملى بناء على أوامرهما ثم اضاف رمسيس الثانى الى المعبد فيما بعد اضافات كثيرة .

ولكن مهما كان من أمر معبد كوم امبو في عصر الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر فان الرخاء الحقيقى الذى ساد هذا المكان لم يبلغ ذروته الا في عصر البطالسة عندما اقيمت مدينة امبوص عاصمة للاقليم لكوم امبو هذه التى تميزت باسمها المحلى ولم تكن سوى مدينة من مقاطعة في العصر الفرعونى ولكنها ازدهرت لترتفع الى درجة كبيرة وتصبح عاصمة لمقاطعة أورمبيت فى عصر البطالمة حيث بدأ في بناء هذا المعبد المزدوج الضخم .

وقيل أن الجنود المنتمين الى حامية هذه المنطقة قد ساهموا في نفقات انشاء هذا المعبد كما تقول النصوص المكتوبة على الجدران ، وقد تقدم سير العمل في المعبد اثناء حكم بطليموس السابع (يورجيتس الثاني ، وبحلول حكم نيوس ديونيزوس (بطليموس الحادى عشر) كان جسم المعبد قد استكمل حتى مدخل القاعة التى يرتكز سقفها على اعمدة (بهو الأعمدة الخارجي) اللهم باستثناء اعمال الزخرفة والنقوش ، فقد استكملت هذه الأعمال في عهد الامبراطور تيبريوس ، كما قام دومتيان ببعض الأعمال الاضافية .

ثم تبع دومتيان بعد ذلك اسماء ملكية اخرى مثل جيتا وكراكالا وماكرينوس (٢١٨ - ٢١٧) ق . م ، ولما كان الفضل في بداية انشاء هذا المعبد يبدو انه يعود الى عصر بطليموس الخامس (ايفانيز) وبعض من أجزاءه الأولى الى ابنه بطليموس فيلو ميتر الذى خلفه في عام ١٨١ ق . م فان العمل الفعلى في البناء والزخرفة لابد وأنهما اخذا بالتقريب حوالى ٤٠٠ سنة أو أكثر من ضعف الوقت الذى تم فيه بناء معبد ادفو .

ويبدو أن من اسباب النمو المفاجىء لكوم امبو وتحقيق الرخاء واكتساب الأهمية هو قيام البطالمة بانشاء عدد كبير من المحطات العسكرية ذات الصبغة الدائمة على طول ساحل البحر الأحمر وازدياد حركة المرور الى حد كبير بين هذه المحطات والمدن الواقعة على ضفاف النيل التى اقيمت بطريقة تسهل الاتصال بها .

ان مدنا مثل قفط وكوم امبو كانتا بالذات محطات لتجارة الأفيال الأفريقية والتى اراد بها البطالمة لفترة طويلة ان ينافسوا بها تجارة الأفيال الهندية التى كانوا يحاربوا بها اعدائهم السلوقيين ، ولكن الأفيال الأفريقية لم تنجح مثل مثيلاتها في هذا الشأن ، لأن الفيل الأفريقي قد أثبت أنه غير حساس للتدريب والانضباط في الوقت الذى كان فيه الفيل الهندي يستخدم كسلاح هائل في ميدان المعركة وبالاضافة الى ذلك وجد البطالمة ان ساحل البحر الأحمر لايصلح لمرابطة حاميات فيه بصفة دائمة .

ولهذين السببين هبطت التجارة بين المحطات الواقعة على ساحل البحر الأحمر والبلدان الواقعة على ضفاف النيل مثل قفط واومبوس ، ولعل انهيار اومبوس مرده الى هذه الحقيقة وليس الى انهيار التجارة مع النوبة والتى كانت لهما دائما صفة الدوام .

ان الأسطورة المحلية التى توعز الى موت المدينة واضمحلالها الى الصراع الذى قام بين الشقيقين اللذين حكما المدينة والذى كان احدهما خيرا (حورس الكبير) والآخر كان شريرا (سوبك) وهى اسطورة ممتعة ولكنها تعتبر في الواقع محاولة لايجاد زريعة لوجود عبادة مزدوجة في المعبد حيث تتزعم الالة التمساح (سوبك) نزعة شريرة في عقول الأهالى الذين عاشوا في خوف ورعب من وجوده في النهر .

وتروى الأسطورة كيف أن حورس الكبير الطيب قد طردة اخوه من البلدة وكيف ان جميع الأهالى قد تبعوه الى المنفى . ولما ترك سوبك بدون اى شخص يبذر له حقوله لجأ الى سحره ودعا الموتى الى القيام بهذا العمل ، وقد اطاعوه ولكنهم بذروا الذهب والمال بدلا من الحبوب حتى جفت الأرض واصبحت صحراء لانبات فيها ولاماء .

وكما يبدو مضت المدينة الى نهايتها الفجائية اسرع مما تردد هذه الأسطورة لأن ظهور انقاض المدينة القديمة يدل بوضوح وجلاء على انها قد هلكت بسبب نشوب حريق هائل ، وقد يكون هذا مجرد صدفة او حادثة حيث كانت المدينة بالفعل آخذة في الانهيار نتيجة لأسباب اقتصادية كالتى تقدمت الاشارة اليها .

وعلى الرغم من انهيار المدينة ، فان معبد كوم امبو بقى سالما ومتماسكا البنيانه ، ومازال يعتبر مثلا رائعا للهندسة المعمارية ومثالا جيدا لفن المعمار البطليمى ، حتى الألوان الزاهية والنقوش الأصلية التى زخرفت بهما تفاصيل ودقائق

جميلة عن تطور وتقدم الفن الهندسي المعمارى والنحت ، وبقيت فى كثير من الحالات محتفظة ببريقها ورونقها الجميل .

وقد بدا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ان المبنى مصيره الى الانهيار وفي غضون سنوات ليست بالكثيرة ، ذلك أن موقع كوم امبو وإن كان جميلا ، الا انه يضع المعبد بين خطر اعتداء الرمال المتحركة من ناحية البر ، وخطر جرف النيل من الناحية الأخرى .

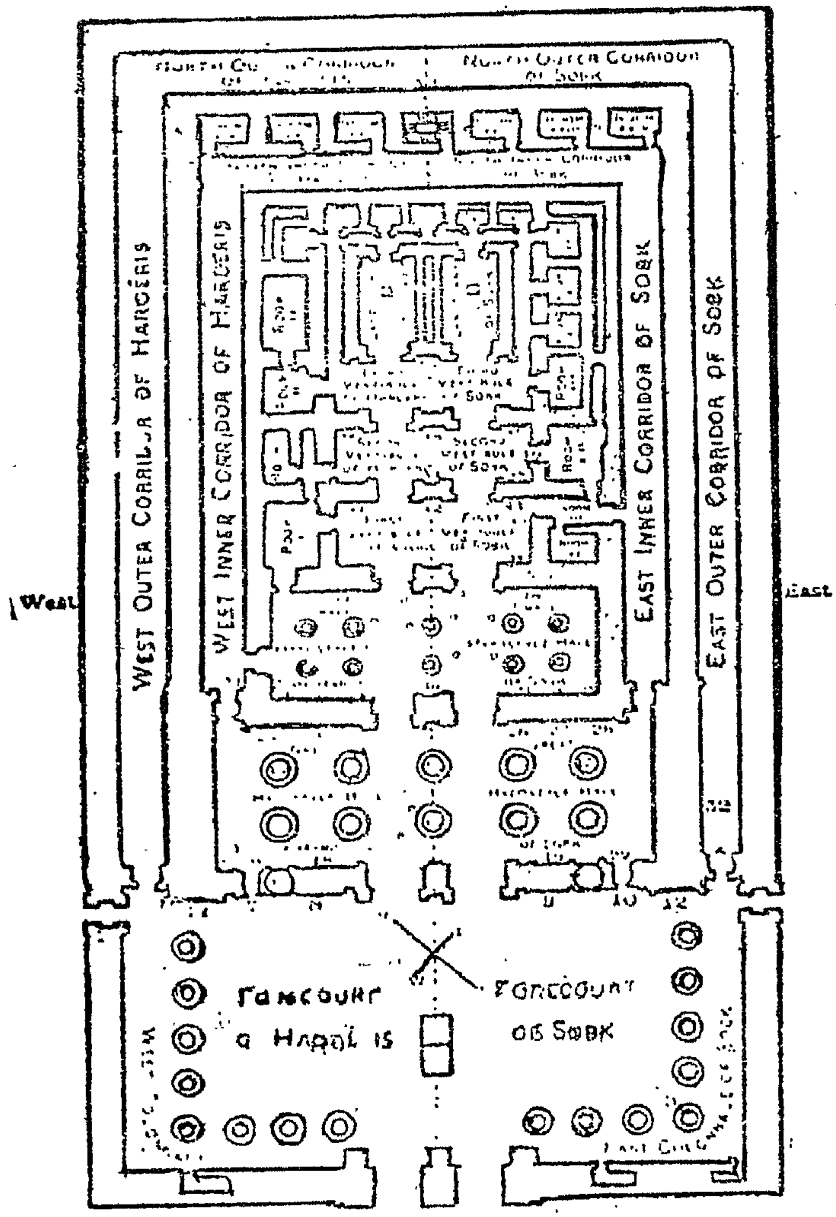
وتبين الصور ان الأعمدة العظيمة التى ترتكز عليها القاعدة ، قد غاصت في الرمال حتى نصفها ، وقد شاهدت الآنسه ادواردز المستكشفة في عام ١٨٧٣ أعمدة هائلة قليلة مطمورة في الرمال ولم يبق منها سوى ثمانية او عشرة أقدام من تيجانها البديعة ، كما شاهدت بقايا عتبة باب وافريز منحوت على شكل قوس محطم ، وبعض الكتل الراكدة على الأرض المنحوت عليها اسماء البطالمة وكيلوباترا .

على انه لحسن الطالع لم تتحقق نبوءة الآنسة ادواردز بأنه لايمكن ازالة الرمال لأن المعبد آخذا في الغوص رويدا رويدا في النهر ، ومن المستحيل ازالة كميات الرمال الهائلة خصوصا لأن المعبد كان يقع بالتدريج لقمة سائغه لنهر النيل وقال مارييت في عام ١٨٦٩ كذلك : « انه ليس هناك ما يمكن ان يقال عن هذا المعبد الذى سيصبح ان عاجلا او آجلا فريسة للنيل مهما بلغت الوسائل الكافية لحمايته » .

ولكن لحسن الحظ اخذت هيئة الآثار على عاتقها حماية هذا الأثر العظيم واخذت تعمل على نظافته وازاحه كتل الرمال الهائلة حتى أصبح الآن نظيفا تماما من الرمال وذلك في عام ١٨٩٣ وقد عملت فى نفس الوقت على حمايته من خطر نهر النيل .

ان النيل الذى ابتلع بالفعل نصف الواجهة الجنوبية العظيمة ذات الأعمدة التى تمثل بطليموس (نيوس ديونيزوس) قد تم كبح جماحه بانشاء رصيف (أو سدا) له واجهة من الحجارة ليحمية من زحف المياه والرمال . وبالرغم من أن المعبد مقرر له في النهاية ان يغرقه النيل كما قال مارييت،

الا أن موعد نهايته قد تأجل على الأقل وربما لعدة قرون مقبلة بعد عمل ذلك الرصيف العالى الذى يحمية .



(شكل رقم ٣٩)

(معبد كوم اومبو)

(رسم هندسي يمثل اهم المعالم الرئيسية لمعبد كوم اومبو المداخل والممرات)

(وموقع الحجرات وبهو الأعمدة والفناء الداخلى والخارجى)

(معبد كوم أومبـو)

(وصف المعبد)

لايعرف على وجه الدقة كيف تستنى عبادة الهين لهمـا اختصاص منسق وشرف متساو في نفس الوقت وهمـا الآله (سـوبك) والالـه (حورس الكبير) في معبد كوم أمبو وكيف تمتع كل منهمـا بنفس الدرجة من التكريم والاجلال (انظر شكل رقم ٣٩) وكيف استمرت ممارسة هذه العبادة في كوم امبو لفترة طويلة .

وقد قال ويجال ان وجود أعداد كبيرة من التماسيح على الجزيرة الكبيرة المنخفضة الواقعة قبالة المعبد مباشرة مع ماينطوى على ذلك من خطر العبور الى تلك الجزيرة الكبيرة المنخفضة القائمة امام المعبد مباشرة ، وهذا الخطر هو الذى دعـا الأهالى الى التقرب من ذلك العدو اللدود وهو التمساح حيث عبدوه . اذ كان الخوف منه وليس الحب هو الذى شجع على عبادة التمساح سوبك الآله منذ العهد الأول لتاريخ المدينة .

ولمـا كان اسم المعبد القديم الخاص بالأسرة الثامنة عشر هو (بيت(١)) فان ذلك يشير بأن سوبك هو المعبـود الأصلي لذلك المكان . وقد اتحدت عبادة (خورس(٢) الكبير) وهو واحـد من أشكال كثيرة للاله الصقر الذى كانت عبـادته منتشرة في جميع انحاء مصر مع عبادة ذلك الالة المحلى الشرير ، فهذا مالم نستطيع ان نقف عليه .

لقد كان حورس يتشكل في أشكال آلهة كثيرة ومشهورا جدا في هذه المنطقة ولكن الأهالى كـانوا يشعرون بشيء من الخجل لأنه لم يكن هناك الهآخر

---

(١) الاله سوبك بالاغريقية يتمثل على شكل تمساح او رجل له راس تمساح وكان في كوم امبو زوجا لحتحور وفى صان الحجر زوجا لنايت .

(٢) (الاله حورس الكبير) أله في شكل صقر او رجل بوجه بارز ويحمل على راسه قرص الشمس .

يخشونة سوى هذا الإلة (سوبك) وعلى أيه حال فقد راوا من الفطنة ان تكون لهم قدم في كلا المعسكرين .

وعلى كل حال فقد اقيمت العبادة المزدوجة في ذلك المعبد وزود كل اله منهما ، حسب التقاليد المصرية باثنين آخرين من الآلهة حتى يكون كلا منهما الثالوث(١) الخاص به وقد ظفر سوبك بنصيب كبير ، فكان رفيقيه الآخران من اعظم آلهة المصريين القدماء وهما الاله حتحور(٢) والاله خنسو(٣) الذى ظهر « كخنسو — حورس » .

ومن الممكن تأويل اختيار هذين المعبودين بالذات الى جانب سوبك وذلك لتغطية ماله من تأثير سيء نوعا ما في نفوس الأهالي حيث أن لهما شهرة كبيرة، اما حورس الذى كانت شهرته فوق مستوى الشبهات فقد كانت حاجته الى رفقاء له من مجموعة الآلهة العظيمة اقل بكثير ، وعلى اية حال فان العضوين الآخرين في ثالوثه هما (تاسنت — نفرت) اى الأخت الطيبة وهى شكل تقليدى للآلهة (حتحور) ، (بانت تاوى) أى (رب الأرضين) والذى كان ابنا (للأخت الطيبة) ويعتبر شكلا أدنى وصورة مصغرة من الإلة حورس .

ان الثالوثين اللذين أنشئا على هذا النحو ، كان لابد من تهيئة مكان لهما في المعبد الذى كان البطالمة عاكفين على بنائه في مكان المبنى القديم .

---

(١) الثالوث عبارة عن اسرة (أب وام وابن) وهو تشكيلة من الهة ثبتت صفات كل منهم منذ زمن بعيد ومستقلة عن صفات الاخرين فاذا تركنا الثالوث جانبا وجدناهم آلهة لاصلة بينهم ولا رابطة ولا تبعية .

(٢) حتحور وهو اله بدندرة وسيد المقاطعات ٦ ، ١٠ ، ١٤ وهو الاسم الاغريقى لعدة مدن تختلف اسماؤها في اللغة المصرية وآلهتها حتحور والمقاطعات المذكورة هى على الترتيب دندرة ، القوصية ، كوم اشقاو وحيواناتها المقدسة البقرة اما على هيئة امراة لها راس بقرة او وجه آدمى بآذان بقرة عالية بينهما قرص الشمس .

(٣) الاله خنسو اله محلى للقمر وكان يعبد في منطقة طيبة ويتمثل على شكل رجل واحيانا اخرى على شكل طفل على راسه هلال يحيط به قرص القمر ويعتبر الآلة الابن في ثالوث طيبة .

بكل ما تحتاجه الآلهة من احتياجات فاعطوهم بالتساوى كل عناية ممكنة . وكانت النتيجة ان اصبح عندنا معبدا واحدا بينما هو في واقع الأمر معبدين .

واذا تطلع القارىء الى رسم المعبد فسيرى انه مقسم الى جزئين ، الجزء الغربى (على اليسار) بكل مافيه من وحدات هو طبق الأصل نفس الجزء الشرقى (على اليمين) وهكذا يتبين أن نصف التصميم يعتبر ببساطة تكرارا للنصف الآخر . فالاله سوبك له قاعته الأمامية والقاعة الكبرى المرتكزة على اعمدة في الفناء الخارجى ، وبهو اعمدته الداخلى ، ثم الثلاث دهاليز المتداخلة ثم المحراب على الجانب الشرقي من المحور .

وللاله حورس نفس هذه القاعات والدهاليز على الجانب الغربى ، وليس ثمة شك في انه كان هناك مجموعتان متساويتان من الكهنة(١) حيث يقومون بخدمة كل من الثالوثين .

---

(١) كان الكهنة قديما يعملوا في المعابد ويختاروا من رجال الكهنوت وهو يتكون من طبقة دنيا من الخدم يسمون الطاهرين ومن رجال الدين الحقيقيين (خدم الاله) الذين يقومون بالوظائف المقدسة واعمال العبادة الذى كان الملك صاحب الحق الشرعي فيه ولم تكن هناك القاب فخرية لرؤساء الكهنة الا فى طوائف الكهنة القديمة جدا فى عين شمس اما رئيس الكهنة فلم يكن الا (الخادم الأول للاله) .

وكان كهنوت كل معبد مستقلا عن الآخر ويجمع من شباب الأسرات الشريفة ويديرها موظف من رجال البلاط يسمى (مدير الخدم الإلهيين للجنوب والشمال ويختار في الغالب من رجال الدين ، وكان الكهنة يحلقون رؤوسهم ويلبسون الكتان دون سواه ، ويتميز رؤساء الكهنة بعلامات خاصة كجلد الفهد ورقبية عالية ، وعندما توحدت مصر أيام الملك مينا موحد القطرين تركزت السلطة في يد الملك ومن هنا أصبح الملك هو الكاهن الأعلى لكل المعبودات المحلية ولقد سهلت له قدسيته وطبيعته المقدسة هذا الأمر ولما كان هو الوسيط الطبيعى بين الآلهة والأهالى فمن الطبيعى ان يصبح هو الكاهن الأول بدون منازع .

وفي بعض الأحيان كان يتعذر على الملك ان يقوم بدور الكاهن الأكبر لكل الطقوس الدينية في كل المعابد فانه اضطر ان ينيب عنه كهانا آخرين يثق فيهم لكى يقوموا بهذا الدور ، وكان الاتصال الطبيعى بين الملوك والآلهة هو خدمة قداسهم الجنائزى الذى كان مكونا من الصلاة وتقديم القرابين .

وان الصلة بين الملوك والآلهة هو التحدث معهم الذى عبر عنه بالصلاة وتقديم القرابين وعمل الطقوس لأن الآلهة فى حاجة دائمة الى من يحميهم =

المعبـــد الرئيسي :

وندخل الآن الى المعبد لنشاهد الأجزاء الرئيسية التى كانت موجودة أيام الأسرة الثامنة عشر ولم تتغير حتى نهاية عصر البطالمة ويتكون هذا الجزء من : (صرح – صحن) – بهـو أعمدة – هيكل) أما الصرح فيتكون من كتلتين شاهقتى الارتفاع على شكل شبيه المنحرف بهما عدة طبقات من الغرف امامها تجاويف مستطيلة تتلقى صوارى تزيد عن الصرح ارتفاعا حيث يعلق عليهـا الاعلام ، ويصل بين الصرحين باب ضخم ينفذ منه الى الصحن وللباب رســم بارز يمثل صورة لقرص الشمس المجنحة .

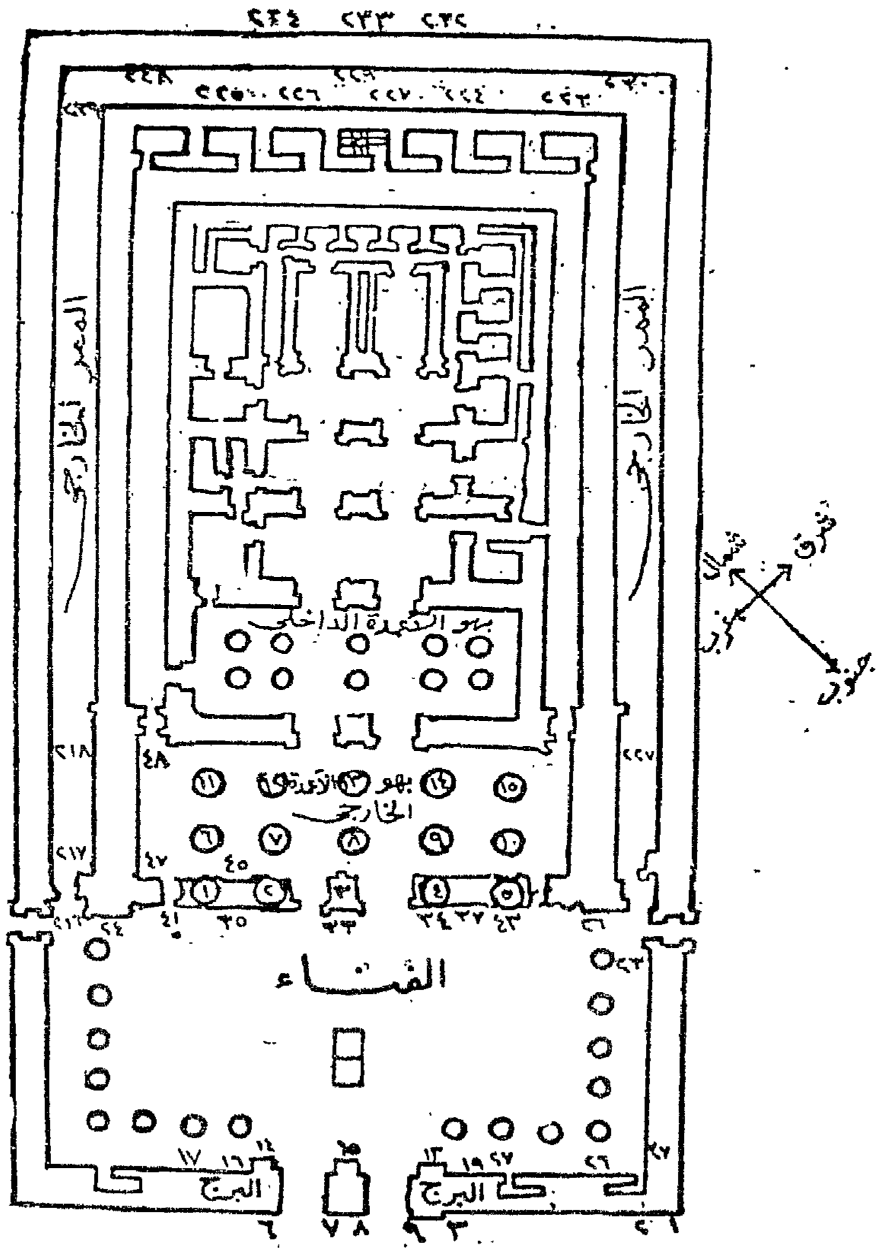
وعلى جانبى الصرح يوجد تمثالان للملك من الجرانيت الوردى ، ومسلتان من الجرانيت مرتكزتان على قـواعد ذات حجم مناسب ، امـا الصحن فانه محاط بأعمدة على الجانبين وهو الجزء العام من المعبد فلا توضح النقـوش عليه اى سر من الأسرار لكنها تمجد اعمال الملك ومآثره الذى قام بتشييده .

كما توجد مناظر للعبادة وصور الحفـلات التى تجرى في الصحن بين الجمهور ويشاهد في وسط الصحن مذبح مخصص للقرابين ، وفي نهاية الصحن تمتد الغرفة ذات الأعمدة وهى صالة فسيحة يحمل سقفها عدة أعمدة تختلف عـددا ومقياسا وتعتبر غرفة استقبال للآلهة حيث تمثل النقوش على جـدارنها

= ويغذيهم ولايمكن لأي فرعون أن يكون ملكا فعليا الا اذا كان كاهنا ، ومن الملاحظ أن المعابد البطلمية مليئة بكميات هائلة من المناظر الدينية وتقديم القرابين للآلهة ، ويرجع سبب ذلك في الغالب الى خوف الكهنة المصريين من النفوذ الأجنبي واضمحلال الديانة المصرية ومعتقداتهم ولذلك حاولوا ابهار هؤلاء الملـوك بعظمة وسحر ديـانتهم وسـاعدهم في ذلك المعابد الضخمة والآلهة المختلفة .

وكانت القرابين تحمل من مائدة القرابين لتوضع امام تماثيل الأفراد المسموح باقامتها في المعبد لتاخذ نصيبها ثم توزع الباقى على أصحاب الامتيازات الذين منحهم الملك مرتبا من الأغذية على حساب المعبد، اما أيام الأعياد والاحتفالات فكان لكل معبد قائمة بأيام أعياده حيث يحتفل فيها بالأحداث المهمة الخاصة بأسطورة الهه علنا وفي اقامه الاحتفالات الضخمة التى يشارك فيها الأهالى وخصوصا أيام مواسم الحصـاد والفيضان والزواج واحتفالات تتـويج الملك وتعميـده وتطهيره بالمياه المقدسة وتقديم العطور وحرق البخور وكان الكهنة يقومون بهذه الوظائف والشعائر الدينية المختلفة .

الشعائر الدينية التى تمارس فيها ، ووراء البهو عدة ابواب تؤدى الى غرف الاله الخاصة الغارقة فى الظلام ، وبجانبها غرفة للسيفينة المقدسة موضوعة على قاعدة تحت تصرف الالة فى رحلاته .



(شكل رقم ٤٠)

(معبد كوم امبو كما يبدو من رسم هندسي آخر)

وفي اقصي الساحة يصل الزائر الى الهيكل وهو عبارة عن غرفة واحدة فيها تابوت من قطعة واحدة من الحجر يوضع فيه تمثال للاله من الخشب يسهل حمله ونقله تبعا لمواعيد الاحتفالات واوقات الصلاة وفي بعض الأحيان تحيط بغرفة السفينة المقدسة غرف اخرى احتياطية تكون عادة مزدانة بالرسوم والنقوش للشعائر الدينية التى تقام فيها .

البرج (بطليموس نيوس ديونيزوس) :

وعند الزاوية الجنوبية الشرقية من المعبد يشاهد الزائر سلما يؤدى الى ذلك السد النهرى حيث نشاهد ماتبقى من الصرح الكبير الخاص ببطليموس نيوس ديونيزوس والذى عن طريقه يستطيع الزائر ان يصل الى المعبد اما النصف الآخر فقد ابتلعه النيل والجزء الباقى من البرج نشاهد فيه بطليموس نيوس ديونيزوس وهو يذبح احد اعداءه ، ثم وهو يقدم القرابين لمعبودات مختلفة وبخاصة الاله سوبك وحاتحور وحورس وبانب تاوى .

وعندما نجتاز واجهة السطح الموجود عليه المعبد نصل الى الصرح الثانى المحطم حيث ندخل منه الى فناء المعبد لأن هذا الصرح اصلا له مدخلان مزدوجان والتى هى من اهم صفاته ولكن الجزء الأيسر مهشم تماما ولم يتبق منه الا الجزء السفلى من العمود الذى يفصل بين البابين وكذلك الجزء الأيمن :

(١) ـ (٢) الصف السفلى :

ومازالت هناك نقوش ورسومات بارزة من عمل الامبراطور دوميتيان حيث تظهر هذه النقوش ثالوث سوبك فى الجزء الخارجى على النحو التالى : ـ

وعند المدخل يشاهد الزائر على الجدران نقوش فى الصف الأسفل للملك وهو يغادر قصره ومن وراءه قرينه (الكا) وامام الملك يقف الكاهن المدعو (سم) وهو يطلق البخور وكذلك الأعلام الخاصة باقليم مصر ، ثم بقايا نقش حيث نشاهد الملك تحمله ارواح (نخن) .

(١) ـ (٣) الصف السفلى :

ومنظر آخر للملك وأمامه نصوص دينية وادعية طويلة مكونة من ٥٢ سطرا مكتوبا باللغة الهيروغليفية فى مدح الثالوث ثم نشاهد وراءه موكب من

(٤) — (٥) الصف السفلى :

آلهة وآلهات مصر العليا يسير بهم اله النيل (حابى) وهم يحملون القرابين لآلهة المعبد ، ثم مرة اخرى امام ثالوث سبوبك (سوبك — حتحور — خنسو) مع نصوص خاصة ببناء المعبد من اعلى : وفي الصف الأسفل يتكون هذا الشكل من ثلاث مناظر : حيث نرى الملك ومعه قرينه (كا) وهو يغادر قصره وامامه الكاهن (أيون موت) وامامهم في المدخل الشمالى : يسير حملة الأعلام الصنيعة للولايات القديمة في مصر العليا .

(٦) — (٧) المدخل الشمالى :

وعلى الحوائط الخارجية نجد عليها بقايا كتابات لنصوص وادعية مكتوبة باللغة الهيروغليفيه ومرسومة بأشكال رأسية على كل منها .

(٨) — (٩) المدخل الجنوبى :

وفي المدخل الجنوبى نجد بقايا لنصوص هيروغليفية كذلك بصورة راسية .

في الكتف الأسفل نرى الملك ومن وراءه أثنين من آلهه النيل وآلهة الحقل ، اما الكتف الآخر فنجد منظرا مهشما تماما وبأسفله صور لمعبودات اله النيل الخاص بمصر العليا . والحوائط الداخلية عليها بقايا لصفين من النقوش حيث نجد المعبودات وامامها القرابين كما نجد الملك نيرون امام مجموعة من النباتات والزهور ، اما الأعتاب الخارجية فنجد الملك وامامه القرابين وأربعة من الآلهة لرع اما العتب فنجد عليه سبعة اسطر من النصوص الهيروغليفية والكتابات التى تمجد اعمالهم ومفاخرهم .

الفناء الخاص بالمعبد (من العصر الرومانى)

ندخل الآن الى الفناء الخاص بالمعبد والتى هى الى حد كبير من اعمال الامبراطور تيبريوس ، وهو مقسم كغيرة من أجزاء هذا المعبد الى قاعتين كبيرتين ، الجزء الأيمن مخصص للاله سوبك والجزء الأيسر خاص بالاله حورس الكبير ، وهو يحتوى على ستة عشر عمودا تقع على ثلاثة جوانب منه ولكن لم يبقى منها الآن سوى الأجزاء السفلي فقط كما تمثل النقوش والرسومات البارزة عليه الامبراطور تيبريوس وهو يقدم القرابين للآلهة .

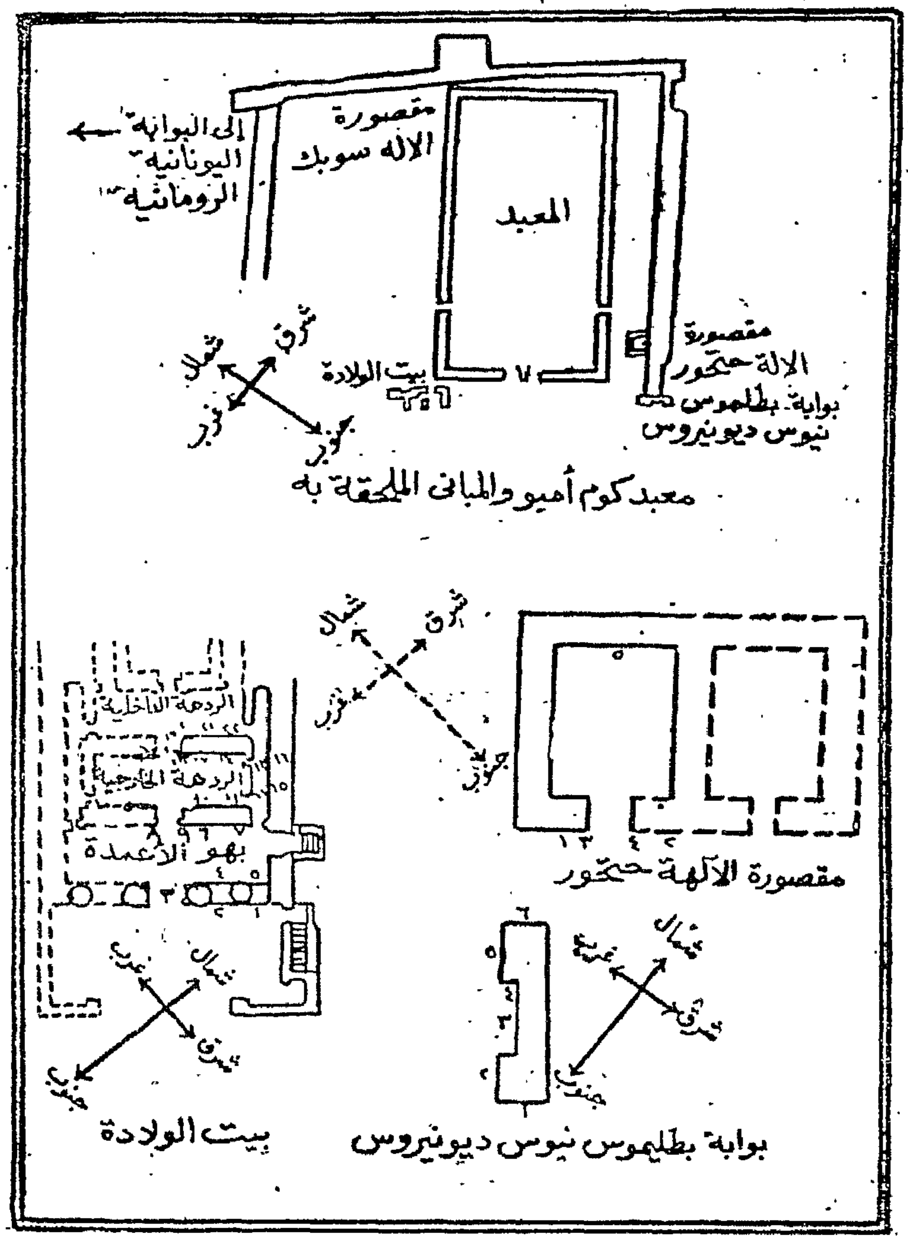
بالرغم من أن هذه الأعمال والنقوش قد تمت فى العصر المتأخر وتمتاز بالغلظة والخشونة الا ان تأثيرها فى النفس جيدا وجميلا ويترك انطباعا عظيما لما تمتاز به من كثرة النقوش والزخارف المزدحمة ، أما ارضية الفناء فما زالت فى حالة جيدة ، وفى منتصف القاعة توجد القاعدة المربعة الخاصة بالمذبح وعلى جانبيها حوض من الجرانيت كان يستعمل لاستقبال دماء الضحية التى تضحى فـــــوق المذبح .

وفي احـدى زوايا الفناء في الجنوب الشرقى يوجد باب يؤدى الى الدرج الذى يؤدى بدوره الى اعلى سطح الصرح كما يوجد باب آخر يسارا يؤدى الى غرفة صغيرة كمـا نشاهد في هذا الفناء وعلى الجدران يوجد بقايا من الهى النيل حاملين نبات البردى وزهرة اللوتس رمزا لوحدة مصر أما أسفل فيوجد بقايا من صور الخدم حاملى القرابين .

ونشاهد كذلك مناظر للآلهة حتحور . والامبراطور اغسطس وبجانبه شريط طويل من الكتابة الهيروغليفية ووراءه موكب عظيم يضم اشكالا مختلفة للآلهة مثل اله النيل والاله (نبوت) الذى يمثل الفصول الاربعة والاله (هتت) اله الخمر والاله انوبيس والاله شمسو ، (خنوم) (حرت) الخاصة بمصر العليا اما بقية المناظر الأخرى التى تمثل تقديم القرابين فنجد معظمها مهشمة .

بهو الأعمدة (بطليموس نيوس ديونيروس)

ندخل الآن الى بهو الأعمدة الخارجى حيث يتمتـع هـذا البهو بمنظر جميل ورائع من خارج الفناء ، وهو ينفصل عن الفناء بستائر حائطية من الحجر تفصلها اعمدة شاهقة قائمة بينهما ويخترق هذه الستـائر الحائطية بابان كبيران وبابان صغيران وهذه الستائر الحائطية يلتف حولها صف من الأفــاعى حـاملة لقرص الشمس ومـازالت هذه الستائر محتفظة بجمالها وروعتها . ثم ندخل بعد ذلك البهو الذى يحتوى على عشرة اعمدة مرتبة في صفين (باستثناء الأعمدة المرتبطة بستائر الواجهة) .



(شكل رقم ٤١)

(رسم تخطيطى لمعبد كوم اومبو وملحقاته)

نجد ان الانطباع والتاثير العام المدهش جميلا من روعة المناظر التى نشاهدها ، لقد اعطى المهندس المعمارى لنفسه حرية كبيرة للتعبير والتصميم فى معالجتة لتيجان الأعمدة تماما كمـا هو الحال فى معبد ادفو ، فبعض تيجان

هذه الأعمدة ذات أشكال نباتية جميلة ودقيقة وبعضها الآخر على شكل سعف النخيل بينما هناك عمودان لم يستكملا بعد بالرغم من إعمال الطلاء التي نالتهما ، اما السقف فهو منقوش ومزخرف بالشكل المألوف الذى يمثل للعقاب في العالم الآخر حيث يتمثل لنسر ناشرا جناحيه وقابضا بمخالبه على مروحه من ريش النعام .

أما العوارض المرتكزة على اعمدة فهى تحمل رسومات فلكية بارزة لم تستكمل بعد ، ويستطيع الزائر ان يشاهد تخطيطات مقسمة الى مربعات باللون الأحمر التى بواسطتها كان المثال المصرى يحدد رسمه حسب القواعد الموضوعة للنسب ، ومن المهم ان نجدها دليلا دامغا على حقيقة الملاحظات التى ابداها ديودوروس بأن المثالون المصريون كانوا يقسمون الجسم الى حوالى ٢٢ وحدة او مربع . ان لم يكن هذا صحيحا بالنسبة للفن المصرى في العصور القديمة .

فقد كان الفنان في الأسرة الثامنة عشرة يستخدم قانونا ينص على تقسيمه إلى ١٨ مربعا ولكن في الأسرة السادسة والعشرون تغير هذا القانون الى جزء واحد من ٢١ ½ مربعا كما قال ديودوروس . وفي كوم امبو وجدنا ان هذه القاعدة قد استخدمت بالفعل ، واذا تأملنا النقوش الموجودة على الأعمدة فسوف نلاحظ انها غائرة في حين ان النقوش الموجودة على الحوائط فهى من النوع البارز(١) ، ويرى بعض العلماء والمستكشفين إن نقوش ورسوم هذا المعبد تعتبر من اجمل واروع ماتركه فن البطالمة في هذا الشأن حتى انه اصبح مميزا وله طابع خاص عن النقوش الموجودة في معبد ادفو .

---

(١) ان هذه القاعة تستحق الزيارة وقضاء مزيدا من الوقت لمشاهدة النقوش الجميلة والرسومات الرائعة البارزة والغائرة ، لأن الآنسة م . ا بوراى قد اعربت عن رايها اثناء عملها ودراستها المتعة للنحت المصرى قائلة : ان اعمال النحت والتصوير في معبد كوم امبو افضل منها واروع من اى اعمال نحت اخرى في اى معبد بطليمى ، لأن الأشكال والأعمدة وتيجانها الرائعة والنقوش على الجدران أقل شناعة من تلك التى في معبد ادفو .

ومن المدهش حقا ان الباب الصغير الذى يؤدى الى البهو من الفناء من الجهة اليمنى (خاصة بالاله سوبك) وكان احيانا يسمى باب (الرياح الأربع) كما انه من الملاحظ أن المعبد ولو انه مزدوج الا ان كل اله من آلهته سواء كان سوبك أو حورس لم يأنف من أن يعبر كل منهما الى قسم الآخر بالتبادل حيث يظهر ذلك في المناظر المشارك فيها كل منهما الآخر .

الواجهة الرئيسية :

فى الصف العلوى نجد بقايا من معبودين وفى الصف السفلى نجد الملك بطليموس نيوس ديونيزوس وهو يغادر قصره ومعه الكاهن (ابون موت) والأعلام تتقدمهم وتحتهم سطر طويل من الكتابة الهيروغليفية . وعلى احد الستائر الحائطية نرى بطليموس كذلك يظهر بواسطة الاله (تحوت) والاله (حورس) التابع لسن أمام الاله (حورس الكبير) .

وفي الصف العلوى يوجد بقايا للاله سوبك وآلهة اخرى ، اما الصف السفلى فنرى بطليموس وهو يغادر قصرة ومعه الكاهن وتتقدمهم الاعلام وفي اسفل يوجد نص طويل مكتوب بالهيروغليفى .

ونظرا لتكرار الأشكال المنحوته وغرابة اعمال النحت والتصوير فاننا نرى النحات او المثال فى كوم امبو فى اروع واحسن أعماله ، وان الزائرين الذين جاءوا بذكريات عن ابيدوس واعمال المملكة القديمة في سقارة ربما يشعرون بأن ما وصف باحسن الأعمال قد لا يستحق هذه الضجة . ولكن فى كوم امبو حيث الجدران زاخرة بالصور والنقوش التى لايمكن نكران جودتها ، فالنحت البطلمى ينهار ويتهشم حينما يفحص ويدرس عن كثب ، ان تشريح الأشكال المنحوتة يدعو للرثاء ذلك أنه ليس هناك مظهر أو شكل أو كيان في اى عضو منفرد من اعضاء جسم الانسان وانما الشكل المنحوث عبارة عن استدارة عامة وانتفاخ كالجوال (الكيس) الذى يمتلأ بسرعة بالصوف او القطن بصورة غير متسقة او كحشو بصورة سيئة للغاية .

بينما تعالج بقية التفاصيل بدقة متناهية وتطبق لذاتها دون أى اعتبار ما اذا كانت تزيد من قيمة التصميم او تنقص منه . وبعد امتزاج الفن

اليونانى والفن المصرى انتج الفن البطليمى ، فان جميع أوجه النقص في مصر القديمة بقيت كما كانت ولم تكتسب شيئا مما كان جميلا فى الفن اليونانى الجديد ، وكانت النتيجة قيام فن مازال يعجب جميع العشاق من المرتبة الثانية لاغير وبهذا الاعجاب نستطيع ان نمضي مبهورين بأعمال النحت والنقش في كوم امبو التى قدمت لنا هذا الفن في احسن صوره دون ان نطلب المزيد منها وانما كعملية لتغطية بعض الأوجه السطحية بأنماط ليست سيئة .

وعلى ستارة حائطية اخرى يوجد نقش لبطليموس مرة اخرى وهو يتطهر بواسطة الاله حورس والاله تحوت أمام الاله سوبك أما الأعمدة الخمسة المقابلة لنا فنجد عليها نقوش لبطليموس نيوس ديونيزوس .

اعتاب الأعمدة من الثانية الى الرابعة :

على الوجه الخارجي لهذه الأعتاب يوجد نص لبطليموس نيوس ديونيزوس وكيلوباترا ولكن هذا النص يتحدث كثيرا عن ملوك وملكات البطالمة اما العقود فعليها اشكال لقرص الشمس المجنحة مع نصوص بالهيروغليفى .

الباب الرئيسي الشمالى :

يوجد على الكتف رسم يمثل الاله سوبك والاله حتحور والاله خنسو في وضع القرفصاء وامامهم خراطيش مكتوبة ، امـا بقية الأكتاف فعليها بقايا نصوص راسية لبطليموس نيوس ديونيزوس وكيلوباترا مع نصوص وكتابات افقية وحولها بعض الزخارف . وهـذه الأفـاريز عليهـا نصوص لبطليموس نيوس ديو نيزوس .

الباب الرئيسي الجنوبى :

يوجد عليه من ناحية الأعتاب الخارجية رسوم تمثل ابو الهول وبجانبها رسم لبطليموس نيوس ديونيزوس ، وعلى الأكتاف يوجد بقايا لنصوص راسية ثم بطليموس وكيلوباترا .

كما تشاهد مناظر لبقايا نصوص وعلى الكتف المقابل منظر للاله حورس والاله سينوفيس والاله بانب تاوى يجلسون وامامهم خراطيش ، أما الكتف الآخر فعليه نصوص افقية مزخرفة . كما يوجد اعتاب داخلية ذات رسوم لأبو الهول اما الأفاريز فعليها نصوص لبطليموس .

الباب الشمالى الصغير :

الأعتاب والعوارض والأكتاف الخارجية يوجد عليها كتابات ونصوص تتعلق ببناء المعبد ، ويوجد على الكتف الشمالى الداخلى بطليموس نيوس ديونيزوس وبجانبه قرابين والاله (حورس) والاله (بانب تاوى) وفي اسفل هذا الكتف نجد الهى النيل وهما يضمان نباتى القطرين البردى واللوتس رمزا لوحدة مصر ، والأعتاب الداخلية نرى بطليموس نيوس ديو تيزوس ومعه كيلوباترا وأمامهم القرابين وزهور اللوتس وامامهم الاله (حورس) و(سوبك) ورع والالة (تابينت نفرت والعوارض عليها كتابات هيروغليفية) .

الباب الجنوبى الصغير :

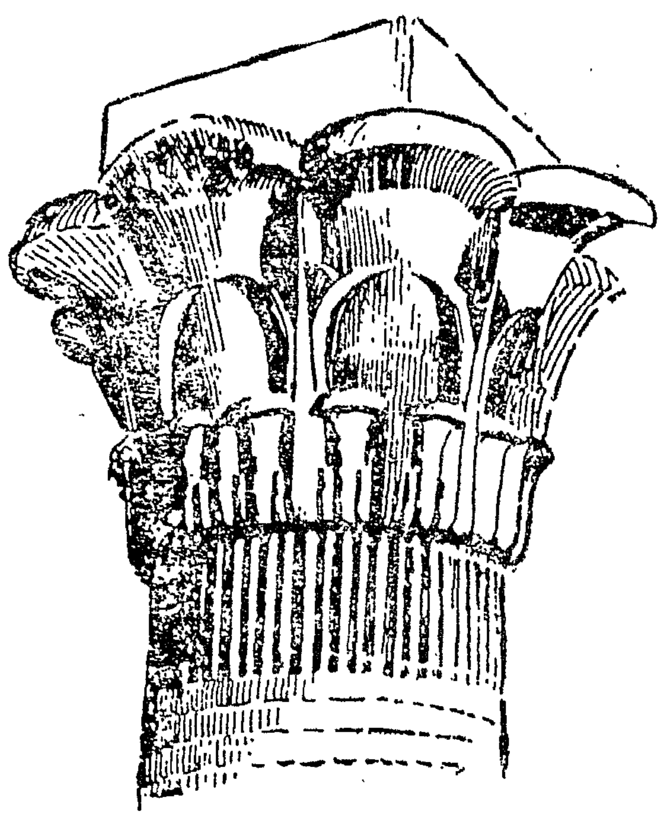
الأعتاب والعوارض عليها كتابات ونقوش اما الكتف الشمالى فعليه بقايا لالهى النيل ، وفي العتب الداخلى نجد بطليموس وهو يقدم رمز الأبدية الى اربعة من آلهة الرياح فى شكل حيوان وزواحف وطيور إما العوارض فعليها ستة أسطر من الكتابات الهيروغليفية ..

والمناظر الداخلية فيالبهو الداخليعبارة عن ستارة حائطية منالحجرمنقوش عليها بطليموس ومن وراءه الاله (توت) والاله (تحوت أمام ايزيس - رعت) ورأسه على شكل أسد كما نشاهد حورس الكبير وحورس ابن ايزيس ، وعلى الستارة الثانية نجد بطليموس وهو يتوج بواسطة الالة نخبت اله الجنوب والاله بوتو آله الشمال أمام الأله (سنوبك - زع والاله تحتحور) كما يشاهد عند بقايا الصفت الأسفل بطليموس مصحوبا بواسطة الاله وفي منظر آخر نراه بمصاحبة الاله الى مكان الاله (سوبك) والالة (خونسو)، وفي اسفل

نشاهد موكب كبير على كل جانب حيث نرى بطليموس و كليوبترا وورائهم اله النيل واثنتين من آلهات الحقل وفي اعلاهم توجد كتابات هيروغليفية .

العقود بين الأعمدة :

يوجد عليها مناظر فلكية تتمثل في آلهة ترفع السماء ونص خاص بالأيام العشرة والأسابيع وحورس المختص بالليل ، ومجموعة أوريون (الجوزاء) كما يوجد خمسة أعمدة من النصوص ، كذلك توجد مجموعة من تسعة نجوم والملك بطليموس والهين في قوارب في رحلة يقومون بها ومن أسفل توجد صورة لاله على شكل ثعبان .



(شكل رقم ٤٢)
(مثال لتاج مركب من اعمدة معبد كوم امبو)
(على شكل زهرة البردي المتفتحة)

بهو الأعمدة الداخلي — (بطليموس يورجيتز الثاني) :

تدخل الآن من احد البابين حيث نجد انفسنا في بهو الأعمدة الداخلي ، ويتكون ذلك البهو من عشرة أعمدة لها تيجان جميلة على شكل زهرة البردى المتفتحة ، بينما هذه الأعمدة اقصر في الطول من الأعمدة الموجودة بالبهو الخارجى حيث يترك انطباعا في النفس اقل من منظر الأعمدة الخارجي ، اما السقف فقد اختفى تقريبا أو تهدم وكذلك معظم الحوائط ولذلك اصبح هذا البهو مكشوفا للسماء ورغم ذلك فان بعض النقوش مازالت في حالة جيدة .

وعلى طول كورنيش الباب الخاص بحورس الكبير الذى يؤدى الى الدهليز الأول نجد نقوشا يونانية سبق ذكرها بخصوص حامية الجنود التى كانت تعسكر في ذلك المكان عند تشييد المعبد ، وهذه النقوش تذكر بعضا منها :(فى نخب الملك بطليموس والملكة كيلوباترا اخته فيلوميترز الذين يحبون امهم وابنائهم ، المشاة ، الفرسان والقوات الأخرى التى تقيم في ناحية أمبو حيث قاموا بتشييد هذا المعبد ، الالة الكبير ابوللو والآلهة التى تعبد معه وذلك لطيبة قلوبهم) .

الواجهة :

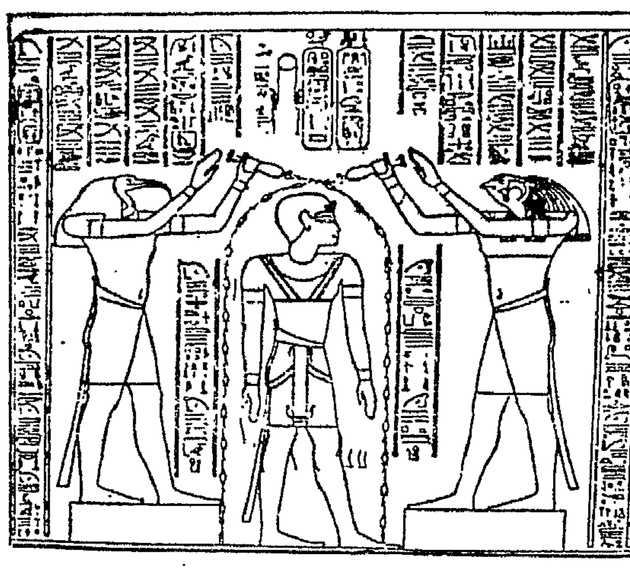
تتكون هذه الواجهة من ثلاثة صفوف كل صف يحتوى على ثلاثة مناظر : —

في الصف العلوى الذى يتكون من ثلاثة مناظر نرى منظرا مهشما لبطليموس يورجيتز الثانى وهو واقف امام الاله سوبك والاله حتحور والاله خنسو ، ومنظر آخر لبطليموس يقدم العيون المقدسة الى الاله حورس وبانب تاوى ، وفي المنظر الثالث وهو يقدم الخمر للاله حورس وسينوفيس (الاله تاسنت نفرت) وفي الصف الثالث يتكون كذلك من ثلاثة مناظر الأول نرى

فيه بطليموس يورجتيز الثانى تتبعه الملكة كيلوباترا امام الاله حورس الكبير والاله (سبتوفيس) والاله (بانب تاوى) . والمنظر الثانى لبطليموس وهو يقدم القرابين للاله (سوبك — رع والاله حتحور) وفي المنظر الثالث نراه وهو يقوم بتدشين المعبد واهداءه الى الآلهه حورس وآلهه اخرى معظم صورها مهشمة وممحوة .

وفي الواجهة الأخرى نجد ثلاثة صفوف منقوشة الصف الأول نشاهد فيه بطليموس يورجيتز الثانى يقدم العطور للاله حورس الكبير ، والصف الثانى يقدم فيه الزهور (للاله سوبك — رع) وفي الصف الثالث يقدم سكينا لحورس الكبير بينما في الجزء الأسفل نشاهد كتابات هيروغليفية على شكل أنشودة الى عين اوزوريس .

وعلى الحوائط المقابلة نشاهد ثلاثة صفوف كل منها تحتوى على ثلاثة مناظر .



(شكل رقم ٤٣)
(منظر على احد الحوائط بمعبد كوم امبو يمثل تطهير الملك حيث نشاهد الملك)
(واقفا بين الاله حورس والاله تحوت يطهرانه بالماء)
(المقدس (من بهو الأعمدة الداخلى)

الصف العلوى :

منظر بطليمتوس يورجيتز الثانى مهشم وهو واقف أمام الالة حورس الكبير ، والآلهة سينوقيس (تاستنت نفرت) والاله (بانب تاوى) ، ومنظر آخر وهو يقدم درعا الى الاله سوبك والاله خنسو . والمنظر الثالث يقدم فيه البخور الى الاله (سوبك — رع) والالة حتحور ولكن أغلب هذه المناظر مهشمة .

الصف الأوسط :

في المنظر الأول نجد بطليموس يورجيتز الثانى (مهشم) واقفا امام ألالة اوزوريس والاله حورس الصغير (حورس ابن ايزيس) والآلهة ايزيس والآلهة نفتيس ، وفي المنظر الثانى نشاهده وهو يقدم الزهور للاله جب (اله الأرض) والاله نوت (اله السماء) ، اما المنظر الثالث فنشاهده وهو يقدم لينا لاله الفضاء (شو) والالهة تفنوت (الهة الرطوبة) .

الصف الثالث :

نرى بطليموس الثانى (منظر مهشم) يقفت أمام ثالوث (سوبك) ثم نراه مرة اخرى وهو يقوم بعملية تطهير المعبد امام الاله حورس (والاله سينوفيتس تفنوت) ، وفي المنظر الثالث نراه وهو يقوم بتدشين المعبد وتقديمة الى الاله سوبك وآلهه اخرى وفى اسفل هذه المناظر نشاهد موكبين سبق تكرار معظمهم لبطليموس الثانى وكيلوباترا وأمامهما نصوص رأسية تشتمل على أدعية وتسابيح وخلفهم اله النيل واله الحقل .

الكورنيش :

عليه صور لسفينة اله الشمس الطفل مع الاله شو والآلهة تفنوت وتحوت وعدة آلهة اخرى اعلى الباب الشمالي مع مجموعة اخرى من الآلهة عددها أربعة عشر ، اما على الجزء الجنوبى فنرى الاله حورس الكبير والاله أتوم — رع وشوونفتيس وحورس وحتحور وسوبك كما نشاهد . نصوص وكتابات

باللغة الهيروغليفية لبطليموس الأول ، أما الافريز فهو مملوء بخراطيش تحتوى على كتابات وأدعية لبطليموس الثانى وكيلوباترا الثانية والثالثة .

الباب الشمالى :

على الأعتاب نشاهد مناظر مزدوجة ومكررة اكثر من مرة لبطليموس الثانى وهو يقدم البخور للاله حورس الكبير يسارا والاله سوبك — رع يمينا . ومناظر أخرى مع كيلوباترا حيث يقدم البخور لثالوث سوبك من جهة اليمين ، أما في الجوانب فعليها خمسة صفوف ممثل عليها بطليموس يورجتيز الثانى ومعه معبودين وفي أسفلها عدة كتابات ونصوص موجهة الى كلا من الاله حورس والاله (سوبك — رع) .

وعلى أكتاف المبنى يوجد خمسة صفوف ممثل عليها بطليموس السادس (فيلوميتر) وأمامه معبودين كما توجد كتابات راسية الى اسفل ، وعلى الأعتاب الداخلية نشاهد الجزء السفلى مهشم تماما والمنظر مزدوج حيث نشاهد بطليموس سوتر الثانى وخلفه الملكة كيلوباترا وهم يقدمون الخمر الى ثالوث حورس الكبير ومرة أخرى الى ثالوث سوبك ، وعلى الأفاريز خمسة صفوف حيث نشاهد الملك وأمامه معبودين وفي أسفل نجد ادعية موجهة الى الاله حورس والاله سوبك — رع .

البـــاب الجنـــــــوبى :

والأعتاب الخارجية عبارة عن مناظر مزدوجة حيث نرى بطليموس يورجيتز الثانى يقدم خمرا لسوبك رع ومنظرا آخر مع كيلوباترا يقدم الاله ماعت رمز العدالة لثالوث سوبك على الجانب الأيسر ثم نراه على الجانب الأيمن وهو يقدم الخمر لحورس الكبير ثم منظرا آخر معه كيلوباترا حيث يقدم ماعت رمز العدالة لثالوث حورس الكبير وعلى الأفاريز خمسة صفوف لبطليموس يورجتيز الثانى وأمامه معبودين وفي أسفل نرى نداءا موجهـا الى الاله جورس الكبير والاله سوبك — رع ، وعلى الأكتاف نشاهد مناظر

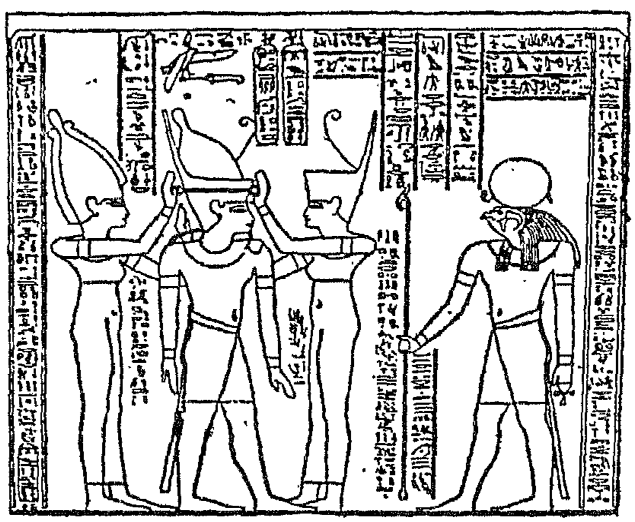
مكررة كذلك لبطليموس الثانى امـام الاله ، امـا في اسفل فنجد نصوص هيروغليفية وكتابات وتعاويذ كما نشاهد منـاظر مكررة ومزدوجة على الأعتاب الداخلية لبطليموس سوتر الثانى مع كيلوبـاترا حيث يقدمون القرابين تارة لثـالوث حورس الكبير وتـارة اخرى لثـالوث سوبك امـا الأفاريز فعليهـا كذلك صفوف خمسة لمنـاظر بطليموس سـوتر الثانى ووراءة كيلوبـاترا يقدمون القرابين تارة لثالوث حورس الكبير وتـارة اخرى لثالوث سوبك وعلي الأفاريز خمسة صفوف كذلك مكررة لبطليموس سوتر الثـاني أمـام المعبودين **وفي اسفل** : ادعية ونداء موجه للاله حورس وسوبك - رع وكذلك قرص الشمس المجنح **وفي الداخل** : نشاهد نص راسي ، وسـوبك - رع على شكل تمساح موضوع على قاعدة واسفلة كتابات هيروغليفية وأدعية مختلفة ، **وفي الصف العلوى** : نشاهد بطليموس يورجيتز الثانى يقدم العينين المقدستين الى الاله حورس الكبير وسينـوفيس (الالهة تاسنت نفرت) ثم منظر آخر وهو يقدم رمز العدالة (ماعت) لآمون - رع والـه آخر صـورته مهشـمة ، وفي **الصف الأوسط** : نشاهد بطليموس يورجتيز الثانى يقدم اناءا الى (سوبك رع وحتحور) لكى يطهرهم بالعطور الموجودة في الاناء ثم منظر آخر وهو يقدم رموزا لأوزوريس انوفريس والاله حتحوز والاله نفتيس - ومنظران آخران صغيران احدهما فوق الآخر حيث نشاهد بطليموس يقدم القرابين الى حية فوق سلة واله براس ثعبان ومنظر آخر وهو واقفا امام ثلاثة آلهة في قوارب في رحلة الأبدية ، في **الصف الثالث** : جزء من بعض الاحتفالات حيث نشاهد :

١ - بطليموس وهو يخرج من قصره مع الكاهن ايون موت تتقـدمهم الاعـلام .

٢ - منظر آخر وهو يتطهر بواسطة الاله تحوت والاله حورس .

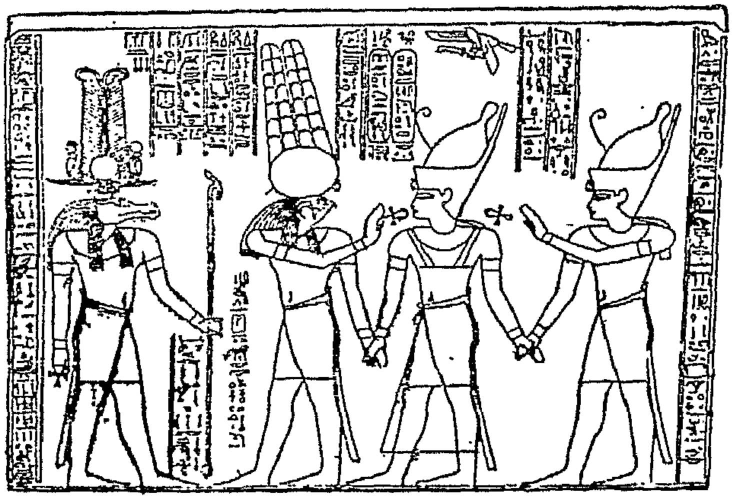
٣ - منظر ثالث وهو يتوج بواسطة الآلهة نخبت (آلهه مصر العليا) والآلهة بوتو (آلهة مصر السفلى) امام حورس الكبير .

وفي احد الجوانب نشاهد بقايا لصفين من مناظر لبطليموس يورجيتز الثانى وهو يعبد ستة آلهة جالسة بجـواره ، ثم منظر آخر لبطليموس مع كيلوباترا الثانية والثالثة وهو يتسلم البسيف من الاله حورس الكبير وهـو يمسك برمز العيد الثلاثينى وفي **الصف العلوى** نشاهد بطليموس يورجيتز الثانى وهو يقدم العينين المقدستين لثالوث حورس الكبير ثم منظر آخر وهـو يقدم رمز الأبدية(للآلهة سوبك ـ رع والآلهة حتحور)، وفي**الصف الأوسط**نشاهد مناظر مكررة كذلك لبطليموس يورجيتس الثانى وهو يقدم القرابين للالهاوزوريس انوفريس والآلهة أيزيس والآلهة نفتيس ومنظر آخر يقدم الخبز للاله سوبك والاله خونسو وأمام معبود آخر مهشم . ، **في الصف الثالث** . نشاهد بطليموس وهو يصاحب كل من الاله آتوم وآمون ـ رع وحورس وسوبك ثم منظر آخر وهو يصاحب بواسطة الآلة بوتو (آلهة مصر السفلى) والآلهة نخبت (آله مصر العليا) الى (الإله سوبك ـ رع) ثم وهو يتسلم رمز العيد الثلاثينى من الاله حورس ، **وفي أسفل** : نشاهد منظر لبطليموس فيلوميتر واثنين من الملكـات (كيلوباترا الثانية والثالثة) ومن خلفهم آلهه النيل ، بمصر السفلى والعليـا وآلهات الحقل ونفس هذه المناظر مكررة على الجانب الشمالى .



(شكل رقم ٤٤)

(منظر يمثل تتويج الملك حيث نراه واقفا بين الآلهة واجت والالهة نخبت وهمـا)
(يلبساه التاج الأحمر والتاج الأبيض وفي اقصي اليمين يقف الاله حورس)
(بهو الأعمدة الداخلى)



(شكل رقم ٤٥)
(منظر للآلهة وهى تقود الملك الى حضرة الاله سوبك)
(بهو الأعمدة الداخلى)

وهم متبوعين بآلهة النيل الخاصة بمصر العليا وآلهات الحقل ، والمقاطعات الجنوبية والبحيرات المرة والفيوم على الجانب الجنوبى وكل ذلك مع نصوص وكتابات هيروغليفية افقية من أعلى ، أما الأعمدة فهى من عصر بطليموس يورجتيز الثانى وعلى كل عمود يوجد منظران ونصوص وكتابات وخراطيش مزخرفة ومنقوشة . أما الأعتاب فعليها زخرفة على شكل خراطيش تمثل صقور مجنحة ونصوص لبطليموس الثانى وكيلوباترا .

(الردهات الثلاث)

(بطليموس فيلوميتر) ـ الردهة الخارجية :

هذه الردهة ندخل اليها من وراء بهو الأعمدة الداخلى حيث تقع ثلاث ردهات الأولى منها بدون سقف وحائطها الغربى قد اختفى تماما .

الردهة الثانية :

هي أكثر الردهات تحطيما وتهشيما من الردهة الأولى ولكن مازالت بها بعض الألوان التي تدل على جمال النقوش التي كانت عليها .

الردهة الثالثة :

تقع هذه الردهة خلف الردهة الثانية وعلى حائطها الخلفي يوجد بعض المناظر القليلة التي لها أهميتها الفنية .

وسنقوم بشرح كل ردهة بالتفصيل على حدة كالتالي :

(الردهــة الخارجية)

الواجهة :

في هذه الردهة نجد بقايا لثلاثة صفوف لمناظر تقديم القرابين أما في أسفل فنجد نصوصا راسية بالكتابة الهيروغليفية مع وجود نص افقى من اعلى .

(الباب الشمالى)

على الأعتاب الخارجية نشاهد مناظر مزدوجة حيث نرى الملك وهو يتقدم الى حورس الكبير ثم منظر آخر وهو يقدم رمز العدالة ماعت مرة الى ثالوث حورس الكبير ومرة اخرى الى ثالوث سوبك وسوبك ــ رع ، وعلى الأفاريز خمسه صفوف للملك أمام معبودين وفي أسفل نشاهد الألقاب الملكية وبعض الأناشيد والتراتيل لكل من الاله حــورس والاله ســوبك ــ رع كمــا توجــد نصوص هيروغليفية ويونانية لبطليموس نيــوس ديونيزوس وعلى الكتف خمسة اعمدة مكررة كذلك من النصــوص تذكر بطليمــوس سوتر الثاني وبطليموس فيلوباتور.

وعلى الكتف المقابل نشاهد خمسة مناظر مكررة لبطليموس فيلوميتر يقدم القرابين لمعبود مهشم وغير واضح المعالم ، وعلى العتب الداخلية نشاهد منظر مزدوج للملك وهو يقدم الخمر الى الاله سوبك والآلهة حتحور ثم منظر آخر للاله حورس الكبير والالهة سينوفيس (الآلهة تاسنت نفرت) وعلى الأفاريز يوجد خمسة صفوف تمثل الملك وهو واقف أمام الآلهة ، أما في أسفل فنشاهد نصوص هيروغليفية عن المعبد وأناشيد وتراتيل الى الاله حورس والاله سوبك .

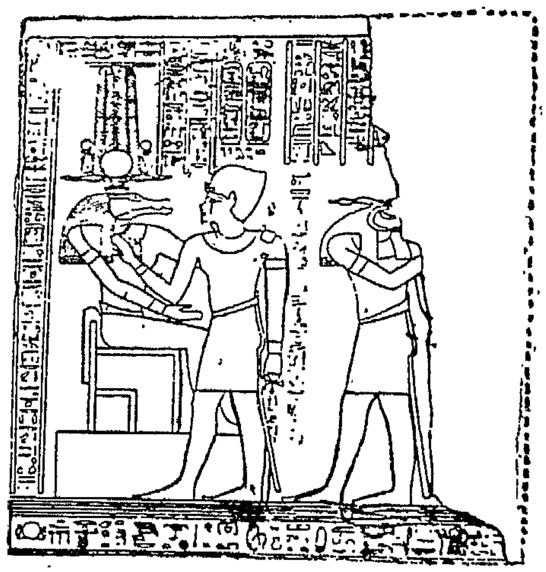
وعند الباب الجنوبى :

نشاهد مناظر مزدوجة سبق تكرارها للملك بطليموس فيلوميتر يمشي ومعه اوانى عطور ليقدمها للاله سوبك ، رع ، ومنظر آخر مع كيلوباترا يقدمون الخمر لثالوث سوبك ، أما على الجانب الأيمن : فنرى الملك وهو يتقدم ومعه اوانىعطور متجها الىالاله حورس الكبير ، ومنظر آخر مع كيلوباترا وهم يقدمون الخمر الى ثالوث حورس الكبير ومناظر أخرى على الكورنيش في خمسة صفوف مكررة للملك أمام اثنين من الآلهة ، وعلى الأكتاف بقايا لمناظر مهشمة لتقديم القرابين .

وعلى الأعتاب الداخلية مناظر مزدوجة للملك يقدم زهورا الى الاله حورس والآلهة سينوفيس (الآلهة تاسنت نفرت) وفي منظر آخر الىالاله سوبك والآلهة حتحور ، وعلى الأفاريز نشاهد مناظر مهشمة على كل منها خمسة صفوف لمناظر الملك أمام الآلهة وفي أسفل منـاظر لنصوص هيروغليفية لانشاء المعبد .

وعلى بعض الحوائط الأخرى نشاهد الملكوهو يقدمالخمر لاله وآلهة ومنظر آخر وهو يتطهر بواسطة الاله تحوتوحورسوفي أسفل كتاباتوتقاويم، وفى ثلاثة صفوف أخرى نشاهد مناظر للملك وهو يتعبد للاله سوبك ، ومنظر آخر يقدم

ثعبانين رمز الشمال والجنوب للاله رع ، ثم وهو يقدم الصلاصل الى الاله حتحور ، **اما في اسفل** فعلية كتابات تمثل اناشيد وتراتيل في عشرة أعمدة باللغة الهيروغليفية وعلى **صفين آخرين** نشاهد الملك يقدم صولجان الى معبود مهشم ثم منظر آخر وهو يسكب الرمال امام الاله حورس الكبير والالهة سينوفيس ، وعلى **الصف السفلى** : نشاهد منظر محطم ومهشم يرى فيه الاله خنوم يصحب الملك الى الاله سوبك وهو يحتضنه ، **اما في أسفل** : فنشاهد الملك وورائه كيلوباترا ومعهم اله النيل وحاملات القرابين .



(شكل رقم ٤٦)

(منظر للاله سوبك يحتضن الملك ليوهبه القوة الالهية ويمنحة الحكم والسيطرة)

(على بقاع الأرض)

(الردهة الخارجية)

الغرفات المحيطة بالردهة الخارجية ـ الغرفة رقم ١ :

في أسفل الحوائط نشاهد الهي النيل وهما يربطان نباتي الوادى رمزا للوحدة بين الشمال والجنوب على الكتف ثم مناظر أخرى لحاملي القرابين على الحائط الشمالي . .

الغرفة رقم ٢ :

في مدخل هذه الغرفة نشاهد كتابات هيروغليفية ونصوص على الأكتاف والأفاريز وعلى حائط آخر نشاهد الملك يقدم الأرجل الأمامية لاحدى الذبائح للاله سوبك ثم يصب سلة إمام الآلهة ، **الباب الشرقي :** نرى الملك يقدم الزهور الى ثلاثة آلهة وبقية الأفاريز السفلية عليها كتابات ونصوص وكذلك الباب الجنوبي والأكتاف ومنظر آخر مهشم للملك امام الاله خنسو ، **اما في أسفل:** فنرى الملك وكيلوباترا وورائهم اليه النيل وآلهات الحقل .

الغرفة رقم ٣ :

عند المدخل وفي العتب الخارجي نشاهد الملك امام الاله حورس ، والاله (سوبك — رع) ، والآلهة (سينوفيس) اما الحوائط المجاورة للمدخل فعليها كتابات ونصوص راسية ، وعند الأكتاف نشاهد عليها نصوص راسية وتشتمل هذه النصوص على كلمات لخدمة القداس الجنائزي في المعبد ، وفي أعلى وعلى يمين الباب الداخلي نشاهد بقايا لمنظر علوى لاقامة طقوس دينية وعمل الدهانات .

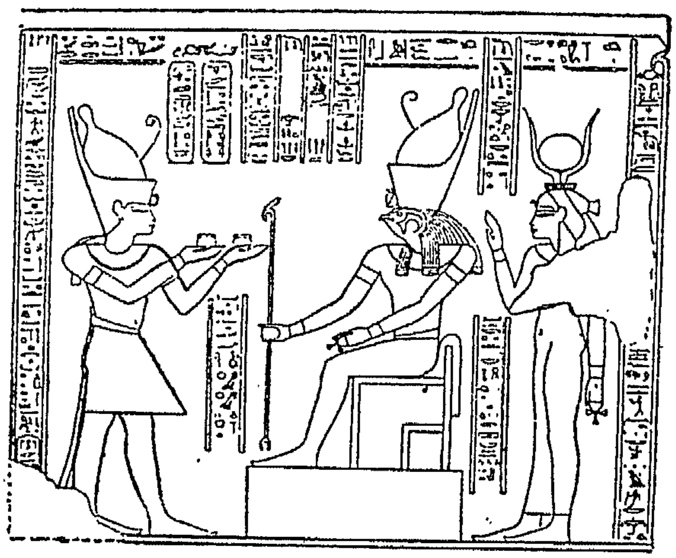
الردهة الثانية (الوسطى)

الواجهة — الصف العلوى والثاني :

عبارة عن بقايا مناظر مهشمة وممحوة اما الصف الثالث فنشاهد منظر مهشم للملك مع الآلهة (آلهة الكتابة) وعلم الحساب وهما يقيسان مساحة المعبد ويتبعهم الاله حورس الكبير ، اما في اسفل فنشاهد خراطيش عليها كتابات وتقاويم ، وعلى **حائط آخر** نشاهد ثلاثة صفوف **الأول منها :** الملك وهو يقدم خوذة للاله حورس الكبير والآلهة سينوفيس **والثاني منها :** وهو يقدم شعارات للاله اوزوريس — انو فريس ، والآلهة ايزيس والآلهة نفتيس ، والثالث منها

للملك ايضا مع الكاهن (ايون موت) تتقدمهم الأعلام ويقوم بتطهير المعبد امام الاله حورس الكبير .

امـا في اسفل فنشاهد نصوص تذكر اسماء المعبد ، والبحيرات المقدسة ، والأزهار ، ومراسم الاحتفالات ، كما يذكر اسطورة عن الاله شو والآلهة تفنوت ، وعلى حائط آخر نشاهد الملك ومعه القرابين واناء به سائل مقدس كالعطور امام الاله سوبك ، اما في اسفل فنشاهد بعض كتابات وهى عبارة عن نداء موجه الى الاله حورس ونصوص تتحدث عن اعادة تشييد المعبد وتنظيم عملية البناء بواسطة بطليموس فيلوميتر وكيلوباترا الثانية .



(شكل رقم ٤٧)

(الملك يقدم الخمر الى الاله حورس الكبير ومن خلفه تقف كيلوباترا)
(بهو الأعمدة الخارجى)

الباب الشمالى :

على الأعتاب الأولى نشاهد مناظر مزدوجة ومكررة سبق شرحها اكثر من مرة حيث نرى الملك وهو يتقدم ومعه آنية الى ناحية اله ومن وراءه كيلوباترا

الثانية — ثم منظر آخر وهو يقدم القرابين والأوانى مرة الى ثالوث حورس ومرة الى ثالوث سوبك . وعلى الأفاريز خمسة صفوف على كل منها منـاظر للملك أمام الآلهة ، أما في أسفل فنشاهد نداءات موجهة الى كل من الاله حورس والاله سوبك اما الأكتاف فعليها نصوص واناشيد وعلى الأعتـاب الداخلية والجوانب بقايا مهشمة من مناظر لتقديم القرابين .



(شكل رقم ٤٨)
(الملك ومن ورائه كيلوباترا تقف امام الاله خنسو الذى يكتب له عمرا طويلا)
(وسنوات حكم عديدة واعياد كثيرة ومن خلف خونسو نجـد الاله حـورس)
(والاله سوبك)
(الردهة الداخلية)

الباب الجنوبى :

هذا الباب نشاهد فيه نهاية الجزء الشمالى للأعتاب والأفاريز : حيث نشاهد بقايا لمناظر كثر تكرارها لتقديم القرابين ، وفي أسفل نجـد نداء موجه للآلهة حورس وسوبك مع نصوص علوية لأوامر تشييد المعبد وعلى الأكتاف بقايا كتابات ونصوص هيروغليفية ، وعلى العتب الداخلى عند الجزء المتبقى من **الطرف الشمالى** : نشاهد الملك يتعبد لثلاث حيات (واحدة لهـا رأس افعى والثانية لها راس صقر والثالثة لها راس تمساح ، أما الأفاريز فعليها بقايا لأربعة صـفوف فى كل منها نجد صورة لثلاثة آلهات كل منها لها راس اسد ، أما في أسفل فنرى كتابات ونصوص وأدعية مختلفة .

وعلى حوائط أخرى نشاهد ثلاثة صفوف أخرى كالآتى :—

١ - الملك في منظر مهشم تمـاما .

٢ - الملك يقدم القرابين للاله حورس الكبير .

٣ - الملك واقف مع قائمة بالقرابين امام الاله حورس وهو مهشم ، أما في أسفل فنشاهد نصوص وعبارات تمجد الملك ، وعلى جانب آخر نشاهد الملك بطليموس فيلوميتر يقدم مادة سوداء الى الاله سوبك والآلهة ايزيس ومنظر ثاني يقدم كتلا من الدهون او الشحوم على المذبح أمام الاله سوبك والاله بانب تاوى ، ومنظر ثالث يقدم خبزا للاله (سوبك - رع) امـا في اسفل فاناشيد وتراتيل .

وعند الصف السفلى :

نشاهد عليه تقويم أما في أسفل فنرى نصوص لـوصف المعبد ونـداء وتراتيل للاله (سوبك - رع) كمـا يوجـد بقايا لصفين حيث نرى عجلا وبقرتين مقدستين وفى أسفل اله الحقل وهو تابع لموكب سـبق شرحه قبل ذلك ، أما السقف فعليه زخرفة ونقوش وكتابات هيروغليفية .



(شكل رقم ٤٩)

(الملك يقدم الملابس الملونة للاله سوبك ومن خلفه الاله خنسو وحورس)

(الحجرة رقم ٢٢ (بالردهة الداخلية)

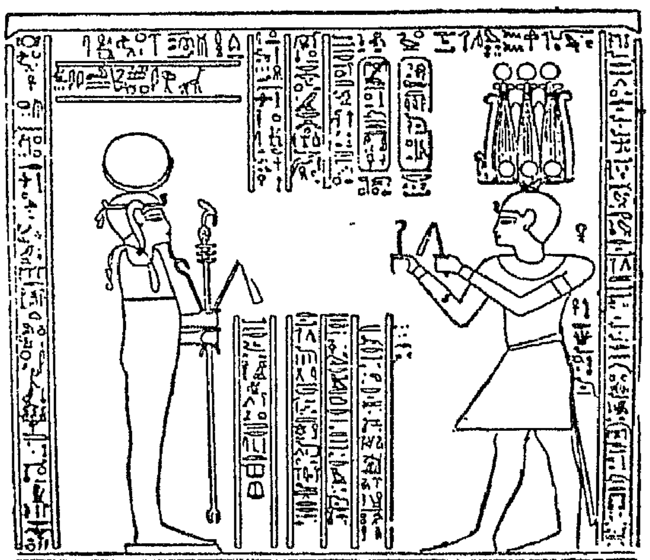
الغرفة رقم ٦ :

في **أعلى الباب** الخارجي نجد قائمة بأسماء الآلهة وصفاتها ، مع نصوص وادعية باللغة الهيروغليفية تتعجل حضور الاله لتقديم القرابين اليه وهذه الكتابات على جميع جوانب الباب والأفراريز ، اما على **الأكتاف** فنشاهد الملك وهو يقدم الخمر للاله حورس الكبير وفى اسفل نصوص وكتابات تمجد الملك ، امـا فى **أعلى الباب الداخلى** فنجد منظر مزدوجا للملك على شكل ابو الهـول، وعلى حائط آخر نشاهد خمسة مناظر مكررة ومهشمة تماما منها :

١ ـ الملك واقف امام احـد الآلهة .

٢ ـ منظر آخر ومعه الصلاصل امام الهة .

وفى منظر آخر نشاهد الملك يقدم رمز الأبدية الى الاله حورس ، وفي وضع آخر يقدم الخمر لآلهة ، ثم منظر وهو يجزى ومعه ثلاث سيقان من نبات البردى يقدمهم الى معبودة آما في اسفل فنشاهد الملك وكيلوباترا ومعهم اله النيل وآلهـات الحقل .



(شكل رقم ٥٠)
(الاله يعطى الملك شارات الحكم)
(بهو الأعمدة الداخلى)

الباب الغربى :

على الاعتاب عند هذا الباب نشاهد منظرين لابى الهول والأكتاف عليها نصوص وكتابات هيروغليفية وزخرفة ورسومات للآلهة نخبت (آلهة الجنوب) والآلهة بوتو (آلهة الشمال) على شكل افعتين مجنحتين مع خراطيش وشعار الاتحاد بين مصر العليا ومصر السفلى ، أما فى أسفل فنجد عليه رسومات لآلهة النيل ، وعند الباب الشرقى نجد نصوص وكتابات باللغة الهيروغليفية على الأكتاف .

الردهة الثالثة (الداخلية)

عند الصف **العلوى والثانى** لهذه الردهة نجد بقايا لمناظر تقديم القرابين للآلهه ، **وعند الصف الثالث** نشاهد رسما للملك مهشما وهو واقف أمام الاله حورس والاله سوبك اما **فى أسفل** فنشاهد بطليموس فيلوميتر وكيلوباترا مع قرابين ، **وفي الصف العلوى الثانى** نشاهد منظر مزدوج لتقديم القرابين ، اما فى **الصف الثالث** فنشاهد رسما للاله بوخيس ومن وراءه الملك يقدم خبزا ، ثم منظر آخر وهو يرتب القرابين على المائدة أمام الاله سوبك والاله حتحور ، اما في أسفل فنشاهد قوائم عبارة عن عشرين عمودا على هيئة خراطيش مكتوبة باللغة الهيروغليفية تشير الى اسطورة (الآلهة تفوت والاله شو) ، وعلى صفين آخرين نجد منظر لاله فى منظر مهشم ومنظر آخر للاله ابيس على شكل ثور وورائه الملك وهو يعد مائدة القرابين امام الاله حورس الكبير والآلهة سينوفيس (الآلهة تاسنت نفرت) اما في أسفل فنشاهد الملك بطليموس فيلوميتر والملكة كيلوباترا ، واله النيل الخاص بمصر العليا في موكب منتظم مع بقية الحوائط الأخرى .

الباب الشمالى :

على الأعتاب توجد مناظر مزدوجة **وفي النصف الشمالى** نشاهد الملك وهو يقدم الأزهار الى الاله حورس الكبير والاله خنسو ثم منظر آخر مع كيلوباترا

وهو يقدم رمز العدالة (ماعت) الى الاله حورس الكبير والاله سينوفيس ، وفي **النصف الجنوبي** نجد منظر مهشم ، ثم منظر آخر للملك مع كيلوباترا وهو يقدم رمز العدالة ماعت الى الاله سوبك والاله حتحور ، وعلى الأفاريز نشاهد ثلاثة صفوف لمناظر تمثل تقديم القرابين مع نص وكتابات هيروغليفية لوصف المعبد ، وعلى الأكتاف توجد بقايا نصوص راسية وشعار زخرفي ونصوص أفقية وعلى الأعتاب الداخلية مناظر مكررة ومزدوجة لبطليموس وهو يسير ومعه اوانى بهـا عطور يقدمها الى الاله سوبك ورع وحتحور ، ومنظر آخر وهو يجرى ممسكا مجداف ومتجهـا الى الاله حورس الكبير والآلهة سينوفيس ، امـا الأفاريز فعليها أربعة صفوف تشتمل على مناظر سبق تكرارها لتقديم القرابين للآلهة ونصوص تمجد الملك .

الباب الجنوبي :

يشاهد الزائر عند الباب الجنوبي للمعبد في الردهة الثالثة الداخلية مايلى : الأعتاب في اقصي الشمال نشاهد فيها الملك بطليموس مصحوبا بنور وهو يجرى وحاملا اوانى مملوءة بالعطور متقدما الى الاله سوبك ، وعند الأفاريز نشاهد اربعة صفوف لمناظر سبق تكرارها اكثر من مرة لتقديم القرابين وفي اسفل نجد نصوص لوصف المعبد وتمجيد الملك هى والأكتاف وكذلك مناظر مزدوجة عند العتب الداخلى لبطليموس حيث يقدم رمز الأبدية الى الاله حورس الكبير والآلهة سينوفيس وشعارات الى الاله سوبك ورع وحتحور ثم مناظر أخرى على الأفاريز لتقديم القرابين ونصوص وادعية لتكريم الملك والدعاء له .

الجزء الداخلي :

مناظر مكررة عبارة عن ثلاثة صفوف لتقديم القرابين وثلاثة صفوف اخرى تمثل بطليموس فيلوميتر امـام الاله حورس ومناظر اخرى امـام الالـه حتحور وحورس وبقـايا لثـلاثة صفـوف تمثـل منـاظر للقرابين وفى اسـفل مناظر لآلهة النيل وحـاملى القرابين اما **السقف** : فنجد عليه زخرفة

تمثل العقاب في العالم الآخر ونصوص وكتابات تذكر كل من الآلهة نخبت (آلهة الجنوب) والآلهة بوتو (آلهة الشمال) ، وفى الحجرات الداخلية التى تحيط بالردهة الداخلية نجد مدخلا ندخل منه الى الغرفة رقم ٨ حيث نجد على حوائطها بقايا نصوص وكتابات وبقية ذلك غير ذى اهمية لأن معظمها مهشم .

الغرفة رقم ١٠ :

على افاريز هذه الغرفة الخارجية وعلى الأكتاف نشاهد بقايا نصوص وكتابات معظمها مطموس وفي الجزء السفلي بقايا لمناظر مكررة للملك امام الاله مين وآلهتين غير واضحة المعالم .

المقصورتان (بطليموس فيلوميتر)

هاتان المقصورتان تكادا ان تكونا محطمتان ومهشمتان تماما ، ولكن يلاحظ فيها بقايا قواعد من حجر الجرانيت الأسود حيث توضع عليها نماذج



(شكل رقم ٥١)
(الملك وهو يتسلم السيف من يد الاله حورس وبجواره صورتان مكررتان للملكة كيلوباترا)
(بهو الأعمدة الداخلى)

القوارب المقدسة ، وعندما ندخل الى الممر الدائرى الداخلى من قاعة الأعمدة الكبرى حيث يدور حول هذه الغرف ابتداء من بهو الأعمدة الداخلى من الأمام، وعند نهاية هذا الممر الدائرى من الجهة الشمالية نشاهد سبعة غرف مفتوحة عليه .

واحدى هذه الغرف تعتبر بداية درج له سلالم يؤدى الى سطح المعبد ؟ اما بقية الغرف الست فهى جديرة بالمشاهدة رغم أن نقوشها غير كاملة الا انه من الممكن معرفة دراسة طريقة عمل الفنان المصرى ومراحل معالجته لفنه، ويشاهد ذلك بصورة أوضح فى الغرفة الأولى التى على يسار الغرفة التى بها الدرج،أما الممر الخارجى فعند نهايته الشمالية نشاهد مناظر للأباطرة ماكرينوس وكراكالا وجيتا وهم يقدمون القرابين للآلهة المختلفة .

وعلى ظهر الحائط الخلفى للمعبد من الداخل وقرب نهاية الممر وعند المحور نشاهد هناك نقش جميل وجدير بالاهتمام حيث نشاهد الاله سوبك والاله حورس الكبير مع الرموز الخاصة بهم وهما يقفان امام مقصورة أخرى مع رموز فى غاية الغرابة والغموض وغير معروفة تماما ، الا ان بعض الأثريين يفسر ذلك بنظرية الازدواج الموجودة في ذلك المعبد فى كل شيء .

وعلى الحائط الشرقى للممر وعند الزاوية الشمالية نشاهد منظرا للامبراطور تراجان راكعا امام الهين ونقشا آخر لمجموعة من الآلات يحتمل انها كانت تستخدم في اعمال الجراحه والطب والسحر او أعمال المقاييس والبناء .

وعلى عدة حوائط اخرى مواجهه نشاهد بقايا رسومات في الصف السفلى تمثل الملك أمام الاله حورس الكبير ، **وفى الصف العلوى** نشاهد منظر مزدوج آخر للملك وهو يقدم الخمر للاله سوبك رع وصديرية للاله حورس ،**وفي الصف الثانى** منظر مزدوج آخر للملك يقدم الزهور للاله سوبك واناء به عطور على شكل أبو الهول للاله حورس ، وفى **الصف الثالث** نشاهد الملك مع كيلوباترا امام الاله خنسو وهو يكتب السنوات التى حكم فيها .

المقصورة الشمالية ــ عند الباب الخارجي :

على الأعتاب نشاهد مناظر محطمة ومهشمة لبطليموس فيلوميتر ووراءه الملكة كيلوباترا وآلهة الكتابة أمام ثالوث سوبك الكبير وثالوث حورس أما الأفاريز فعبارة عن صفوف مكررة وسبق ذكرها لمناظر تقديم القرابين للآلهة .

وعلى الأكتاف نشاهد كتابات ونصوص وعلى الأعتاب الداخلية مناظر مزدوجة ومكررة للملك وهو يقدم طعاما للاله سوبك ـ رع والآلهة (بانب تاوى) وشعارات الى حورس الكبير وخنسو ، والأفاريز عليها نصوص كذلك أما بقية الحوائط فعليها بقايا لمناظر تمثل الملك ومعه مائدة قرابين واوانى البخور والعطور المقدسة .

المقصورة الجنوبية ــ عند الباب الخارجي .

وعلى الأعتاب في اقصي الشمال نشاهد الملكة كيلوباترا وورائها الاله بوتو اما بقية الأفاريز فعليها سبعة صفوف تمثل مناظر تقديم القرابين للآلهة وفي اسفل وعلى الأكتاف والأفاريز الداخلية بقايا لكتابات ونصوص ، وكذلك بقايا لمناظر للملك وهو يتعبد وبجواره مائدة القرابين وفي خارج المقاصير نشاهد على الحوائط الشمالية والجنوبية مناظر لآلهة النيل وآلهة الحقل وحاملات القرابين .

غرفات خلف المقاصير (الغرفة رقم ١٣) :

بقايا مناظر مهشمة ومحطمة تماما .

الغرفة رقم ١٧ :

مناظر مهشمة لبقايا نصوص وكتابات وفي اسفل الحوائط نرى بقايا مناظر لآلهة النيل وآلهات الحقل .

(الغرفة رقم ١٨) :

الأفاريز الخارجية والأكتاف لهذه الغرفة عندما ندخلها نشاهد عليها بقايا نصوص وكتابات هيروغليفية معظمها مهشما وغير واضح المعالم ، غير انه

يلاحظ في بعض الأجزاء وعلى احد الحوائط المهشمة بقايا منظر لبطليموس فيلوميتر وهو يتعبد الى الآلهة (آلهة على شكل ثعبان) مع مناظر اخرى مهشمة لتقديم القرابين للآلهة .

الممر الداخلي (من العصر الروماني)

الجزء الشمـالي :

في هذا الجزء الشمالى وعند الباب والأكتاف نشاهد نصوص لبطليموس نيوس ديونيزوس وكيلوباترا ، امـا عند الأفاريز فنشـاهد الملك نيرون وهو يغادر قصره ومعه أحـد الكهنة وتتقدمهم الرايات ، وعند الباب المؤدى الى بهو الأعمدة الداخلى نشاهد على الأفاريز الخارجية نداءات وملاحظـات موجهة إلى كهنة المعبد وفي اسفل الحوائط نشاهد مناظر لحاملات القرابين وآلهة النيل وآلهة الحقل .

الجزء الجنوبى :

عند الباب والأكتاف نشاهد نصوص لبطليموس نيوس ديونيزوس ومنظر لنبات زهرة اللوتس والبردى يعقدان بواسطة الهى النيل بمصر العليـا ومصر السفلى وعند الأفاريز نشاهد عليها نصوص ولكن معظمها مهشم امـا في الصف السفلى فنشاهد بقايا لمناظر تقديم القرابين مع سطرين من الكتابات والنصوص وبجانبة مناظر اخرى لآلهة النيل وربة الحقل وتقديم القرابين وفي صف آخر سفلى نجد اربعة أعمدة اخرى من الكتابات والنصوص الخاصة بفسباسيان كما نجد مناظر اخرى للملك وورائه آلهة الكتابة (سشات امـام معبودين مهشمين) وفى صف سفلى آخر نجد منظرين للملك احـدهما مهشم وهو يقوم بعملية تطهير الآلهة في معبد امام الهين آخرين كل منهما برأس صقر ومنظر آخر امام الاله سوبك والآلهه حتحور ، ونجد في منظر آخر فسباسيان ووراءه أمراء الأقاليم امام الاله سوبك والاله حتحور والإله خنسو .

(غرف اخرى بالمعبد شرق الممر الداخلى)

(غير كاملة - الملك بطليموس نيوس ديونيزوس)

الغرفة رقم ٢٠ :

مناظر للملك واقفا امـام آلهة واله وغير واضح المعالم .

الغرفة رقم ٢١ :

على أكتاف هذه الحجرة مناظر وصور للملك في صحبة الآلهة ، وعلى الحوائط توجد خمسة مناظر لتقديم القرابين .

الغرفة رقم ٢٢ :

في هذه الغرفة توجد خمسة مناظر للملك بطليموس نيوس ديونيزوس واقفا امام الآلهة ، وعلى الافاريز والأعتاب مناظر مشتركة لنصوص للملك بطليموس نيوس ديونيزوس .

الغرفة رقم ٢٣ :

في هذه الغرفة نشاهد منظرا واحدا للملكة كيلوباترا وهى تهدى قلادة الى بعض الآلهة وبجانبها الاله خنسو واربعة مناظر اخرى لبطليموس نيوس ديونيزوس امام الآلهة .

الغرفة رقم ٢٤ :

فى هذه الغرفة نشاهد خمسة مناظر لبطليموس نيوس ديونيزوس وهو يقدم القرابين للمعبودات والآلهة حتحور وسوبك وخنسو .

الممر الخارجي (من العصر الرومانى)

الجزء الشمالى :

نشاهد في غرف هذا الممر عند الجزء الشمالى وعند الباب بالضبط نصوص وكتابات راسية للملك كلوديوس ، وكذلك حلقات باسماء البلاد

الأجنبية ومناظر كثيرة لم تكتمل وبقايا من منظر فيه صورة أسد ، ومنظر غير كامل للملك وهو يقوم بتدشين معبدا امام الآلهة وبقية المنظر مهشم .

الجزء الجنوبى — الباب الرابع :

عند هذا الباب نشاهد على الحوائط الواقعة شمال الباب والأفاريز مناظر معظمها مهشم ونصوص لأغسطس وتيبيريوس ، كما نشاهد حلقات بأسماء البلاد الأجنبية وبقايا مناظر نرى فيه أسد يلتهم بعض الأسرى وفى أعلاه نشاهد نصوص وكتابات .

الجزء الشرقى :

فى هذا الجزء الشرقى نشاهد منظرين على الجانبين للملك وهو يقدم القرابين للآلهة ، وفي الصف العلوى مناظر مهشمة لقرابين ، وفى الصف الثانى الاله تحوت ومعه ساعة مائية والاله شو يقدم رمز الحياه الى الآلهة سنوفيس — تفنوت ، وخلفهما الاله رع والاله بتاح ومن أسفل نشاهد قرص الشمس المجنح وعين الشمس وعين القمر وخراطيش لتراجان ، أما في الصف الثالث فنشاهد الاله سوبك والاله حورس الكبير وبينهما انشودة وفى أعلى المنظر اربعة آلهة للريح والاله شو أعلى باب صغير بين زوجين من الأذن والأعين وعند الحوائط نشاهد خمسة مناظر كالآتى :

١ — منظر للملك مهشم امام الاله حورس والاله سينوفيس والاله بانب تاوى .

٢ — منظر للملك يقدم درعا الى الآلهة سينوفيس .

٣ — منظر للملك ماركوس اوريليوس ووراءة كومودوس يقدم القرابين الى الاله حورس والاله سينوفيس .

٤ — منظر آخر للملك ماركوس أوريليوس يقدم البخور الى الاله (رع حور — اختى) والاله شو والالهة تفنوت .

٥ - منظر آخر للملك ماركوس اوريليوس وهو راكع ويقدم العطور للآلهة .

كما نشاهد ستة مناظر اخرى تمثل :

١ - الملك ماركوس اوريليوس يقدم الطعام الى الاله سوبك والاله حتحور والاله خنسو .

٢ - الملك ماركوس ووراءه كومودوس يقدم آنية عطور الى الآلهة سينوفيس والالهة حتحور .

٣ - الملك كومودوس في منظر مهشم يقف امام الاله سوبك - رع ، وحتحور .

٤ - الملك كومودوس يقدم عينين مقدستين الى الاله حورس الكبير والآلهة سينوفيس .

٥ - الملك كومودوس يقدم ساعة مائية الى الآلهة سينوفيس - تفنوت.

٦ - الملك ماكرينوس ووراءه ابنه الصغير واقفا امام الآلهة نفتيس واله صغير مهشم .

(وجه المعبد الخارجى)

منظر للآلهة ايزيس وآلهة اخرى غير واضحة ومهشمة وفي منظر آخر مزدوج نشاهد تاره دميتيان ومعه البخور واشياء اخرى مقدسة امام ثالوث سوبك - ومرة أخرى اما ثالوث حورس الكبير .

(السور اللبنى للمعبد)

على الوجه الداخلى للحائط الشرقى للمعبد وعند السور اللبنى وجدت لوحة نادرة ورائعة المعروفة بلوحة (تراجان) وذلك في مواجهة الحائط الخلفى للمعبد-وقد نزعت هذه اللوحة من مكانها في عام ١٩٠٣ وموجودة حاليا في المتحف المصرى تحت رقم ٢٢٢١٣ .

(الحائط الشرقى للبهو)

في هذا الجزء من الحائط نشاهد آثار لبقية مناظر لبطليموس نيوس ديونيزوس امام الاله حورس الكبير جالسا على العرش كما نشاهد بقيـة منظر آخر مهشم للاله سوبك والآلهة حتحور .

(ملحقـات معبد كوم امبـو)

(بيت الولادة)

بعد زيارة المعبد العظيم نقوم الآن بزيارة بيت الولادة القائم على شرفة قريبة من النهر امام الواجهة المدمرة ذات الأبراج التـابعة للقاعة الأمـامية . وعندمـا نتأمل جيدا هـذا البيت نجـد ان النصفـ الغربى من هذا البيت قد أزاله النيل ومحى معالمة الرئيسية وما تبقى من هذا البيت الذى بناه بطليموس يورجيتز الثانى(١) ، وعلى الجانب الخاص بالاله حورس الكبير الموجـود في الناحية اليسرى من المعبد .

ومن خلف بيت الولادة وبجوار حائط مهدم توجد عتبتين فخمتين رائعتين تحمل احداهما اسم بطليموس نيوس ديونيزوس ، كما هناك أيضا على هذا الجزء من السطح توجد بئران متصلان ببعضيهما البعض ومقصورة صغيرة بناهـا الامبراطوز كراكالا للاله سوبك .

---

(١) احـد الرسومات البارزة في بيت الولادة منظرا يعتبر تقليدا غير ذكي لأعمال الأيام الغابرة الى كانت تتميز بالأيام اللاحقة للفن المصرى القديم، ويقع هذا الرسم البارز والنصفـ متهدم على الواجهة الغربية لأعلى جزء من الجدران القائمة ، وهذا المشهد ليس سوى تقليد سخيفـ ومكرر للمشهد المألوف من المدافن القديمة والذى يظهر فيه صاحب المدفن وهو يصطاد الطيور في ايكة من أوراق البردى والواضح أن الأهمية القديمة للمشهد قد تلاشت نهائيـا ، أن المثال أو الكهنة الذين نفذوه قد تصوروا أن هناك معنى دينيا غامضا في ذلك المشهد الذى افرد له مكانا كبيرا على جدران دار الولادة .

وبالقرب من النصف الباقى لصرح بطليموس نيوس ديونيزوس توجد مقصورة غير كاملة للآلهة حتحور ، بدأ العمل فيها أيام الامبراطور دوميتيان وتحتوى أحدى الغرف فيها على جثث وموميا وات محنطة لبعض الطيور والحيوانات كالتماسيح المقدسة ، أما بقية النقوش فليست بذات اهمية ، اذ من بين احد هذه النقوش خارج الباب يوجد نقش لآلهة تعزف على قيثارة امام الاله حتحور وهو مشهد جدير بالمشاهدة :

بهو الأعمدة :

عند الواجهة التى امامنا نشاهد بقايا لمنظرين احدهما لاله صغير يعلو الهى النيل وهما يعقدان نباتى الوادى (رمز الوحدة) بين الملك وأحد الآلهة ومنظر آخر مطابق له تماما ولكن بين ثلاثة آلهة ومعظم هذه التكوينات والمناظر مهشمة .

وعند الباب المهشم الذى يحمل رقم ٣ نشاهد بقايا منظر تتويج ، وبقايا مناظر للملك يحمل صديرية ويتقدم نحو الآلهة وفي أسفل نشاهد خراطيش وأعمدة من الكتابات والنصوص خاصة بخدمة القداس الجنائزى ، ثم نجد بطليموس يورجتيز الثانى حاملا للقرابين ووراءه الملكة كيلوباترا تحمل باقات من الزهور .

الردهة الخارجية لبيت الولادة :

عند الحوائط التى نشاهدها فى هذه الردهة الخارجية وعند المدخل المهشم في اغلب جوانبة وعند النصف الأيسر من الأعتاب نشاهد أحد الآلهة وهو يقتل ثعبان أمام اله جالس يحميه الهى النيل اما جهة اليمين والشمال فعبارة عن أعمدة تحمل نصوصا ، وفى أسفل نشاهد حاملى وحاملات القرابين.

وعند الصف العلوى يوجد الهين كجزء من منظر مهشم وفى الصف السفلى نشاهد الاله سوبك والالة جتحور ، والاله خنسو مع بقايا من

القرابين ، وفي أسفل نشاهد اثنين وعشرين عامودا من النصوص الخاصة بخدمة القداس الجنائزى وعند الباب المؤدى الى الممر وعلى الكورنيش الداخلى والأكتاف نشاهد نقوش وزخرفة تقليدية .

الردهة الداخلية لبيت الولادة :

عند الكورنيش الخارجي للمدخل نشاهد ثلاثة صفوف مكررة للملك واقفا أمام الاله سوبك وبعض الآلهة الأخرى المهشمة ثم وهو يقدم الاله ماعت الى الاله تحوت، ثم وهو يتقدم الى الحقل ومعه الاله سوبك والاله حتحور كما يوجد نصوص وكتابات هيروغليفية فى أسفل وعند الأكتاف نشاهد فيها ثلاثة أعمدة من النصوص والكتابات لبطليموس يورجيتز الثانى ومعه الملكة كيلوباترا وبجانبهم بعض النصوص والكتابات داخل اشكال زخرفية وعند الكتف الداخلى نشاهد ثمانية صفوف من مناظر تمثل آلهات على شكل فرس البحر داخل مقاصير متعلقة بالأشهر والأيام التى تعبر عن السنة ومعها معبودات اخرى ،وفي اسفل نشاهد نصا مكون من سبعة اعمدة لكتابات مختلفة مع نص آخر من منظرين لبطليموس الثانى وكيلوباترا .

وعند الحوائط الداخلية وفي الصف العلوى والوسط وحول الأفاريز الدائرية نشاهد منظرين للملك وهو يقدم خبزا للاله سوبك ومنظر آخر يقدم طيورا للآلهة ولكن معظمها مهشم ، وعند الصف السفلى منظر للملك مع اله السحر واله الصيد فى قارب مع نباتات مائية (نبات البردى) وطيور ترفرف امام بعض الآلهة ، وفى أسفل نشاهد بطليموس الثانى وكيلوباترا وثلاثة آلهة لأقاليم مصر المختلفة .

وعند الممر الأخير نشاهد بقايا مناظر للملك وبطليموس الثانى والملكة كيلوباترا وورائهم بعض الآلهة واغلبها مهشم ، ومنظر آخر لبطليموس الثانى وكيلوباترا وورائهم الآلهة نايت وصفوف من القرابين .

(مقصورة الآلهة حتحور)

عند الواجهة التى ترجع الى ايام الملك دوميتيان وفى أعلى نشاهد الالهة حتحور جالسة امام الباب ، وعند الصف العلوى نشاهد الملك ومن ورائه الآلهة حتحور وهو يقدم الخمر الى الآلهة سينوفيس ، وعند الصف السفلى نشاهد الآلهة موت وهى آلهة مصر العليا ومعها آله موسيقية وخلفها الملك يحمل صبلاصل في يديه أمام الآلهة سينوفيس وعند الأعتاب الخارجية نشاهد اربعة مناظر مهشمة اما الكرانيش فعليها مناظر لتقديم القرابين ونقوش يونانية وعند الداخل نشاهد مناظر مزدوجة للآلهة ولكن معظمها مهشمة .

(بوابة الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث)

هذه البوابة عندما ندخلها نشاهدها باقية وموجودة في مكانها الأصلى عند السور الجنوبى وعلى الوجه الجنوبى نشاهد جميع الأعتاب قد بدلت والمناظر مزدوجة لاحد البطالمة امام احدى المعبودات ولكن معظمها مهشم ، وعلى الكرانيش نشاهد مناظر للملك تحتمس الثالث على كل باب وخراطيش وكتابات للملكة حتشبسوت .

(بوابة الملك بطليموس (نيوس ديونيزوس)

عندما ندخل من هذه البوابة وعند الجناح الشرقى في الجزء الخارجى نشاهد ثلاثة مناظر **المنظر الأول** للملك وهو يقتل احد اعدائه أمام اله محطم والمنظر الثانى للملك ايضا وهو يقدم الضحايا الى الاله سوبك والاله حتحور **وفي المنظر الثالث** : الملك ايضا يقدم الطعام الى الاله حورس وبانب تاوى. وعند الأكتاف نشاهد اربعة صفوف مختلفة : الصف الأول لحورس واحد الآلهة في منظر مهشم ، والصف الثانى للملك (مهشم) امام احد الآلهة والمنظر الثالث للملك وهو يقدم الزهور للاله جب والاله نوت ، والمنظر الرابع للملك يقدم البخور والهدايا المقدسة الى الاله اوزوريس والالهة ايزيس مع الاله

حورس ، وفي أسفل بقايا لمناظر مهشمة لاله النيل عبارة عن زخرفة بينهـا نصوص وكتابات باللغة الهيروغليفية واربعة صفوف مختلفة للملك واقفـا امـام اله وآلهة (مهشمة) ، ومنظر آخر يقدم اناء للعطور على شكل ابو الهول الى الاله بتاح والالهة سخمت ، ومنظر يقدم خوذة الى الالهة مين والالهة ايزيس ، ومنظر آخر يقدم العين المقدسة الى الاله شو والالهة تفنوت وفي اسفل نشاهد الملك ووزرائه اثنين من آلهة النيل وآلهات الحقل ونصوص مهشمة لبقايا كتابات ، اما الوجه الداخلى وعند الكرانيش نشاهد مناظر مكررة للملك يقدم دهانا للعين للاله حورس الكبير ومنظر آخر يقدمها الى الاله سوبك والاله حتحور ومنظر ثالث يقدم الهدايا الى الاله حتحور والآلهة خنسو — حورس .

مقصور الاله سوبك :

هـذه المقصورة وهى آخر مانشاهده في معبد كوم امبو من عصر ايبك كاراكالا ، وقدعثر فيها على تمثال من الجرانيت الوردى لاحـدى زوجـات تحتمس الثالث وهو موجود حاليا بالمتحف المصرى .

ليس هناك بعد ذلك اى شيء ذو اهمية بين كـوم امبو واسـوان غير محجران من محاجر الأحجار الرملية عند منتصف الطريق بينهما حيث كانت تستخدم قديمـا في العصور البطليمية ، وهناك أيضا بعض النقوش القليلة على صخور مختلفة ومن بين هذه الصخور صخرة واحـدة تحكى نقوشها عن الحكم المشترك لتحتمس الثالث وحتشبسوت ، وعلى الضفة الغربية تـوجـد ثلاثة مقابر خالية من اى شيء ومعظم حوائطها مهشمة ولكن فيما عدا ذلك لانجد شيء جدير بالملاحظة وحيث انتهينا الآن من زيارة معبد كوم امبو الفخم والعظيم في كل شيء حتى في ازدواجه الرائع .

الفصل الرابع والثلاثون

(أسوان وايليفنتين : ملاحظات تاريخية)

ان اهمية المدن الحدودية في مصر لاتقيم بضخامة وروعة الآثار المنبفيه من الأيام الغابرة . ففى الواقع أن بعض هذه الآثار ذو اهمية كبيرة كما سنرى ، ولكن اهميتها لاتتمثل في ذلك المبنى الرائع ذو الفن الجميل . ولكن هناك شيء قليل نسبيا في اى من هذين البنائين ، في اسوان او ايليفنتين ، .

لقد نشأت في هذه المنطقة في وقت من الأوقات معابد جميلة ورائعة ومن بينها معبدا وان كان صغيرا نسبيا الا انه يمتاز بجمال عجيب وسحر خلاب ولكن كل مابقى من هذه المعابد في أسوان هو معبد ايزيس القديم غير المستكمل وهو معبد غير جميل بدىء العمل فيه، ولكنه لم يستكمل على الاطلاق من جانب بطليموس الثالث (يورجيتس الأول) .

وبطليموس الرابع (فيلوبيتور) ، ومدافن بارونات ايليفنتين ،عظيمة ، وهى وان كانت ذات اهمية تاريخية لاتبارى ، الا انها ليست ذات اهمية فنية كبيرة تساوى قيمتها التاريخية .

ان جانبا كبيرا من هذا السبب لكل ذلك ، يتمثل في ان اهمية هذا المكان ليست على جانب كبير من الأهمية لأى مدينة مستقرة عظيمة تعتبر مستودعا أو محطة حدودية هامة حيث تلتقى النوبة ومصر لتبادل منتجاتها مع منتجات الشمال الأكثر تحضرا .

وحيث كانت تشن حملات تأديبية بين وقت وآخر فى الفترات التى تتعطل فيها التجارة ، حيث تسير جنوبا مجتازة عقبات الكاتاراكت (الشلال) الأول ، أو العودة شمالا مظفرة بعد حملاتها . كانت اسوان وايلفنتين . مى

اثناء فترة الأيام العظيمة للمملكة القديمة ، تمثل الخط الفاصل بين الحقيقة الجامدة والمريحة وبين الرومانسية .

وتقع وراء الشلال الصحراء الكبرى التى تمتد حتى افريقيا الاستوائية . وكانت المملكة القديمة ، بالنسبة الى المسافر او المحارب يتم الوصول اليها بواسطة طريق متجه الى الجنوب ويؤدى الى بلاد العجائب حيث يمكن أن يحدث أى شيء .

تماما كما كانت الطريق الى الشمال في أيام الأمبراطورية الجديدة . التى تؤدى الى بلاد مابين النهرين والمجهول العظيم حيث كانت العجائب تحدث كل يوم . وحيث كانت الأنهار العظيمة تجرى في الاتجاه المضاد للاتجاه الذى يسير فيه نهر النيل .

وحيث كان الأمراء يحتفظون بقلاعهم ومعابدهم فى قلاع هائلة ذات نوافذ عالية على قمة صخرة ضخمة ويقدمون الذهب والهدايا كجائزة للرجل الجسور الذى يستطيع ان يتسلق نوافذ القلعة .

كانت جميع القصص الرومانسية في الأيام الأخيرة للمملكة القديمة قبل بداية انهيارها ، تتركز على هؤلاء البواسل مثل البطل ايليفنتين ، الذى حصل على اسمى القاب التكريم فى تلك الفترة .

وهو لقب قائد القافلة ، ولقب آخر وهو حارس بوابة الجنوب ، لأنه قاد حملة تلو الحملة الى الجنوب المجهول ، اما للتجارة او القتال وفقا للظروف ، أو حينما كانت التجارة تعرقل بصورة فجة .

او حينما كانت قبائل واوات وآرتيت وأيام ، تنطلق شمالا أملا فى غزو مصر ، وتقف عند بوابة الفرعون عاجزة حيث كان القائد يتكلم ويتفاوض مع اعدائه الذين جاءوا لغزو مصر .

ولكن لم يكتب لهم النجاح الا بعد مرور اكثر من عشرين قرنا من الزمان حينما استطاعت اثيوبيا والنوبة اخيرا ان تحقق اهدافهما لفترة قصيرة من الزمان ، وتحتل مصر التى كانت قد غزتهم قبل ذلك .

من كل هذه الآثار لم يتبق سوى النذر اليسير في اسوان وايليفنتين ، اللهمسوى مخطوطات منقوشةعلى مدافن الحراس والنبلاء الذين حافظوا على بوابة الجنوب لساداتهم في ممفيس ، ولكن لابد وان الحياة في هذه المنطقة كانت فى تلك الأيام الخوالى ، حياة ضائعة في غمرة الاهتمامات والرومانسية .

ومع ذلك فأن من حسن حظنا ان الرومانسية مازالت ذكراهـا باقية حتى الآن بفضل السجلات القديمة للمقابر . اذ ليس من المحتمل ان تترك قصة عمليات الكشف القطبية الحديثة اى شيء ملموس للأيام المقبلة اكثر من قصص المستكشفين القدماء لأفريقيا الاستوائية .

ومع ذلك فانه مثلما اعطت حملاتنا القطبية للتاريخ الحديث انفاس الروح الرومانسية التى بدونها يمكن ان تكون هذه الحملات تبدو في الغالب سخيفة ولا روح لهـا ، فان هؤلاء الملوك والأبطال المجازفين من المملكة القديمة قد نفخوا فيها الحياة وبثوا الروح في العظام النخرة للتاريخ المصرى الأول وكتبوا لها ان تستيقظ من جديد ويبعث فيها الحياة .

ان رخاء اسوان الحديث قد دمر حتما او اخفى كثير من الأدلة والبراهين على امجادها القديمة ، ولكن لايمكن لأية تحسينات حديثة تستطيع الآن حرمان العالم من سرد قصة امجادها الأولى ، حينما بدا ساداتها يسجلون قصص تلك المغامرات فى افريقيا الوسطى التى لم تتوقف حتى اليوم .

ان اسوان وايلفنتين تعطيانا مثلا عظيما آخر عن اشياء كثيرة قد أتاحت لنا الفرصة لملاحظتها اكثر من مرة اثناء رحلتنا في النيل — وهو تعايش المدينتين اللتين يفصلهما النيل التى تدين احداهما الواقعة على الضفة الشرقية،

اصلها الى ضروريات التجارة بينما تتمتع الأخرى الواقعة على الضفة الغربية بأهمية بالغة تنبثق من عوامل دينية او عسكرية .

وليس ثمة شك انه في حالة المدينتين ، لاتقع ايلفنتين على الضفة الغربية، وانما على جزيرة في وسط النيل ، ولكن الظروف الحيوية متشابهة .

كانت اسوان هى المدينة التجارية ، اما ايلفنتين فانها تعتبر المركز الدينى والعسكرى في هذه المنطقة . وقد نفترض من موقعها ان ايلفنتين هى التى انشئت قبل اسوان . حيث تحتل مركزا يتيح لهـا موقعا ملائما للغاية لتكون قلعة ضخمة لمجتمعها الناشيء ، راغبة فى توطيد دعائم كيانها فى وجـه الأخطار الخارجية وهذه الأخطار تتمثل اما من الوحوش المفترسة او الرجـال الأكثر وحشية وكان هذان الخطران ، اى الـوحوش والرجـال ، منتشرين بشكل كبير حينما انشأت القبيلة المصرية الأولى شعارها على الجزيرة .

والى هذا الشعار ، الذى يتصور السيد ويجال الباحث والمستكشف انه على شكل فيل ، يعود ، كمـا يعتقد ويجال الى اصل تسمية المكـان باسمها الأصلى . ويعتقد آخرون ان الأسم قد اطلق على هذا المكان لأن المصريين كانوا اول من رأى الفيل الافريقى .

ولكن ليس ثمة حاجة الى التناقض بين هذين الاشتقاقين وقبل ان تتخذ قبيلة الفيل المصرية شكل هذا الوحش الضخم شعارا لها ، فانه لابد ان تكون القبيلة قد رأته فى مكان ما . وليس هناك مكان اكثر احتمالا من هذا ، حيث تلتقى مصر واثيوبيا .

وحيث كان صيد الفيل وتجارة العاج ، شائعين في تلك الأيام البدائية كمـا كان التمساح الذى اختفى بعد أن كان يوجـد بكثرة في تلك الأيام حينما بنى المعبد في كوم اومبو تكريما له ؟؟ وقد يكون الاشتقاقان صحيحين .

وانه لما كانت الفيلة شائعة في هذه المنطقة ، حيث تؤيد ذلك رسومات عديدة في عصور ما قبل التاريخ ومدونة على الصخور في هذه المنطقة ، فـان

ذلك يؤيد احتمالا كبيرا في قيام قبيلة مستوطنة على حدود بلاد الفيلة تقوم باستخدام شكل وحش قوى كرمز وعلم لهـا .

ان قبيلة فيلة ، التى يحتمل ان اخذت اسمها وعلمها من موقعها على حدود بلاد الفيلة ، قد استقر بها المقام في الأزمان القديمة في جزيرة كبيرة تسميها الآن ايلفنتين التى تقع فى وسط النهر قبالة مدينة اسوان الحالية .

وسرعان ما اصبحت هذه الجزيرة والمدينة التى بنيت عليهـا تعرف باسم - ييبو - فيل . وحينما وجدت القبائل النوبية الواقعة الى الجنوب انها لا تستطيع ان تطرد أو تقتل الدخلاء الذين احتلوا موقعا لايمكن مهاجمته، بدأت تتلمس فائدة الاتجار والتعاون معها .

ولهذا الغرض نشأت قلعة كبيرة على البر اكثر ملاءمة من اماكن كثيرة فى الجزيرة . وبعد انشاء هذه القلعة على الجزيرة ، انشي ماسمى سون ـــ"Swn" الذى ربما يعنى « سوق » ، وربمـا كان المصريون يلفظونه سوانى ـــ"Swani"

وقد عدل الأغريق هذه الكلمة حينما اطلقوا على هذا المكان اسم سيينى "Syene"ـ وكان النطق القبطى له قريبا من الأصل وهو - سوان ـــ"Swan"ـــ

لم يمض وقت طويل قبل ان يجد الفراعنة النشطين المنتمين للأسرة الأولى المزايا الطبيعية التى يتمتع بها هذا المركز الأمـامى لمملكتهم الموحـدة الجديدة وكان ملاءم وحاجز طبيعى للصخور البلورية الصلدة الذى كـان يمنع اندفاع النيل وادى الى تكوين وجود الشلال الأول .

وهو يطرح احجار الجرانيت الحمراء والوردية والرمادية وكذلك احجار الديوريت وغيرها من انواع الأحجار الصلدة التى كانت بالغة الأهمية لبناء المقابر والمعابد والأهرامات لجنس كان مقدرا له أن يكون من اعظم شعـوب العالم القديم في مجال الحضارة والبناء ولذلك لم يهملوا هذه المنطقة .

وبحلول وسط عهـد الأسرة الأولى رصف ارضية مدفن الملك دن سم تى في ابيدوس بأحجار الجرانيت الحمراء وبعد ذلك بوقت قصير استخدم الأميرحاس

ام وى من الأسرة الثانية بعض الصخور الجرانيتية لتشييد عتبة كتف باب لبناء معبده المكون من كتلة من الجرانيت الرمادى الأسوانى الذى وصفه بلينى — (Pliny) فيما بعد ب « السيانيت » ، مشتقا من الاسم الأغريقى للمكان الذى وجد فيه .

وبالطبع اصبح حجر الجرانيت الأحمر والرمادى والأسوانى ، وبخاصة الأحمر ، شائعا الاستعمال دون غيره من الحجارة عند الحرفيين في المملكة الوسطى والأمبراطورية ، ولكننا بالفعل نستطيع أن نشاهد اعمالهم ونرى شهرتهم معروفة لهؤلاء الفراعنة الأوائل .

ومع نهوض الملوك العظام من بناة الأهرامات في ممفيس ، دخلت اسوان عهدا جديدا من الرخاء . ومع ان البناءين المصريين لم يستخدموا الحجارة الصلدة الى الحد المتصور احيانا الا انهم كانوا يستخدمون الحجارة الجيرية والرملية في معظم اعمالهم .

ومع ذلك فان الاستخدام الفعلى المحدود لها لابد أن يشمل نشاطا كبيرا وضخما في المدينة التي جاءت هذه الحجارة من منطقتها . وجدير بالذكر ان كمية كبيرة من احجار الجرانيت قد استخدمت بالفعل في بناء الهرم الكبير والهرم الثانى .

وبخاصة في عمليات التبطين والتجهيزات النهائية الأخرى ، وقد ذهب ما يسيرينوس "Mycerinus" الى حد القول بأنه قد تم تبطين الهرم الثالث كله بالجرانيت ، وان كان هذا الهرم لم يستكمل العمل فيه ولم تصقل حجارة الجرانيت التى استخدمت فى عمليات التبطين

وعليه فاننا يجب أن نتصور أن صناعة المحاجر في اسوان في تلك الأيام كانت مزدهرة ، حيث تستخدم عددا كبيرا من العمال الدائمين بالاضافة الى المجموعات الخاصة منهم الذين كانوا يكلفون بالعمل حينما يكون الفرعون الحاكم بحاجة اليهم للقيام بالمهام الكبيرة المطلوب منهم تاديتها

وكانت هذه المجموعات عادة تعمل تحت اشراف واوامر مسؤول كبير في البلاط والذى كان احيانا يترك اسمه في المخطوطات المنقوشة فى المنطقة . ومن هؤلاء المسؤولين خوفو — أنخ الذى نقش اسمه على صخرة ضخمة بالقرب من الطرف الجنوبى لجزيرة ايلفنتين .

والى جانب ذلك ، بدأ الفراعنة بالفعل يعلمون ، كما علمنا نحن في عصرنا، مزايا السودانيين والنوبيين كجنود الألوية السوداء الذين اصبحوا فيما بعد العمود الفقرى للجيش المصرى .

ولذلك فانه ينبغى لنا أن نفكر في المدينتين لا كونهما المركز الوحيد لصناعة المحاجر الكبيرة فحسب ، وفي اسوان بل بالاضافة الى ذلك ، كمستودع كبير بين مصر والسودان ، ولكن لعل ايلفنتين كانت أيضا محطة عسكرية هامة حيث كانت تتجمع فيها الكتائب النوبية وتدرب على عملها الجديد .

اننا وفقا لهذه الحقائق نجد الآن أن « بارونات » ايلفنتين بداوا يتبوأون مركزا هاما فى تاريخ أسوان التى لم يكن أى شيء فى تاريخ هذه المنطقة السابق يمكن أن يحملنا على توقع حدوثه .

لقد اتيح الآن لأسوان وايلفنتين فرصتهما ، وانتجتا ، كما يحدث فى الغالب، وفىالوقت المناسب، الرجال الشداد المدربين الذين اصبحوا قادرين على انتهاز الفرصة التى وضعها القدر تحت اقدامهم . اننا الآن نبدأ في ترجمة حياة « لوردات » الحدود ، أو المشرفين على جحافل الفرعون والتى تشكل وتوضح التاريخ أثناء البقية الباقية من قصة المملكة القديمة .

ولولا مخطوطات مدافن « بارونات » ايلفنتين ، لكان تاريخ مصر أثناء الأيام الأخيرة للملكة القديمة عبارة عن قراءة مملة غريبة ولكن هير خوف وسابنى وزملائهما الآخرين من المجازفين يبعثون فيها روحا رومانسية جديدة لا نستطيع أن نغفل صياغتها في صور ممتعة وجميلة .

ونبدأ مع حكم الأسرة **الخامسة** فى ايجاد ادلة مخطوطية على المكانة التى بدأت الحدود الجنوبية تتبوأها فى عقول الفراعنة . فقد عثر على كتابات بدائية بمثابة « شخبطة » عن **حكم ساحورى** ، الفرعون الثانى فى هذه الأسرة ، في منطقـــة توماس Tumas ـ في النوبة السفلى .

وتدل هذه الكتابات على ان حملة مصرية قـد توغلت جنوبا في هـذه المنطقة . وكان الأمير **زدكيرى ايزيس** Zedkere Isesi الملك الثامن من نفس الأسرة قـد بعث بحملة بقيادة مستشاره بورديد ـــ Borded ـــ الذى توغل مسـافة اكثر جنوبا .

هذا اذا استندنا الى الاشارة الى هذه الحملة فى رسالة بيبى ـ ("Pepi II") الثانى من الأسرة السادسة ، لأنه قيل ان بورديد جلب معه في عودته عددا كبيرا من احـدى قبائل الاقزام التى تقطن غابات افريقيا الوسطى .

ولقـد ترك اوناس ("Unas") خليفة ايزيس ، وربما آخر ملك من ملوك هذه الأسرة . اهم لوحة حجرية على صخرة جرانيت في جزيرة ايلفنتين ، وفيما نحن لسنا بحاجة الى قراءة كثيرة لهذه الكتابات المبعثرة ، فان من الواضح انه حتى القيام بزيارة عرضية من جانب فرعون الى الحدود الجنوبية ، او حملة يقودها مسؤول هام في البلاط ، لابد وان تكون قد اضافت كثيرا الى النشاط المتزايد للمدينتين .

على اننا لم نبدأ في العثور على تراكم ادلة على اهمية الحدود الجنوبية الا مع قيام الأسرة **السادسة** . لقد بعث تيتى ـــ (Teti) ـــ اول فرعون لهذه الأسرة ، حملة جديدة الى منطقة توماس ، الواقعة على بعد مائة وعشرين ميلا جنوبى الشلال الأول .

ونجد ان المرتزقة النوبيين ، تحت حكم بيبى الأول ، الفرعون القـوى الشكيمة والباسل ، بدأوا يشكلون في الجيش المصرى القوى الضاربة التى كانت تدفع الى ميدان القتال من وقت لآخر .

كان المواطن المصرى جنديا شجاعا من النمط الروتينى ، حينما يقوده قائد ماهر ، ولكنه لم يكن يبدى اقل علامة من علامات الابتهاج في المعارك التى يمتاز بهـا المحارب السودانى .

ونتيجة لذلك ، فانه حينما كان فرعون من الفراعنة يريد ان ينفذ امرا خطيرا في مجال القتال ، فانه كان يستدعى الكتـائب السـودانية العاملة في جيشه . ولذلك فان شخصية يونى-(Uni)-احـد رجال الملك بيبى المخلصين قـد صدرت له اوامر لتنظيم قوة كبيرة للقيام بحملة ضـد « سـكان الرمال الآسيويين » .

ولقد توجه يونى الى الحدود لتشكيل جيشه . وجاء فى كتاب المؤرخ بريستد تحت عنوان ـــ ("Ancien Records 1, 8311") ـــ على لسـان يوني : ان «جلالته بنى جيشا كبيرا من عشرة آلاف مقاتل فى الجنوب كـله جنوبا الى ايلفنتين وشمالا الى افروديتوبوليس وهى منطقة تمتد . بين قلاع الزنوج من قبائل المـازوى وايام ("Iam")وواوات وبين زنوج كاو-("Kaw") وفي بلاد تيميه ــ("Temeh") .

كانت القوة كلها التى كونها يونى ، تتالف من الزنوج وان بعض الجنود ان لم يكن زنجيا كان ليبيا تيميا ("Temeh") لقد بلغ اعتماد الجيش المصرى على المرتزقة النوبيين حدا كبيرا حتى ان الكلمة المصرية التى تطلق على الجندى اصبحت مع مرور الأيام تدعي « ماتوى » وهى تحريف للأسم القبلى مازوى .

ويستطيع المرء ان يتخيل كيف ان اسوان وايلفنتين كانتا نعج بالأعمال الكبيرة في الوقت الذى كان فيه « الجيش المؤلف من عدة عشرات الألوف » من الجنود يتجمع ، وكانت الأعمال تزداد الى حـد كبير حينما كان السودانيون يعودون مظفرين بأسلابهم بعد انتصار ومذبحة لسكان الرمال (الصحارى) .

لقد تكررت هذه العملية خمس مرات في حكم بيبى الأول ، وكان يقوم بهـا دائمـا يونى المظفر ، الذى اثبت انـه قـائد محنك كمـا كان قاضيـا وكاتبا مـاهرا .

حقـا كان يونى شخصية مشهورة في اسوان ، لأن زياراته الأخرى للمنطقة ، وان كانت سلمية الا انها كانت تجلب التجارة في ركابها تحت حكم ميرنرى (Merenre) الذى لم يعش طـويلا ، والـذى خلف بيبى الأول .

وكان يونى قـد اوفد الى اسوان لجلب احجار الجرانيت لاستخدامها في عمليات تجميل هرم الملك . وكـان ميرنرى قـد عينـه حـاكمـا للجنوب ،وقد اصابت ادارته من النجاح ما جعلة قادرا على نقل الأحجار الثمينة فى قوافل نهرية تحرسها سفينة حربية واحدة ويقول بفخر :

« انه لم يحدث ان تمت زيارة ابهات وايلفنتين في زمـان اى ملك من الملوك بسفينة حربية واحـدة » — وهـذه عبارة تساعدنا على ادراك الظروف المضطربة للحياة الحافلة بالأعمال في المحطة الحدودية بالرغم من الرخاء الذى كان سائدا فيهـا .

وقـد عمدا فيما بعد الى الاضطلاع بمهمة حفر خمس قنوات لتسهيل مرور القوارب في منحدرات الشلال الأول ، وهى مهمة اتمها في سنة واحـدة . وقد زار ميرنرى ، الفرعون الشاب ، قبيل وفاته منطقة الشلالات شخصيا ، واحتفل بذكرى هذا الحدث العظيم بمخطوطات منقوشة .

ويظهر ميرنرى مرتكزا على عصـاه مع وجـود رؤساء القبـائل النوبية امامه ويقول المخطوط : « السنة الخامسة ، الشهر الثانى من الموسم الثالث، اليوم ٢٨ . ان قدوم الملك نفسه ، وهو يظهر وراء بلاد المرتفعات ، حتى يستطيع ان يرى ما الذى يحدث في بلاد المرتفعات ، فيما كان يقدم له رؤسـاء قبائل المـازوى وارثبت وواوات فروض الولاء والطاعة ويزجون له الثناء والمديح »

وقــد يبدو واضحا ان فراعنة الأسرة **السادسة قد** انتهجوا الآن سياسة مستقرة لتنمية المنطقــة الحدودية والتى تعتبر زيــارة مــيرنرى لها عــلامة واضحة . وحدث هام اثناء حكم ميرنرى القصير وحيث تبوأ احــد الزعمــاء المحليين مكانا بارزا واصبح قائدا للقوافل ومستكشفا .

وبعد اعتلاء بيبى الثانى العرش ، عين حاكما للجنوب خلفا للحاكم السابق يونى ، الذى كان قد تقاعد او مات . وسنشير الى مغامرات حرخوف عند اضطلاعه بمهامه الخطيرة حينما نتحدث عن مدفنه .

وهذه المغامرات تشكل اهم جزء في تاريخ الاستكشافات الأولى في افريقيا . ويبدو ان احــد وجهاء مدينة ايلفنتين ، واسمه سابنى ــــــ (Sabni) قــد خلفه في هذا المنصب ، وسنتحدث عن اعمال هذا الأخير فيما بعد .

وثمة شخصية بارزة اخرى في تلك الفترة وهى شخصية (بيبى - نخت ، الذى كان من ابرز اعماله الثأر لمقتل احــد زملائه الوجهاء الذى قتله بعض العرب المحليين اثنــاء اشرافه على بناء ســفينة على شــاطىء البحر الأحمر لاستخدامها في حملة الى بلاد بونت ــــ "Punt" .

ان المرء يصاب بدهشة بالغة من روح المغامرة التى ابداها بارونات الحدود في غضون فترة قصيرة من الزمان . واذا قدرنا الظروف التى كانوا يعملون في ظلها . فاننا نقر بانهم يستحقون من التقدير والمديح مــا يستحقه مستكشفى العصر الذى نعيش فيه الآن للمناطق المجهولة من العالم .

ولكن سرعان ما ادى الهبوط والانهيار التدريجى للحكومة المركزية في الأيام الأخيرة للأسرة السادسة الى نهاية مؤقتة لجميع هذا النشاط . ان مركز حاكم البلدان الجنوبية او حارس باب الجنــوب قد انتقل من منطقة بارونات ايلفنتين الى عائلة كبيرة في اسيوط والتى يبدو انها احتفظت به لمدة جيلين من الزمان مما اثار استياء مدينة ايلفنتين التى يبدو انهــا لجأت الى السلاح بسبب حركة الاضطرابات والشغب والاهمال .

ولكنها منيت بالهزيمة على يد منافستها الشمالية . وفي فترة معينة حيث تسود الفوضي في جميع أنحاء المملكة . فان من المتوقع بطبيعة الحال ان تمتد الفوضي الى المنطقة الحدودية .

على ان امراء طيبة من الأسرة الحادية عشرة استطاعوا أن يعيدوا النظام الى نصابة في كل مكان ، ومنهم **منتحتب الثالث من الأسرة الثانية عشر** وقد استطاع هؤلاء الأمراء ان يخلفوا مخطوطات هامة في مقاطعة اسوان في الوقت الذى كان فيه الحكام الأقوياء من الأسرة الثانية عشرة ، قد شددوا قبضتهم على ولاياتهم الجنوبية ، بالرغم من اضطرارهم الى نقل عاصمتهم شمالا الى ايثت - تاوى ــ (Itht-Taui) ــ وراحوا يوسعون نطاق حدودهم تدريجيا الى أن استقر النفوذ المصرى جنوبا حتى الشلال الثالث .

وقد تمثل هذا النفوذ في تعيين الحاكم حبزيفا ، الذى رأينا مدفنه في اسيوط ، حاكما لهذه المقاطعة ، ولكنه دفن في الواقع حسب الشعائر البربرية، بعد مذبحة رهيبة في كيرما ــ (Kerma) ــ وذلك في المنطقة التى كان يبسط حكمه عليها .

لقد وصف امنمحات هذا الزحف وهو يقول في توجيهاته لابنه: «لقد قمت بترويض الأسود واصطياد التماسيح ، وهزمت قبيلة الواوات وغزوت قبيلة المازوى ، وجاء في مخطوطه في كوروسكو مايلى : « السنة ٢٩ ، ملك مصر العليا والسفلى ، سيح تبرى ، الحى الى الابد .

لقد جئنا للاطاحة بقبيلة الواوات » . وقد تقدم الزحف المصرى تحت قيادة ابنه **سينوسرت** الأول ، جنوبا حتى الشلال الثالث ، ومع انه كان يبدو ان هناك حركة تقهقر اثناء حكم **سينوسرت الثاني** الذى ترك لنا سجلا عن عملية تفقد القلاع الحدودية قام بها احد المسؤولين .

على أن التوازن مالبث ان اعيد الى ماكان عليه في عهد **سينوسرت** الثالث، الرجل العسكرى .

كانت اسوان وايلفنتين اثناء هذه الفترة قد تطورتا الى مدينتين لهما اهمية بالغة . وكانتا تشكلان قاعدة كبيرة للعمليات المتعلقة بجميع الحملات على السودان والتى كان يقودها جنوبا الملوك الفراعنة الأقوياء حيث كانت جميع المستودعات والمؤن اللازمة لكل حملة تحمل مع الجنود التى تنقل من السفن التى كانت تحملهم حتى الشلال الأول .

ثم ينقلون الى الشلال الثانى بعد ذلك ، حيث يستقلون السفن المعدة لهم هناك ، أو تستخدم كبديل لذلك حيث يستخدمون القنوات التى شقها يونى (Uni) اذا كانت تستطيع ان تحمل السفن ضد التيار الى الشلال ، وكانت هذه المنطقة تشهد نشاطا كبيرا أثناء مرور الجيش وعودته .

وبالاضافة الى ذلك ، كانت اسوان مخزنا للجزء الأكبر من الجيش الذى كان يتألف غالبيته من الوية سودانية وزنوج ولذلك فاننا لسنا بحاجة الى أن نعجب من أن نرى زعماء ايليفنتين يتبوأون من جديد مراكز سامية حيث تقلد زعيمان من هؤلاء باسم سيرنبوت ، منصبى حاكم أراضي الجنوب وحارس باب الجنوب .

وجدير بالذكر أنهم في الأيام الأولى لهذه الأسرة بنى السور الكبير الذى مازال يمكن رؤيته في اسوان . وقد اقيم هذا السور لحماية المكان من هجوم النوبيين ، على أن الانتصارات العسكرية التى حققها سينوسرت قد استبعد أى حاجة الى استخدامه .

لقد تم تجنب النقل الطويل عند الشلال الأول ، أو سحب السفن في قنوات (يونى) القديمة ، في أوائل حكم سينوسرت الثالث بعد شق قناة جديدة (وقد لاتفهم من ذلك على انها قناة كالقنوات الحديثة ، وانما هى بمثابة تعميق جزء من ممر وتسويته لتسهيل سحب السفن بسهولة) .

ولقد تم احياء ذكرى هذا العمل بوجود مخطوط منقوش في جزيرة سحيل (Sehel) التى سنأتى اليها فى حينه . والظاهر أن القناة الأولى لم تكن عملا ناجحا

تمام النجاح ، لأنها احتاجت الى عملية تطهير من جديد في السنة الثامنة من حكم سينوسرت — وقد سجل هذا العمل في نقوش كثيرة في الجزيرة نفسها .

وكانت هذه المرة قد تم فيها العمل بصورة ادق واشمل لأنها ظلت صالحة للاستعمال مدة تتراوح بين ثلاثة واربعة قرون وان كانت قد اجريت فيها عملية تطهير في عهد تحتمس الأول وتحتمس الثانى حينما كانا يبحران جنوبا في حملات كالحملات التى قام بها سينوسرت .

على ان الأهمية العسكرية لهذه المقاطعة لم تكن الوحيدة التى تستحق الذكر . فمنذ اقدم العهود كانت منطقة اقليم الشلال قد ادت الى نمو عقيدة دينية جديدة وهذا امر طبيعى .

كان الالة العظيم للمقاطعة واحدا من اشهر الآلهة في البنتيون (هيكل كل الآلهة) ، وهو خنوم الذى لم يكن الاله الوحيد لاقليم الشلال فحسب ، وانما كان أيضا من الآلهة الخالقين الذى تقول عنهم الأساطير انهم هم الذين خلقوا العالم كل حسب طريقته .

وكانت طريقة خنوم تتمثل في عجلة الخزاف (صانع الفخار) التى شكل عليها الأرض والرجال الأوائل . وهو كاله خالق كان يسكن في الشلال وكان حكمه على المنطقة هو الأعلى .

ولكن النبوغ الدينى المصرى الذى انتج آلهته الكبيرة . مع الهين آخرين اللازمين لتشكيل الثالوث المقدس الذى كان يمثل الوحدة العادية للعبادة المحلية . وكان لخنوم مثل الآخرين ، له ثالوثه المقدس . ولكن في حالته هذه كان الثالوث يتشكل منه ومن آلهتين اخريتين وهاتان الالاهتان هما ساتت وأنوكيت اللتين كان نسبهما موضع تخمين كثير ولكن لم يعرف عنهما سوى النذر اليسير .

كان خنوم ، العضو الرئيسي في الثالوث حيث يتمثل براس كبش واختار الكبش كحيوانه المقدس . وكانت اهميته لم تقتصر على المحيط المحلى وانما كانت شهرته كاله خالق شهرة محلية .

ولكنه كان دائما يحتفظ بمكانة من الاحترام من جانب شعب مصر ، وذلك مرده الى الاعتقاد بانه المانح او المانع للفيضانات الطيبية التى كانت تعتبر العامل الرئيسي فى رخاء البلاد كلها . وسوف نشاهد قريبا دليل قوة هذه الخرافة واهميتها فى مخطوط منقوش مزور فى جزيرة سحيل (Sehel) .

واعقبت فترة الرخاء التى شهدتها المملكة الوسطى سلسلة من الكوارث والفوضي التى انتقلت عدواهـا الى الولايات الحدودية ، حيث كان خضوعها للهكسوس الغزاة لم يكن كاملا كمـا كانت الولايات الشمالية للمملكة .

ولم تكن الأموال والامدادات والرجال تأتى الى هذه المنطقة فى مثل هذه الفترة لممارسة الحياة في الجنوب او القيام بمشروعات البناء ، كما نتخيل ان اسوان وإليفنتين قـد مرت عليهما ايام عصيبة اثناء اغلاق المحاجر ولم تستخدم الحملات العسكرية هذا المكان كقاعدة لها كمـا كانت السوق النوبية مضطربة كغيرها من بقية مناطق المملكة .

ولكن مع الانتصار على الهكسوس وقيام الأسرة الثامنة عشرة ، انبثق فجر عهد جديد من الرخاء في المدن الحـدودية . وبعد ان تغلب الملك احمس الأول على الهكسوس ، انبرى الى اعادة تاكيد سـيطرة مصر على القبـائل النوبية بعد ان كانت هذه السيطرة اسمية ومعلقة اثناء فترة الفوضي ويروى لنـا احمسى ، ابن ايبانا ، كيف انه ميز نفسه في هذه الحملة التى « مضي فيها صاحب الجلالة في القيام بمذبحة بين البدو النوبيين » .

وراحت إسوان وايلفنتين من جديد تشهدان أساطيل وجيوشا كثيرة تمر فى النيل وتعبر في الشلال ، كما كانت تشهدان انشاء المخازن والمستودعات .

وقد نحا **تحتمس الأول** نحو احمس وتتبع خطاه ، واكتسب احمس ، ابن ايبانا ، آخر درجة له في الرتبة البحرية لقيادته الحكيمة للسفن في النهر والمرور فى الشلال ، فى مياه مضطربة .

اما تحتمس فقد وصل جنوبا حتى الشلال الثالث ، وعند عودته اتجه شمالا وجلب معه جثة الزعيم النوبى الذى ذبحة بيده وكانت الجثة تتارجح في مقدمة السفينة – وهنا – مثل على وحشية الحروب التى لم تهدأ الا بعد فترة طويلة .

وقد توقف عند الشلال الأول لفترة وجيزة ، وعين مسؤولا جديدا له حاكما للجنوب في المنصب الوراثى الذى كان يتوارثه وجهاء ايلفنتين ، مع لقب « ابن ملك البلدان الجنوبية » او « ابن كوش » . وقد تلقى المسؤول الجديد امرا بتطهير القناة القديمة التى كان قد شقها سينوسرت الثالث والتى طغى عليها الطمى .

وقد انجز توزى (Thure) « ابن الملك كوش » المهمة وترك مخطوطا منقوشا يروى مغامرته التى تمت في جزيرة سحيل : « السنة الثالثة ، الشهر الأول من الموسم الثالث ، اليوم ٢٢ ، في ظل حكم جلالة ملك مصر العليا ومصر السفلى وهو او خبر كيرى الذى أعطى الحياة .

ولقد أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجد انها طمرتها الحجارة بحيث جعلتها غير صالحة للملاحة . وقد ابحر عليها وانشرح صدره وذبح أعداءه : ابن الملك تور » – (Breasted, op. cit. II, 75) .

ان هذا المنصب الجديد لمسؤول كبير فى البلاط للقيام بمهام منصب كان يشغلة في السابق مسؤول من كبار الشخصيات المحلية . يعتبر ايذانا بانتهاج فراعنة الأمبراطورية سياسة جديدة تستهدف استبدال السيطرة البيروقراطية على الحكومة المحلية المؤلفة من عائلات كبار الشخصيات وأمراء الأسر الكبيرة ، والتى ثبت انها تؤدى الى اضعاف السيطرة الملكية .

وقد اسفرت هذه السياسة في اسوان وايلفنتين عن اختفاء أسماء النبلاء والأمراء المحليين من سجلات التاريخ والذين قاموا بدور مشرف في تطوير الولايات الجنوبية . ومنذ ذلك الحين لانجد اسماء شخصيات تدعى حار خوف وبيبى نخت ، في سجلات البلاد .

وكتعويض لهذه الخسارة الالهية، دخلت المنطقة فى مرحلة جديدة من الرخاء لم تعرفها من قبل . وقد خلف تحتمس الأول ابنه تحتمس الثانى ، الذى وان لم يكن غزا النوبة شخصيا ، الا انه على الأقل بعث بحملة الى الجنوب وجاء هو نفسه الى اسوان ليتلقى استسلام وخضوع الرؤساء النوبيين .

امـا حتشبسوت التى لم تشن حروبا ، فقد استمرت في العمل في محاجر الجرانيت من أجل عمل مسلاتها العظيمة وزخرفة معابدها . وقـد اجرى تحتمس الثالث اعماله فى آسيا ، ولكنه في حملته على النوبة التى قـام بهـا فى السنة الخمسين من حكمه الملكى مر في الشلال كما فعل اسلافه وصادف نفس المتاعب التى قابلوها من قبل ذلك لأن قناة سينوسرت الثالث قد طغى عليها الطمى والحجارة خلال هذه الفترة بالرغم من تطهيرها في عهد تحتمس الأول . ونتيجة لذلك لم يعمل على ضمان تطهير هذه القناة فحسب، وانما لصيانتها السنوية . « لقد امر جلالته ان تحفر هذه القناة وتطهر بعد ان وجد انها مملوءة بالحجارة بحيث لم تستطع اى سفينة ان تعبرها .

ولكنه بعد تطهيرها وتنظيفها قام بعبور القناة وهو منشرح الصدر « وبعد ان ذبح اعداءه » . « ان اسم هذه القناة هو : « افتتاح هذا الطريق في أكاد ــ ــــ منخ بيرى الحى الى الأبد !! « وسيقوم الصيادون في ايلفنتين بتطهير هذه القناة كل سنة » ــ (Breasted op. cit. II 650) .

على أن معظم الأنشطة شبه الحربية التى كان يمارسها تحتمس ، كانت تعتبر اقل مساهماته في رخاء وتعمير منطقة الشلال . ويندر ان تكون المحاجر

اكثر ازدحاما بالأعمال منها في تلك الأيام حينما كانت المسلات الضخمة تقتطع من صخور الجرانيت في اسوان وترسل الى كل جزء من مصر .

ولعلنا ينبغى ان نستند الى هذه الأعمال تجنب عملية تخطيط العمود الضخم الذى مازال قابعا في محجر عند اسوان ، لابسبب استحالة استخراج كتلة حجرية ضخمة من هذا القبيل ولكن ظهرت به عيوب كثيرة فى هذا العمود اثناء تقدم العمل فيه . ان صناعة المحاجر في عهد رمسيس الثانى يمكن انتكون قد بزت هذه الصناعة في عهد تحتمس الثالث ، ولكن لم يكن ذلك المكان يعج بالنشاط والعمل المستمر في اى فترة من الزمان غير هذه الفترة .

ولم يستخدم الملك منطقة الجرانيت من أجل الأعمال في كل مكان فحسب وانما اتجه ايضا الى تجميل ايلفنتين بمعبد جميل الذى تهدم في عام ١٨٢٢ ، على يد الحاكم المحلى الذى استخدم حجارة هذا المعبد لتزويد احد المباني والقصور في عصر محمد على .

وقام امنوفيس الثانى ، ابن تحتمس وخليفته ايضا بأعمال البناء هنا ، ولكنه يذكر بصورة رئيسية بعض الأعمال الوحشية التى ارتكبها عند نهاية حملته الآسوية وذلك بارساله لجثمان رئيس آسيوى اسير لتعليقها على اسوار ناباتا — (Napata) في الجنوب .

وقاد تحتمس الرابع حملة كبيرة عبر اسوان الى النوبة ، وأننا اذا صدقنا المخطوط المنقوش على الصخور فوق الشلال والذى يحدثنا عن هذه الحملة . لعلمنا أنها انجح حملة مظفرة قام بها الفراعنة : حيث مضي الملك يشق طريقة في النيل مثل أوريون « صياد خرافي رومانى الذى احبته ديانا » ، واضاء الجنوب بجماله ، وكان الرجال يحمدون له عطفه والنساء يرقصن فرحا بقدومه » .

ولنا ان نشك فيما اذا كان هذا العمل حقا حافلا بكل هذه البهجة ، وخاصة نظرا للاشارة التي وجدت في تل العمارنة والتى تشير الى هذه

الحملة بالذات ، والتى يبدو انها تدل على أنها قد تركت انطباعا عظيما على الخيال المصرى — ليس بسبب نجاحها ، وانما بسبب بعض الأخبار المروعة التى صاحبتها .) —— (Breausted, op. cit. II, 828 : But see also Davies, Rock Tombs of El Amarna, V. pp. 30, 31) .

ومع بداية حكم امنوفيس الثالث وحملته النوبية العظيمة التى رسمت حدود الامبراطورية المصرية حتى جنوب الشلال الرابع ، لابد أن يكون رخاء اسوان قد بلغ ذروته . لقد كان امنوفيس مثل تحتمس الثالث ، جده الأكبر، بناءاً عظيماً حيث كانت الامدادات له مستمرة فى تزويده بأحجار الجرانيت التى كانت الحاجة اليها شديدة لتشييد المبانى الفاخرة الذى كان يبنيها فى جميع انحاء مصر وخاصة في الولايات الجنوبية . ،

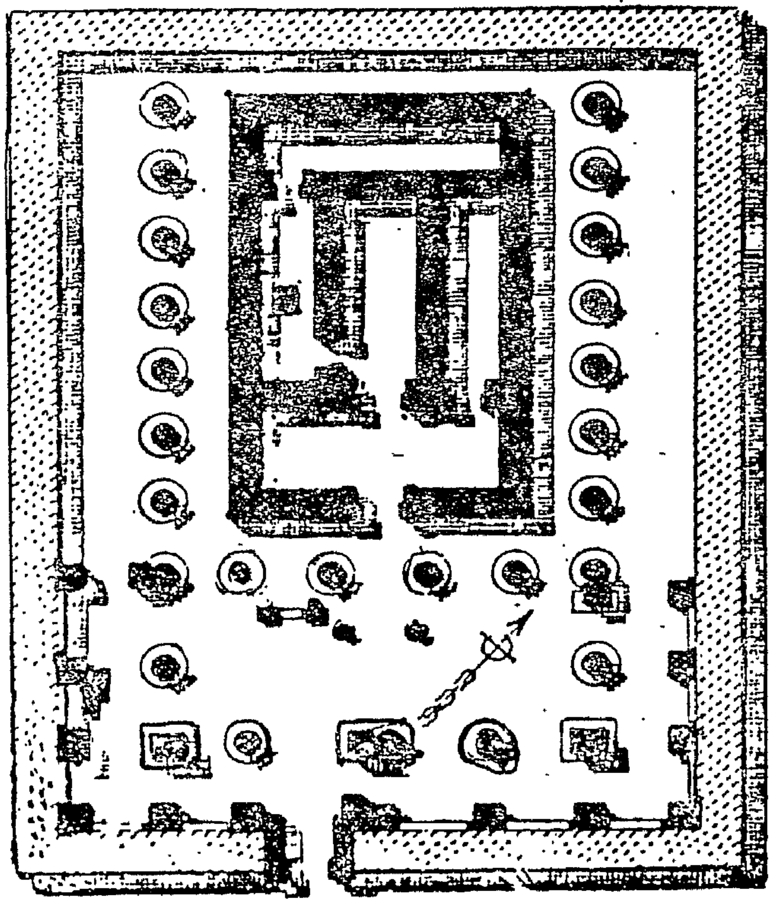
وقد بنى فى سولب —Soleb وسيدنيجا (Sedeinga) —— فى النوبة وفي منطقة بوهن(١) معابد هامة وجميلة يعتبر أولها واهمها وهو أكبر معبد مصرى بنى فى بلاد النوبة .

وفي ايلفنتين ، أضاف الى المعابد خنوم ، الاله الخالق واله الشلال . وكان حجم المبنى يبلغ حوالى ٤٠ قدما × ٣٠ قدما وارتفاعه ١٣ قدما ،وكان ذا تصميم هندسي جميل ، حيث يقترب من طراز يسمى فى الهندسة المعمارية الاغريقية « بالمعبد الدائرى » المحاط بأعمدة ولكن للأسف الشديد قد دمرت هذه « الجوهرة » الصغيرة ايضا على يد حاكم محلى قصيرة النظر حيث وجد احجاره مفيدة جدا لاستكمال بناء قصر محمد على في اسوان.

والى جانب الأعمال التى تمت بفضل الأنشطة البنائية الملكية ، العظيمة فانه لابد ان تكون اسوان قد تمتعت برخاء وفير كمركز هام للصناعة فى مناجم الذهب وكمخزن لقوافل الذهب التى تأتى من النوبة محملة بسبائك الذهب كجزء من جزية او اتاوة من الولاية .

---

(١) يقال ان هذا المعبد قد بدأ العمل فيه فى عهد حتشبسوت العرش وان البناء الأساسي قد شيد فى عهدها ، وقد اضاف تحوتمس الثالث زوج الملكة حتشبسوت وخليفها بعض الاضافات والاصلاحات وازال بعض الخراطيش التى تتعلق بزوجته .

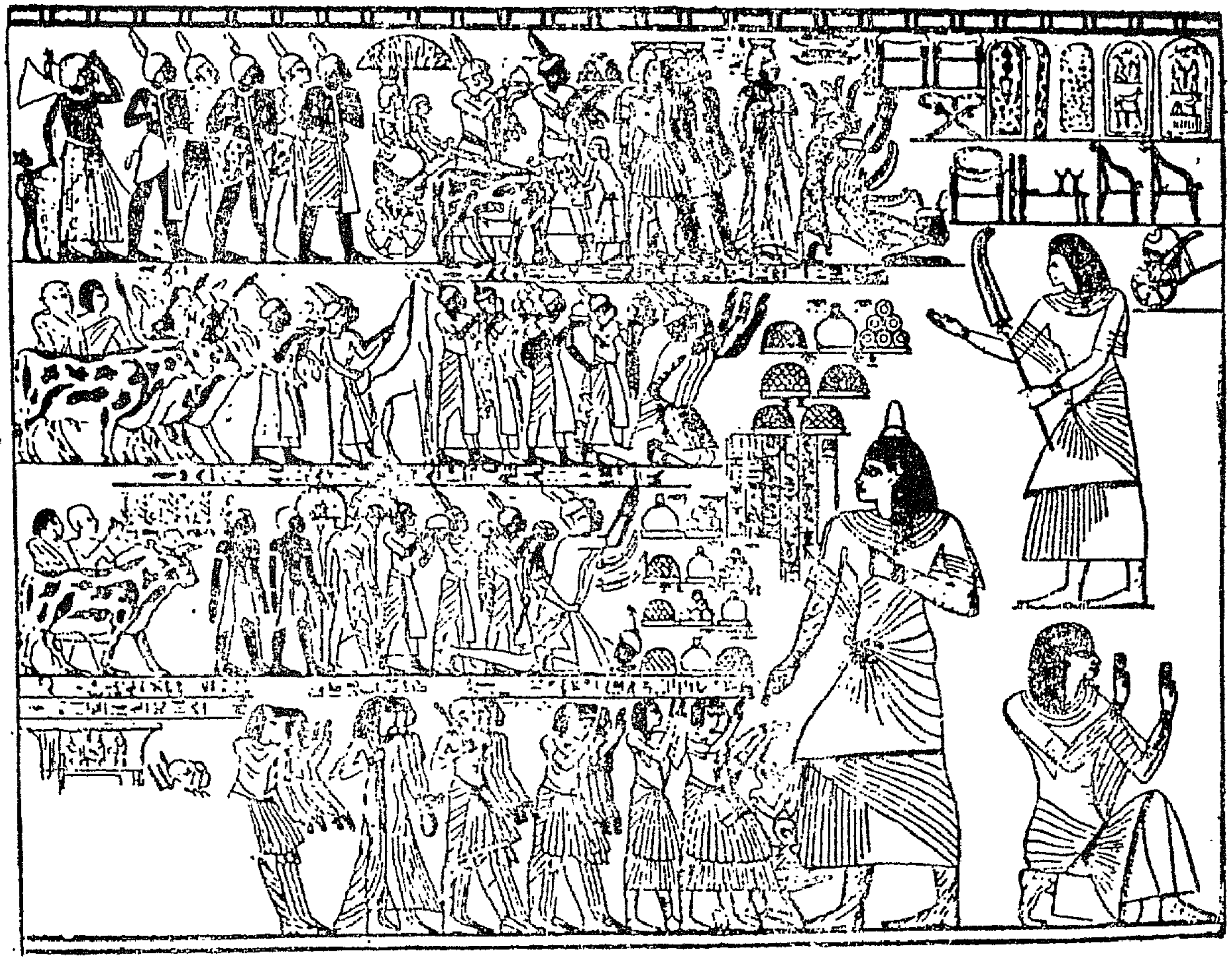


(شكل رقم ٥٢)

رسم تخطيطي لمسقط معبد « بوهن » في النوبة قرب اسوان وقد بنى في عهد الملكة حتشبسوت واستكمل واضاف اليه تحتمس الثالث وهو ذو مقصورة مقفلة ومسقوفة تحوى قدس الأقداس وعدة حجرات جانبية وافنية امامية ذات اعمدة مستديرة وهذا البناء له ممران على جانبيه ولكل جانب ممر ذو اعمدة مستديرة ويحيط المعبد كله جدار من اللبن له مدخل من الناحية الشرقية . كما توجد أسماء تحوتمس الأول والثانى حيث تظهر منقوشة على الرسوم .

* * *

كان ذلك هو الوقت الذى كان سادة الشرق القديم يطالبون امنوفيس الثالث باستمرار بيدايا وعطايا من الذهب ، زاعمين كذريعتهم الرئيسية كقولهم : «أن الذهب في اراضي أخي شائع شيوع الغبار» . وليس ثمة شك في أن جانبا كبيراً من الغبار الذهبى كان يتجة الى ايليفنتين فى اثناء نقله عبرها وان المرور المستمر لقوافل الذهب لابد انه كان يعنى وفرة العمل للمتعاملين بالذهب فى اسوان وايلفنتين .



(شكل رقم ٥٣)

(ملكة قوش وحاشيتها يحضرون الهدايا والقرابين الى ملك مصر (من مقبرة
حوى بطيبة من عهد الملك توت عنخ آمون)

وبطبيعة الحال لم يستمر هذا المستوى الفخم من الرخاء اثناء حكم اخناتون المأساوى أو الحكم المضطرب القصير لخلفائه ، مع اننا كما شاهدنا في مدفن حوى - (Huy) - في طيبة ، ان الجزية يبدو انها كانت ترد من الجنوب اثناء حكم توت عنخ آمون . ولكن قيام الأسرة التاسعة عشرة ، وفوق ذلك كله ، انشطة رمسيس الثاني البناء العظيم واللص الأعظم لمبانى الملوك والأمراء الآخرين . قد اثلجت قلوب رجال المحاجر في اسوان مرة أخرى .

وليس هناك شك في ان الجانب الأكبر من أعماله قد تم بأحجار رملية ، ولكن الجرانيت كانت ثمة حاجة مستمرة اليه لصنع المسلات والتماثيل ، وان كانت اسوان قد شعرت أن عصرها الذهبى قد عاد اليها من جديد .

وقد بنى رمسيس الثانى معبدا آخر في ايلفنتين مازالت آثاره واطلاله باقية حتى الآن . وترك ابنه منفتاح تمثالا لنفسه في ايلفنتين وجاء بعده فراعنة لاحقين في ذلك العصر مثل سبتاح ورمسيس الثالث حيث وفروا عمالة كبيرة لأسوان فيما يتعلق بمشروعات البناء الكبيرة .

على ان المنطقة مالبثت ان اغفلها التاريخ اثناء نظم الحكم الضعيفة والأحوال المضطربة وأعمال السلب والنهب والملوك الضعاف التى اعقبت ذلك .

وفي اثناء نهضة الأمة وانتعاشها في ظل حكم فراعنة الأسرة السادسة والعشرين ، عاد الرخاء من جديد الى المدينتين . ولم يكن ذلك بسبب تجدد الطلب على الجرانيت المحلى ، وانما نتيجة للازدياد الكبير فى قوة وهيبة النظم الدينية في منطقة الشلالات . ان خنوم والعضوين الآخرين في ثالوثه وهما ساتت واتوقيت . قد اكتسبوا مركزا هاما لا محليا وانما عموميا ويرجع سبب زيادة اهميتهم الى عدد المخطوطات التى عثر عليها للآلهة الكبيرة المتعددة والتى وجدت في هذه المنطقة . وقد امتد نفوذ وسلطان آلهة الشلال الى النوبة . ووصل شمالا الى السلسلة .

كانت كل منطقة الشلال تعتبر من المناطق المقدسة وجاء في قول مأثور ان زوسر ، الملك المشهور من الأسرة الثالثة قد منح خنوم السيادة الكلية على جميع المنطقة الممتدة من أيلفنتين حتى تاكومبسو الواقعة على مسافة ٧٥ ميلا على طول ضفتى النيل .

وقــد استغل كهنة فيلة ذلك فيما بعد تعزيزا لدعاواهم . لقد اخذت فيلة ذاتها مع اختها جزيرة بيجا تزدادان اهمية كموقع مقدس . واصبح لمنطقة الشلال نصيبها التام في الرخاء المؤقت غير السليم الذى ادى الى احلال نفوذ الكهنة محل السلطة الوطنية الحقيقية والدولية للبلاد .

وكان لفيلة نصــيبها في بنــاء المعابد أثناء حكم بعض الأسر الوطنيــة ، ومازال معبد نخت ان بيس الأول من الأسرة الثلاثين موجودا تحت المياه التى يحتجزها السد العظيم . وجاءت مع البطالســة موجة من الأهمية في بناء معابد كثيرة في هذه المنطقة المقدسة . واهم دلالة على ذلك ايلفنتين حيث بنيت ارصفة واسوار كبيرة على طول الجزيرة لخدمة الاعداد الهائلة من الزوار للمعابد القديمة التى بناها تحتمس الثالث وفراعنة الامبراطورية الآخرين . ولكن سحر فيلة جعلها منافسة لشهرة ايلفنتين ، وبدأت تنشأ فيها سلسلة من المعابد الضخمة لا يمكن ان تضاهيها في المواقع الأقدم عهدا ، وبدأت عبادة ايزيس تطغى على ثالوث الشلال .

وبحلول هذا العصر . انتهت السيطرة المصرية على اثيوبيا من الناحية العملية في عهد الأسرة السادسة والعشرين فقد وضع - (بسماتيك الأول) حامية في ايلفنتين لحماية مصر العليا من غارات النوبيين ، ولكن لم يصب من ذلك نجاحا ذا بال كما يقول ديودوروس ، لأن رجال الحامية تمردوا وزحفوا على النوبة حيث استوطنوا هناك .

كانت المنطقة الحدودية فى أيام الرومان مهددة على الدوام من النوبة ، وقد استولت الملكة كندس الأثيوبية علي اسوان نفسها في السنة الثالثة والعشرين قبل الميلاد ، وأهم حدث في تلك الأيام كان وجود جوفينال — (Juvenal) وهو من اشهر الهجائيين الرومان هناك ، وقد سمح لنفسه بقدر كبير من الحرية في انتقاد الممثل المفضل عند الأمبراطور ، وكوفىء على ذلك بتعيينه رئيسا للحامية في اسوان ، وهذا . يساوى فى حد ذاته ، فى مقاييس اليوم ، نفيه الى سيبيريا .

وفي تلك الظروف . كان من النادر ان يتوقع منه تقدير اى شيء مصرى حق قدره بدءا من الدين الوطنى وما يلى ذلك ، وهو لم يفعل شيئا من ذلك . كانت الديانة المصرية في الوقت الذى كتب فيه هجاءه الخامس عشر . جديرا الى حد كبير بان يكون موضع سخرية حيث وجهها الى الحيوانات الآلهة .

على اننا قد نعتقد بان ضيق صدره نتيجة لمنفاه — اي جوفنيال — كان له اثر في ان يبالغ في حملته على عبادة الحيوانات التى هوى الى مستواها واحد من اقدم الديانات ، ولكن كان هناك شيء مقدس وطيد الأركان وجدير بالملاحظة في اصل هذه العبادة وتلك المعتقدات .

لقد قاست اسوان ومنطقتها اثناء الأيام التعسة لانهيار الامبراطورية الرومانية من الاعتداء المتكرر والبؤس كمنطقة حدودية حيث كانت على الدوام تتعرض لغارات عنيفة ووحشية بصورة مستمرة ، فيما لم تكن السلطة المركزية قادرة على امدادها بحامية كافية للدفاع عنها : ان السلام الشائن الذى اضطر أن يعقده الجنرال ماكسيمينوس مع البليميين — (Blemmyes) — يبين المستوى الذى تدنى له الرجال المسؤولون في الدفاع عن هذه المنطقة نتيجة لضعف الحكومة الرومانية .

لقد ادى انهيار السلطة الامبراطورية الى ان تعود البلاد نهائيا الى اصحابها وملوكها الأصليين[1]، حيث نجحت المسيحية لبعض الوقت في ان تخلف العبادة القديمة للاله خنوم او ايزيس او الديانة القديمة[2] . ثم جاء انتصار الاسلام في عام ٦٤٠ ميلادية لتبدأ فترة حياة جديدة .

---

(١) عند التنقيب فى منطقة فيلة بأسوان ظهرت بقايا معابد من عصر الفرعون بسماتيك الثانى وأمازس من ملوك الأسرة السادسة والعشرين وذلك عند فك معابد فيله ونقلها الى جزيرة أجيلكا المجاورة لها .

(٢) عندما بدأ التفكير فى بناء خزان أسوان سنه ١٨٩٤ تبين أن معابد فيلة الشامخة فوق الجزيرة سوف تغمرها المياه جزئيا ، ثم عملت وزارة الأشغال فى ذلك الوقت الذى كانت تتبعها فيه مصلحة الآثار على تنظيف هذه المنطقة وترميم المعابد ، فبعد بناء خزان أسوان وتعليته أصبحت معابد فيلة تغمر بالمياه مدة عشرة اشهر كاملة كل عام ولا تنحسر عنها المياه الا وقت الفيضان وظلت هذه المعابد على هذا الوضع حتى بدأ التفكير فى بناء السد العالى وبدأت وزارة الثقافة تتخذ خطوات تنفيذ انقاذ آثار النوبة ولا سيما معابد أبو سمبل وفيلة عام ١٩٥٩ مع هيئة اليونسكو .

وفى عام ١٩٦٨ تم تنفيذ نقل المعابد واعادة بنائها فوق جزيرة أجيلكا المجاورة وتم فكها ونقلها فوق الجزيرة وأصبحت مثل هيئتها الأولى تماما .

الفصل الخامس والثلاثون

أسوان وايليفنتين : (الآثار فيهما)

لقد شرحنا في الفصل السابق اهمية اسوان وايلفنتين وشهرتهما الكبيرة فى التاريخ ومدى المركز الكبير والحضارة الدينية الهامة التى بلغتها كل منهما على مدى فترة طويلة من الزمان رغم افتقارهما الى آثار كثيرة ذات اهمية سابقة او شهرة كافية نظراً للمركز الهام التى كانت كل منهما تحتله في التاريخ المصرى او اهميتهما للأمبراطورية المصرية .

ولكن المبنى الوحيد الذى له بعض هذه الأهمية والمتبقى حاليا في اسوان يعود تاريخة الى العهد البطليمى ، وقد علمنا بمصير المعبدين الجميلين الذين بناهما تحتمس الثالث وامنوفيس الثالث فى ايلفنتين .

ان أول شيء يشاهد فى اسوان هو معبد ايزيس الذى يقع جنوبى المدينة الحديثة وليس بعيدا عن الكنيسة الانجليزية .

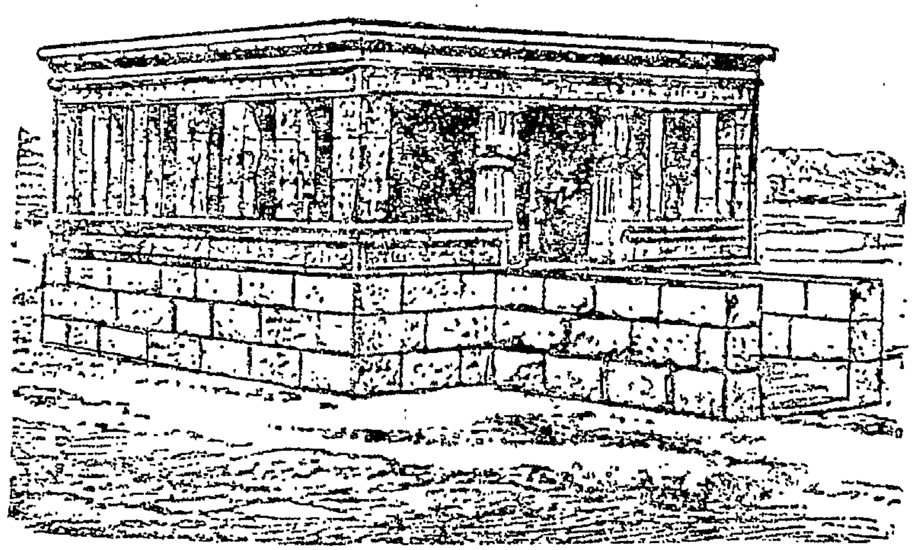
والموقع موحش مثل المعبد الموجود فيه فهو غير كامل البناء ويقع قريبا من المعبد خرائب المدينة القديمة المليئة بالنفايات والحجارة والرمال ثم تنبسط بعدها الصحراء فى امتداد طويل وكما هو الحال فى اسنا اصبح تراكم هذه النفايات من الضخامة حتى اصبح المعبد نفسه يبدو كانه يقوم فى ثقب كبير حيث يتساوى مستوى سطحه مع الطريق الممتد .

ويتم الوصول الى مستوى ارضيته بواسطة درج منحدر على عمق ٢٠ قدما تحت مستوى سطح الأرض . وهذا المعبد قد بناه بطليموس الثالث ، (يورجيتس الثانى) ، وبطليموس الرابع (فيلوبيتور) ، ولكن لم يستكمل هذا البناء على الاطلاق .

وواجهة هذا المعبد مسطحة حيث يتالف من كتل ضخمة غير مزخرفة من الحجر الرملى . وله بابان ، الباب الرئيسي متوج بحلية بأعلاه وقرص شمس مجنح وباب صغير ، وهذان البابان يؤديان الى قاعة المعبد .

ويظهر رسم منقوش على باب المدخل الرئيسي للمعبد يبين بطليموس الثالث (يورجيتس) أمام آلهة مختلفة وفى احدى الرسومات يظهر مع زوجته بيرنيتيس . ويظهر رسم آخر للملك نفسه على عتبة كتف الباب امام الآلهة .

وجدير بالذكر أن بيرنييس قد ضربت شهرتها لدى جميع هؤلاء الذين لديهم معلومات عن مجموعات الكواكب الشمالية التى تبدو للعين المجردة مبعثرة حيث شبهوها بشعر بيرنييس . ولما كان زوجها بطليموس الثالث، يخوض غمار حرب فى سوريا ، أقسمت بيرنييس بأنه اذا كتب له النصر ، فانها ستقص شعرها وتهبه للآلهة .



(شكل رقم ٥٤)

(معبد صغير محاط بعمد شبيه امنحتب الثالث على جزيرة ايلفنتين باسوان)
(وهدمه سنة ١٨٢٢ حاكم أسوان التركى وقتئذ ليستغل احجاره للبناء)
(مأخوذة عن وصف بعثة نابليون العلمية)

وقد خرج من القتال مظفرا . وانجزت الملكة وعدها ، وعندئذ اعلن عالم الفلك كونون-(Conon)-الملتحق بالبلاط الملكى ، والذى كان فى الاسكندرية اذ ذاك ، أن مجموعة الكواكب الصغيرة هذه قد تشبه سحابة من الشعر الذهبى، وان هذه المجموعة يجب ان يطلق عليها اسم « شعر بيرنييس » .

فينما عمد الشاعر كاليماكوس بعد ذلك الى الثناء على مجاملة الفلكى للملكة بقوله أن خصلات شعرها قد رفعت الى السماوات . وتبين الرسومات الجميلة المنقوشة على الباب بطليموس وهو يقدم قربانا الى تحوت، على اليمين، والى حورس ، ابن ايزيس ، على اليسار .

وللباب الصغير إيضا عتبة علوية وطنف وقرص شمس مجنح مع مشاهد كثيرة تظهر بطليموس يقدم القرابين للآلهة .

والقاعة مستطيلة الشكل ومازالت تحتفظ بسقفها الذى يستند على عمودين مربعين لهما تاجان مربعان . وتضاء هذه القاعة بواسطة اربع نوافذمنها اثنتان مدمرتان . وعلى الجدران نشاهد مشكاوات فارغة عديدة ، وان كانت في الماضي تحتوى على عدة لوحات حجرية .

ولكن باستثناء هذه اللوحات لم تجر اى محاوله للزخرفه - وان دل هذا على شيء فانما يدل على نمو روح التقشف والزهد ، ولكن ربما قد يرجع ذلك الى ان المعبد لم يستكمل لأن البطالسة لم يكونوا زاهدين او متقشفين في استخدام اعمال الزخرفة والنحت في كل مكان .

وهناك في وسط الجدار الخلفى للمعبد باب يؤدى الى معبد صغير هو بمثابة محراب ، في حين ان هناك على كل من الجانبين باب آخر يؤدى الى معبد صغير . وللباب الأوسط طنف وقرص شمس مجنح مع مشاهد يظهر فيها بطليموس وهو يتعبد ، وعلى جانبي الباب السميك ترنيمة منقوشة لايزيس مع سوتيس (سيريوس ـــــ Sirias).

والمحراب يضاء أو أن ظلمته تتبدد قليلا من فتحة موجودة في السقف . وتقتصر اعمال الزخرفة فية على الجدار الخلفي حيث ترى رسومات لبطليموس الرابع ، فيلوبيتور ، يقدم قرابين لمختلف الآلهة في سلسلة من أربع مجموعات ولكن بعضها مصابة بتلف بالغ .

اما الغرفتان الأخريان . فانهما خاليتان من الزخرفة . والمبنى في مجموعه لاينطوى على اى اهمية ، سواء من الناحية الهندسية او الزخرفية ، ولذلك فانه لايستحق وقتا طويلا لزيارته .

ان الشيء الأهم فيهذه المنطقة هى محاجر الجرانيتالتى كان الفراعنةيجلبون منها الامدادات من الحجارة لأعمال الزخرفة في مبانيهم العظيمة ، والتى لابد وان تكون قد شهدت فى أيامهم بعضا من اعظم الأعمال الهندسية التى انجزت .

تقع المحاجر فى منطقة التلال جنوبى المدينة والمعبد الذى قمنا بزيـارته للتو ،ويمكن الوصول اليها من البلدة في مدة لاتزيد عن ربع الساعة . ومن السهولة بمكان زيارتها ثم الذهاب بالركائب الى الشلال والعودة بالقطار من المكان الأخير اذا رغب في ذلك .

وما زال المحجر الشمالى الذى ينبغى ان يزار اولا ، يحتوى على أثر عظيم بالنسبة الى معظم الآثار الهامة التى يجب ان ترى في اسوان واهم شهادة وفخار على قدرة رجال المحاجر من قدماء المصريين في معالجة وتقطيع الأحجار ، وهناك مثل عظيم لذلك حيث يتمثل فى المسلة الضخمة غير المستكملة المستقرة في المحجر والغير مقتلعة من مقرها ولكنها مفصولة من كل جوانبها من الصخور المحيطة بها بخندق صغير يبلغ عرضه ٢ر٥ قدم .

وتبلغ مقاييس هذه المسلة الضخمة ١٧٣ قدما طولا و ١٣ر٨ قدما عرضا عند القاعدة و ٨ر٧ قدم مربع عند قمة المسـلة ، أو الطرف المخروطى الذى يتوج المسلة .

ويقدر وزن هذه المسلة بحوالى ١٦٨ ر ١ طنا ، ولو ان هذه المسلة قد استكملت لكانت اكبر كتلة حجرية او قطعة فنية ضخمة يعالجها المصريون ، او اى انسان آخر ، وان كانت الكتل الحجرية التى استخدمت في التمثالين الضخمين لرمسيس الثانى في الراميسيوم وفي تانيس (Tanis) لاتقل اهمية وروعة في وزن الواحد منهما عن وزن هذه المسلة المذكورة بكثير (اذ يبلغ وزنهما حوالى ١٠٠٠ طن على الأقل) ٠

ومع ان معظم جميع المسلات لم تستخرج من هذا المحجر ، فان هذا ليس مرده الى عقبات ميكانيكية لا يمكن التغلب عليها في معالجة هذه الكتلة الهائلة ونقلها ، ولكنه يعود الى ان تقدم العمل في هذه المسلة كشف عن عيوب فى حجر الجرانيت التى نحتت منها جعلتها عديمة الفائدة للغرض المنشود .

وتفيد بعض العلامات الظاهرة على هذه الكتلة الهائلة انه قد بزلت محاولات كثيرة عقب اكتشاف العيب الرئيسي فيها لاستغلال جزء منها فى صنع مسلة أصغر ، ولكن توقفت هذه المحاولات ايضا بعد اكتشاف عيوب اكثر ، الأمر الذى جعلها عديمة الجدوى لأى مشروع كبير .

ان احسن وقت لرؤية الخطوط التوجهية والمؤشرات على قمة هذه الكتلة الحجرية ، وتفاصيل عمليات القطع التى فصلتها عن الصخرة الأم ، فى الصباح الباكر او قبيل الغروب .

ان خندق الفصل او القطع . يعتبر عملا ارشاديا عظيما فيما يتعلق بالأساليب الهندسية التى كان عمال المحاجر المصريون يستخدمونها فى استخراج كتل الحجارة من الصخور . لقد كان المعتقد —— (of Baedeker, 8th Edition, P. 3922 And also Where)

بأن الأسلوب المتبع هو احداث ثقوب على طول خط التشققات ثم إدخال أوتاد من الخشب ثم ترطب او تسقى جميع الأوتاد على طول الخط بالماء فيؤدى ذلك الى تمدد الأوتاد فتنفصل الكتلة الحجرية على طول الخط المحدد .

ولكن السيد « انجلباخ » المستكشف الذى استخرج المسلة العملاقة فى عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ ، يقول ان الأوتاد الخشبية لم تستخدم فى شق الصخور واستخراج المسلات ، ولكن عملية نزع الصخور العادية كانت تتم بواسطة اوتاد معدنية تدق بالمطرقات . ويرى ان الأطراف المستطرقة فى الثقوب التى مازالت متبقية فى بعض الحالات لنزع الأوتاد كبيرة ، ولذلك فان تشقق الحجر يكون عادة نتيجة لتمدد أوتاد خشبية ، وتدل هذه الثقوب المستطيلة على ان الأوتاد كانت تنتزع من الثقوب ، وانه كان من الصعوبة بمكان ترطيب أوتاد افقية بالمـاء .

وقد كـانت تحدث كثيرا بطريقة كافية ، وان من المستحيل ان يتم ذلك فى حالة دق أوتاد تدق من اسفل . ويعتقد انه الى جانب استخدام الأوتاد المعدنية بأن فصل الحجارة كان يتم باستخدام النار التى كانت توضع مشتعلة وتحصر بين صفين من الطوب على طول الخط المراد تدميره .

على أن هذا بالطبع مسائل من اختصاص الخبراء ، ولكن راى خبير واثرى كبير مثل راى السيد «انجلباخ» لايمكن اغفاله(انظر انجلباخ) (Engelbach, The Problem of The Opelicks) وكذلك كتاب المؤلف نفسه بالاشتراك مع سومرز كلارك وعنوانه : (Ancient Egyptian Masonry, Chap. III)

وعلى اية حال فإن المسلة العملاقة لم تفصل بواسطة الأوتاد الخشبية وترطيبها بالمـاء ، وانما بعملية القطع البسيطة وذلك باستخدام مدكات على اطرافها كرة من الحجارة الصلدة تعرف بأحجار الدولرايت .

ولقد عثر على مئات من هذه الكرات مع وجود كثير منها مشطورة بالرغم من صلابة حجر الدولرايت نتيجة لقوته المستخدمة . وذلك اثناء عمليات الحفر في هذه المنطقة .

ان السهولة المتناهية لهذه الوسيلة المستخدمة لقطع مثل هذه الكتل العملاقة من الحجارة لا تقلل من اعجابنا بهذا العمل الخارق الذى كان يقوم به

المصرى القديم ، وانما هى خليقة بأن تزيد من هذا الاعجاب. وهى عملية فذة لأنها تستخدم أبسط الوسائل وتحقق أعظم النتائج ، وان العملية التى تطبق فى قطع هذه الكتل الضخمة من الحجارة الصلدة من محجـر فى غضون اشهر قليلة مثل مسلة حتشبسوت البالغ طولها ٩٧٫٥ قدم فى الكرنك والتى قطعت بواسطة كرات حجرية ، لابد ان تكون أعظم وأدعى لاثارة الاعجاب نحو الأساليب الفنية المعقدة التى تحقق نفس النتيجة .

وسيجد الزائر بالقرب من موقع المسلة الضخمة ، الدليل على كيفية نقل مثل هذه الكتل الضخمة الى مسافة ٢٠٠ ياردة تقريبا الى الشرق حيث يرى فرعى الطريق على طول الطريق الممهد التى يتم جر الكتل الحجرية عليها الى طريق واحـد يتجه الى النيل .

ان تمهيد وتشذيب الحجارة الرملية ، الذى مازال يبدو هنا وهناك ، حيث كان الهدف منه منع الأثقال الكبيرة من الغوص فى النهر . وعلى طول هذا الطريق الذى يعتبر عملا رائعا نقلت كتل من الجرانيت لاحصر لهـا على مر القرون وذلك بوسيلة بسيطة جدا حيث تستخدم الرافعة والاسطوانة لدحرجة الأثقال الكبيرة وحيث كان فريق آخر من الرجال والثيران يعملوا كل جهـدهم لجرها ونقلها .

ويروى لنـا امن إم حات ، الذى كان وزيرا فى عهد منتوتحتب الأخير من الأسرة الحادية عشر والذى اصبح فيما بعد مؤسس الأسرة الثانية عشرة، ان ٣٠٠٠ بحار قـد استخدموا لانزال غطاء التابوت الحجرى الملكى ، وكـان البحارة فى ذلك العهد ، كما هم الآن ، يقومون بجميع الأعمال المتعلقة بالسحب والجذب .

واننا قد نتخيل فرقا مماثلة من الملاحين المهرة الذين كـان يستخدمهم سينموت او اينينى او منح بيراسنوب ، حينما أوفدتهم حتشبسوت او تحتمس الثالث جنوبا الى أسوان لاحضار المسلات التى نصبوها فى جميع انحاء البلاد . ويمكن القول بأن المشهد من فوق الطريق الممهد يستحق الوقوف والتامل .

وعلى بعد حوالى ميل نأتى الى المحجر الجنوبى . وهنا علي الجانب الجنوبي للمدخل المؤدى الى الوادى يستقر تابوتان حجريان غير مستكملين يعود تاريخهما الى عهد البطالسة ، وقد نحتا على شكل جرن مستطيل ولكن دون ان يتم تجويفهما .

وتقع بالقرب منهما لوحة حجرية منحوتة على سطح صخرة حيث تبين شكل رجل يتعبد امام رسومات بارزة لأمنوفيس الثالث ويقول المخطوط المنقوش : « الولاء والطاعة للالة الطيب (فرعون) حينما صنع تمثال عظيم لجلالته (باسم) « شمس الحكام » .

وقد ازيل الشكل السالف الذكر ، الذى لابد وأن يكون صاحبه هو المثال الذى نحت التمثال ، بأمر الملك ، على أكثر الاحتمالات . حيث لم يستحسن ظهور احد الرعايا يربط نفسه بعمله . وعلى مسافة قصيرة من هذين التابوتين نجد تمثالا ضخما لم يستكمل ايضا للملك ، وبالقرب منه كتلة ضخمة مربعة الزوايا من الحجر ، التى يحتمل أن تكون مصممة لصنع معبد صغير مؤلف من حجر واحد ، وهو ماكان يغرم به الفراعنة الأواخر .

ونصل الآن الى التل الذى يطل على الوادى الذى يمتد فيه خط سكة حديد الشلال ، ومن فوق هذا التل يقع نظرنا على مشهد جميل للشلال والنيل حيث نرى جنوبا « جزيرة فيلة » ونرى بالقرب منها تمثالا ضخما من الجرانيت يشبه أوزوريس ، ويبلغ طوله حوالى ٢٠ قدما ولكنه لم يستكمل ولم تظهر عليه اية نقوش .

علما ان الوطنيين هناك الذى كان رمسيس الثانى بالنسبة اليهم فرعون الفراعنة ، يقولون ان هذا التمثال لرمسيس .

وليس ثمة جدوى من التكهن بالأسباب التى ادت الى هذا العمل غير المكتمل الذى تقدم ذكره ، هذا الى جانب عمل آخر مماثل لم يستكمل أيضا

فى المحجر . ان موت الملك المعنى ، والثورة الدينية فى ظل حكم اخناتون وسخط كهنة آمون والاغارات المستمرة التى كانت تشنها القبائل النوبية . او اسباب اخرى كثيرة من هذا القبيل قد تكون المسؤولة عن عدم استكمال تلك الأعمال الرائعة .

على أننا لا نعلم على وجه التأكيد ، ولن نعلم قط عن هذه الأسباب . اما الحالة الوحيدة التى نعرف السبب في التخلى عن العمل النصف منجز هو ما يتعلق بالمسلة العملاقة التى كانت العيوب فيها سببا واضحا لعدم استكمالها .

ومن المهم ، قبل ان نترك هذه المحاجر القديمة ان نتذكر كيف ان هذه الآثار ليست منتشرة فى مصر وحسب ، وانما فى جميع أنحاء العالم . ففى مصر نجد مسلات حتشبسوت الضخمة فى الكرنك ، ومسلة رمسيس الثانى فى الأقصر . والمسلة الأصغر لتحتمس الأول فى الكرنك ، وتمثال رمسيس الثانى الضخم فى معبد الرمسيوم .

ومسلة سينوسرت الأول فى هيليوبوليس ، وبقايا تمثال ضخم لرمسيس فى تانيس (Tanis) فى اقصي الشمال . وفي استنبول مسلة مبتورة الرأس لتحتمس الثالث ، وهناك في روما عشرات من المسلات من العهد الرومانى . وفي باريس المسلة التوام لرمسيس الثانى فى الأقصر . معروضة فى الكونكورد ، وعلى ضفة نهر التيمس في لندن ، مسلة كيلوباطرة لتحتمس الثالث وتوامتها تزين الحديقة المركزية في نيويورك .

ولكن هذه المسلات الرائعة هى التى كتب لها البقاء لتشهد على عظمة وتاريخ هؤلاء الفراعنة المصريين وأمجادهم الخالدة ، ويروى لنا هيرودوتس عن معبدا صغيرا من حجر واحد فى منطقة سيس (Sais) الذى استغرق نقله بواسطة ٢٠٠٠ بحار من أسوان الى مكانه في الدلتا ثلاثة اعوام .

ويروى في قصته الأخرى عن معبد اكبر فى بوتو (Buto) الذى اذا كان حقيقة مقايسه كالتي ذكرها له (٤٠ ذراعا طول كل جانب) ، لا بد أن يكون

وزنه قد بلغ حوالى ٧٠٠ طن ولكن قد يجوز لنا ان يساورنا شيء من الشك فيما يتعلق بأقصي حجم له (Herodotus, ii, 155) ولكن حتى لو كان الأمر كذلك، فان المرء لا يملك الا أن يصاب بدهشه بالغة من ضخامة العمل والمهارة البشرية التى شهدتها هذه المنطقة في الأزمان القديمة ، واننا فى حين آخر نأسف لفقدان معابد فيله فانه يبدو انه ليس من غير المناسب القول بان المهارة الهندسية الحديثة كان ينبغى ان تسهم هنا فى حياة مصر الحديثة بعمل يجدر ان يقف جانبا الى جنب مع أعمال الماضي العظيمة .

(السـور الكبير)

ان بقايا هذه التحصينات الحدودية الهائلة لا تترك انطباعا ذا بال ولكن لهـا بعض الأهمية التاريخية نظرا لقدم عهدها وما تشير به الى الوقت الذى وجدت مصر فيه أن من اللازم ان تتخذ موقفا دفاعيا عند هذه المنطقة ، وحماية حدودها بعدة تحصينات التى ثبت عدم جدواها بعد ذلك كأشياء مماثلة في بلاد اخرى .

ويمكن رؤية هذا السور في الطريق الى خزان أسوان . عند سلوك الطريق الذى يمر بالمقبرة البريطـانية (على اليمين) ومتابعة خط السكة الحديدية المهمل الذى كان يستخدم في نقل المواد للسد العالى فان المرء يجد نفسه بحذاء بقايا السور القديم الذى كان مبنيا بالطوب الخام ، على غرار هذه التحصينات في مصر ويصل الى اماكن يتراوح إرتفاع السور فيها من ١٣ الى ٢٠ قدما ، ويبلغ سمكه ٦٫٥ قدم .

وكان الغرض من تشييد هذا السور ، هو حماية الملاحة في النيل وحماية ضفته من غارات القبائل النوبية ، ويبدو ان هذا السور قد بنى في أوائل عهد الأسرة الثانية عشرة حيث كانت النوبة فى ذلك الوقت معادية ومصدراً للخطر .

ويبدو ان الفرعون امن ام حات الثاني والفرعون سنوسرت الثاني لـم يكونا قادرين على القضاء على الخطر بطريقة اكثر فاعلية وذلك بمطـاردة القبائل جنوبا او اخضاعها للحكم المصرى . وبدلا من ذلك اتجها الى الخطة العادية التى كان يلجأ اليها الملوك الضعفاء والدول الضعيفة حيث حصنوا القلاع فقط على الحدود او بالقرب منها .

كمـا ينبغى الا يغرب عن البال انه قـد وجـد من المستصوب في اقصي الشمال عند الكاب ، انشاء سور من الطوب حول المدينة القديمة هناك .

ولما كانت هذه التحصينات تحمل اسم «سور سش ام تاوى (Seshemtaui) فان ذلك يدل على انه بنى في ظل حكم **سينوسرت الثانى** .

وينتمى سور اسوان الى نفس الحقبة كمـا يدل مخطوط آخر منقوش على صخرة خلفه يقول : « بنى في السنة الثالثة ، فى ظل حكم صاحب الجلالة حورس سش **ام تاوى وهى** متساوية للسنة الخامسة والثلاثين فى ظل حكم حورس نوبكويرى (امن امحات الثانى) . ان (اللقب غير مؤكد) وجاء هابو للتفتيش على قلاع واوات » (اى النوبة السفلى ، حيث يوجد هذا المخطوط **في الحقيقة**) .

وطالما ان مصر كانت تخشي من انتهـاج سياسة اعنف في النوبة ، فان هذه التحصينات يمكن ان تكون قد اثبتت بعض الفائدة ، ولكن مالبثت الحاجة اليها ان قضي عليها سنوسرت الثالث بفضـل قوته وعـدوانيته ، حيث طـرد النوبيين وأرغمهم على التقهقر واكد من جديد سيادة مصر جنوبا حتى سمنـا (Semna) ـــ التى تقع على بعد حوالى ٣٧ ميلا جنوبى وادى حلفا .

وهذه القلعة مازالت على بعد ٢٠٠ ميل من كرما (Kerma) التي تم الوصول اليها اثناء حكم سنوسرت الأول ، كمـا تم القضاء على الخطر النوبى الذى كان يتهدد مصر العليا دائماً وكذلك على الحاجة الى مثل هذه المنشآت التى تمثل الجبن والخور مثل سور اسوان الذى يبدو انه لم يستخدم بعد ذلك قط .

(مخطـوطات أسـوان الصخرية)

في اسوان عدد كبيرمن المخطوطاتالصخرية التى للقليل منها بعض الاهمية التاريخية . ويوجد العديد من هذه المخطوطات على طول الطريق بين المدينة والشلال ، واهمها اثنان احداهما لتحتمس الثانى والثانى لأمنوفيس الثالث، ويصف المخطوطان طريقة سحق أعداء الفرعونين وهو ما يسعدهما كثيرا حيث تصف اعمال القضاء علي الثورة في النوبة .

ويلاحظ ان جميع المخطوطات الصخرية مرقمة بطلاء ابيض . والرقم الموجود علي مخطوط تحتمس هو ٤٧٢ حيث يروى المخطوط كيف ان الفرعون استقبل رسولا من الحدود حاملا هذه الرسالة : « لقد بدا كوش ـ (Kush) التعس حركة تمرد ، وهؤلاء الذين يخضعون لحكم رب الأرضين يضمرون العداء ويداوا الابتلاء به ، ولقد ثارت ثائرة صاحب الجلالة لذلك حينما سمع بالنبأ ، وقال صاحب الجلالة : « اننى أقسم ، كمـا يحبنى رع . وكمـا أن ابى ربّ الأرباب آمون ، اله طيبة ، يكرمني ، اننى لن اترك احـدا حيـا بين ذكرانهم » .

ثم يمضي المخطوط ذاكرا كيف ان تحتمس ارسل حملة الى النوبة ، وقد كللت جهوده بالنجاح التام . وقد سلمت رقاب هؤلاء القبليين النوبيين للسيف باستثناء ابن احد زعماء هذه القبائل الذى احضر كاسيرمع بعض اعضاء قبيلته، وقدم الى صاحب الجلالة .

وقد جاء تحتمس ، الذى لم يذهب بحملة تاديبية الى الجنوب ، الى اسوان ليتلقى خضوع القبائل . « وقد وضعوا تحت اقدام الاله الطيب (فرعون) ، لأن جلالته ظهر على عرشه حينما سيق الأسرى الأحياء اليه ، الذين اسرهم جيش جلالته ـ (Breasted, op. cit. 8119, Sq.) .

امـا مخطوط امنوفيس الثالث فانه يحمل رقم ٤٧٦ ويحكى ، ولكن بطريقة شبة عملية ، قصة سحق الثورة في النوبة . ويظهر الجزء العلوى للوحة الحجرية (الرقيم) أمن حتب يدوس على رجل آسيوى ويضرب زنجيين . ويقف آمون وخنوم امامه اما بتاح فانه يقف وراءه . ويمضي المخطوط بعد ايراد اسم امنوفيس الثالث : « جاء احـدهم يقول لجلالته : ان العدو التعس كوش قد خطط في قلبه لثورة . ومضي جلالته حتى حقق النصر ، الذى تم له في حملته المظفرة .

أن هذا العدو لم يعرف ذلك الأسـد الذى كان أمـامه : نب مـاعت (امنوفيس الثالث) الذى له عينان نفاذتان كعينى الأسد ، قد القى القبض على كوش . وقـد اطيح بالرؤساء القبليين في وديانهم مضرجين بدمائهم ، الواحد فوق الآخر - ((Breasted, op. cit. II. 843, 844) .

والمخطوط رقم ٤٧٧ للسنة الثانية لحكم رمسيس الثانى ، هو اكثر اهتماما بالتقريظ المبالغ فيه لذلك الفرعون المعتدل بسرد الحقائق : لقد جاء الأجانب اليه يحملون أطفالهـم ملتمسين الحياة - ان صـيحة الحـرب التى اطلقها في بلاد النوبة كانت مدوية ، وقوته كانت تجبر الأعداء على الركوع أمامـه ، ان بابل وخيتـا وارفـاد تاتى اليـه راكعـة بسبب شهرته ، وسرعان ما وجد رمسيس ان قوم خيتا لم يكونوا ميالين للركوع امامه ولن يسـعدوا بالنجاة من بعد معركة قادش - (Kadesk) .

اما المخطوطات الأخرى على هذا الطريق فهى اقل اهمية ، وتضم رقـم ٣١٤ ، وهو مخطوط يعود تاريخه الى المملكة الوسطى ويعطى السنة الرابعة والعشرين لحكم امنمحات الثالث كتاريخه ، وهناك المخطوط رقم ٣٢٠ عن حكم رمسيس الثانى ويظهر رسومات ذلك الملك في تعبده ورقـم ٣٢٢ عن زمن امنوفيس الثالث ، ويظهر ايضا تكريم الرسومات المنقوشة للفرعون .

ورقم ٤٧١ عن حكم سبتاح . وهذا واحـد من مخطوطات نوبية عديدة لهذا الفرعون المعروف معرفة قليلة نسبيا والذى حكم لمدة قصيرة في نهاية

الأسرة التاسعة عشرة والذى شاهدنا مدفنه في بيبان الملوك في طيبة . وهو يظهر سبتاح متوجا مع امين مخازنه « باى ــ Bay » (المدفون أيضا في بيبان الملوك) خلفه ، فيما يقف سيتى ، نائبه فى كوش أمامه في موقف تعبد .

وهذا المخطوط هو من عمل « ابن ملك كوش ، الأمير حاكم بلدان آمون وسيتى الذهبية » .

وهناك مخطوطات أخرى كثيرة في اسوان وضواحيها يمكن الاشارة الى عدد قليل منها . الى جنوب السكة الحديد ، وفي حديقة عامة يوجد رقيم سنوسرت الأول (رقم ١٣) ومشهد (رقم ١٢) يبين رمسيس الثانى وهو يستقبل سيتاو ، نائبه في أثيوبيا . وهناك مرتفع قريب من هذه الحديقة يطل على النهر الذى يمكن منه رؤية مخطوطات عديدة وأشكال منحوتة لشخصيات كثيرة .

ويمكن توجيه الانتباه والملاحظة الى المخطوط رقم ٤٨ الذى يبين رمسيس الثانى يتعبد أمام الاله خنوم، اله الشلال . وترافق الفرعون زوجته ايست ـ نوفرت، وابنته وزوجته المفضلة بانت ـ انات وثلاثة من أبنائه، خامويست، الأمير الساحر، الذى كان مقدرا ان يخلفه ، ولكنه مات قبل والده ، ورمسيس ومنفتاح ، الذى خلفه بالفعل حيث كان ترتيبه الثالث عشر في قائمة ابناء رمسيس الثانى الطويلة .

أما المخطوط المنقوش رقم٤٩ فهو مهم لأنه يعتبر السجل الذى ترك في الموقع عن اهم اعماله العظيمة التى قام بها سنموت ، مهندس الملكة حتشبسوت ، حينما جاء الى الجنوب للاشراف على إستخراج مسلات الملكة العظيمة من المحجر في اسوان . ويقول المخطوط بعد الشكليات العادية : « جاء الأمير الوراثى ، الذى يرضي قلب زوجته المقدسة ، والذى يبعث البهجة في نفس

سيدة الأرضين بتوجيهات منه ومن رئيس خدم الأميرة نفريرى الذى يعيش لكى يشرف على العمل الجارى بمسلتين عظيمتين « لألوف السنين » وقد تم العمل وفقا للوقت الذى طلب منه تنفيذه ، وقد أنجز كل شيء وتحقق ذلك الحلم الجميل نتيجة لشهرة صاحبة الجلالة ، (Breasted, op. cit., II 359—62)

وثمة مخطوطات ونقوش هامة برقم ٥٠ تظهر امنوفيس الثالث والملكة تيبى — (Tiy) — يتلقيان رسوم الولاء والطاعة من احد رجال البلاط ورقم ٥٥ تسجل الأمير خامويست يحتفل بالذكرى السابعة والثلاثين لاعتلاء أبيه رمسيس الثانى العرش .

ولكن اهم جميع هذه السجلات يوجد على صخرة جرانيت اسفل سور حجر رومانى تحت الجانب الجنوبى الشرقى لمنزل حديث قبالة فندق كاتاراكت . وهذه هى اللوحة الشهيرة الذى احيا فيها بيك — (Bek) — كبير مثالى الملك اخناتون وزيارته لاسوان .

حيث جاء للحصول على الجرانيت للمعابد الجديدة التى كان الفرعون اخناتون يشيدها في تل العمارنة . وتظهر اللوحة مذبحا يتلألأ فوقه القرص الشمسي وتنتهى اشعته بأيدى وعلى احد جانبيه يقف رسم للملك ، ولكن هذا الرسم قد ازيل على يد الأمونيين حينما انتصروا على الهرطقة الدينية وعلى الجانب الآخر يقف بيك نفسه مرتديا ملابس الاحتفالات حاملا باقة كبيرة من الزهور .

ويقول المخطوط الذى فوق بيك : « الحمد لرب الأرضين والطاعة لاخناتون » من رئيس الأشغال في الجبل الأحمر ، والمساعد الذى قام جلالته نفسه بتعليمه . وكبير المثالين على النصب والأضرحة العظيمة التابعة للملك .

وفى بيت آتون فى اخيتاتون ، كان بيك يعتبر ابنا كبيرا من المثالين العظام الفنانين ومن اعاظم الرجال . ولد فى رويبنيت ، وكانت أمه أميرة من اميرات الملك

اخناتون — (Breasted) ، والى جانب هذا المشهد ، يبدو رسم والد بيك الآنف الذكر ، ومعه بعض الرجال ، وهو الذى يقدم قرابين من الطعام الى رسم امنوفيس الثالث ، الذى خدمه كما كان ابنه يخدم اخناتون . وثمة اهتمام خاص بالعبارة التى تقول أن اخناتون نفسه أصدر تعليماته الى بيك للقيام بعمله العظيم .

ومن الممكن أن تكون هذه العبارة للمجاملة فقط ولكن خصائص الفن في عصر العمارنة مميزة حتى انه من المستحيل الاعتقاد بأنها قامت بدون تشجيع ونفوذ الفرعون اخناتون كما هى مسندة اليه هنا .

وقد نتخيل ان تعليمات أخناتون لمثاليه كان شيئا حقيقيا جدا وواقعيا نظرا للنتائج التى لامثيل لها في اى عصر من عصور تاريخ مصر وهناك ايضا مخطوطات عديدة يعود تاريخها الى المملكة الوسطى الجديرة بالاشارة اليها نظرا لتاريخها القديم . منها رقم ٢٨ الذى يذكر السنة السادسة من حكم سنوسرت الثالث، ورقم ٣٣ الذى يذكر اللوحات الحجرية لسنوسرت الثانى ورقم ٣٧٢ (قبالة الطرف الجنوبى لجزيرة سحيل) . الذى يعود تاريخه الى السنة الواحدة والأربعين لحكم منتوحتب الثالث ، الذى بنى المعبد الجنائزى للأسرة الحادية عشرة في الدير البحرى .

(ايليفنتين)

نعرج الآن على جزيرة ايلفنتين التى تقع مباشرة قبالة مدينة اسوان وتمتد حوالى ميل ونصف الميل . وتحتوى الجزيرة على قريتين وهما الرملة والكوم وفندق سافوى الذى أغلق بعض الوقت . ويقع مقياس النيل القديم عند طرف الجزيرة الجنوبى — الشرقى حيث توجد ايضا خرائب بلدة ايلفنتين القديمة وقلعتها . وسيجد الزوار من المفيد والممتع حقا القيام برحلة حول الجزيرة ليتمكنوا من مشاهدة سحر الموقع بكامله حيث يعتبر من أهم المواقع في مصر العليا .

وقد يقال على الفور انه لم يبق من المدينة الحدودية القديمة وقلعتها ما يهم اى شخص سوى الاخصائى او الأثرى ولكن المعابد الضخمة الرائعة التى كانت زينة الجزيرة ومنها معبد تحتمس الثالث قد تهدمت تماما واصبحت على الحالة التى وصفناها بالفعل ، وان الدلائل الوحيدة على الوجود السابق لهذه المبانى والتى لابد ان جعلت ايلفنتين مقدسة وجميلة مثل فيلة ، كانت قائمةقبل انشاء السد العظيم،وهذه الدلائل هى كتل الحجارة المنقوش والمرسوم عليها رسوما جميلة لمختلف الفراعنة الذين بنوا المعابد الأصلية حيث ادخلوا بعد ذلك اضافات كثيرة عليها .

ويمكن مشاهدة بقايا هيكل معبد قديم غربى الرصيف والذى كان قائما لعلاقته بسور النهر ومقياس النيل . حيث كان هذا المبنى من عمل الأمبراطور تراجان ،وقد بنى، على الأرجح من خرائب المبانى السابقة لأن اسماء تحتمس الثالث وتحتمس الرابع ورمسيس الثالث منقوشة على كتل حجرية وصحائف الأعمدة .

وتقع غربى هذا المبنى خرائب باب من الجرانيت كان يؤدى في الماضي الى معبد حيث اختفى من الوجود الآن . وعلى البوابة اسم منقوش للاسكندر الثانى ، ابن الاسكندر الأكبر ، والذي لم يعمر طويلا . وينبغى الا يغرب عن البال انه بعد وفاة الأسكندر ، بطليموس سوتر ، قائده المشهور ايد الاسكندر الثانى الصغير باخلاص وعمل في خدمته .

وقد نميل الى الاعتقاد بأنه في اثناء هذه الفترة . قام بطليموس ببناء هذه البوابة الضخمة التى يشاهد عليها رسم منحوت للاسكندر الثانى وهو يتعبد للاله خنوم والآلهة الأخرى . على ان الأسكندر الصغير قد قتل غيلة ، ثم اكد بطليموس بعدذلك دعواه في استرداد عرش مصر،ومازال يمكن مشاهدة رقيمه هنا بين الخرائب منتشرا . وتقع بالقرب من هذا المبنى مقبرة كباش خنوم المقدسة التى

اكتشفها السيد (كلير مونت كانو) في عام ١٩٠٧ . وقد دفنت الكباش في توابيت حجرية صغيرة ووضعت فى صناديق من ورق البردى المقوى، مصاغة حسب اشكالها الطبيعية (تشاهد متحف أسوان بالقرب من مقياس النيل) .

وقد عثر في السنوات الآخيرة على عدد من أوراق البردى يعود تاريخها الى عصور الأسرات الأولى وكذلك من عهد المستعمرة العبرية هنا ، وذلك فى خرائب المدينة القديمة التى تمتد على طرف الجزيرة الجنوبي ولا تشجع الزائر العادى الذى لا يرى فيها شيئا يثير اهتمامه سوى قفر من النفايات المهملة .

ويجوز لنا ان نذكر ان اقدم مخطوط صخرى في منطقة اسوان قد وجد على صخرة جرانيتية فى هذا الجزء من الجزيرة . وهى من نحت شخص يسمى خوفو - أنخ ، ويعود تاريخه الى حكم تشيوبس (خوفو) ، الذى بنى الهرم الكبير (الأسرة الرابعة) .

وعلى مخطوطات اخرى نشاهد عليها أسماء الملك اوناس (الأسرة الخامسة)، وبيبى الأول والثانى (الأسرة السادسة) ، وامن ام حات الأول (الأسرة الثانية عشرة) ولقد قيل ان البئر العميقة التى يعود تاريخها الى العهد البطليمى والتى عثر عليها هنا ، هى البئر التى عمد فيها ايراتوستينيس العالم الأثينى الشهير (٢٧٦ - ١٩٦ قبل الميلاد) ، حيث قد وضع طريقته الخاصة بقياس ابعاد الكرة الأرضية .

وقد دفعه الى هذا الموضوع ملاحظته ان شمس الظهيرة فى منتصف فصل الصيف كانت عمودية فوق البئر . ونتيجة لذلك فانها لاتحدث ظلا . وبالطبع يستحيل اثبات ان سبب هذا هى البئر ، وان كل ما يمكن ان يقال هو انه يمكن ان تكون مثل اى شيء آخر من خياله الخصيب .

تقع مصادر النيل ، حسب اعتقاد بعض المصريين ، بين اسوان وايليفنتين ، حسبما قال لنا هيرودوتس . لأن معلوماته التى يقدمها لنا مستقاه

من سجل كنز مينرفا (تيث) في سـايس ــ (Sais) ــ في مصر ، وتقول هذه المعلومات : « ان هناك جبلين يرتفعـان ارتفاعا شاهقا بقمتيهما الحادتين بين مدينة سيين (أسوان) في طيباس ـ (Thebais) ــ وايليفنتين ، ويطلق على أحد هذين الجبلين اسم كروفي والآخر موفي ، وان مصادر النيل ، التي لا قرار لها ، تتدفق وتنحدر من بين هذين الجبلين ، وان نصف المياه تتدفق فوق مصر والى الشمال، ويتدفق النصف الآخر فوق أيثيوبيا والجنوب، (Herodotus) ii 28, 29)

ويقول هيرودوتس في لهجة مريرة « انه يبدو انه يعبث بى وان المصريين بحلول ذلك الوقت ، لا بد أنهم قد علموا أن مصادر النيل ابعد بكثير فى الجنوب من ايليفنتين ، حيث حددتها مجموعة من الكهنة ، ومن فيلة التى كان يفضلها الكهنة اصحاب المشاريع الكبيرة فى تلك الجزيرة .

على ان هذه التقاليد قـد استمسك بها لأن الـكهنة وجـدوا ان هـذا الاستمساك يعود عليهم بربح أكبر لأن هؤلاء المهتمين بعمليات الاحتيال والنصب القديمة قد يجدون فى استغلال كروفى وموفى بين صخور الجرانيت على الجانب الشرقى من جزيرة ايليفنتين لعبة شيقة على انهم ينبغى ان يتذكروا دواما أن كهنة فيلة كانوا يعتقدون او انهم على لأقل يؤكدون ، ان الموقع الحقيقى تحت صخور جزيرة بيجا ـ(Biga) ــ قبالة المعبد الصغير الذى يهتمون به ــ عمـلا بأسلوب الكهنة فى جميع العصور .

وهناك يبقى ماهو جدير بالمشاهدة فيما يتعلق بايلفنتين ، وهو المتحف الذى يحتوى على مجموعة كبيرة من الآثار التى عثر عليها فى المنطقة وكذلك مقياس النيل . أن متحف أسوان القريب من مكان التنزول الى البر ومن مقياس النيل ، يكون مفتوحا من الساعة التاسعة الى الساعة الرابعة ماعدا ايـام الجمعة والعطلات الرسمية ، ورسم الدخول هو خمسون قرشا .

وفى القاعة الداخلية عندما ندخل ذلك المتحف يمكن رؤية مومياءات الكباش المقدسة التى تمت الاشارة اليها . وتحتوى الغرفة رقم واحد التى يتم الوصول

اليها عن طريق الغرفة رقم ٢ ، على آثار ما قبل التاريخ واوانى فخارية سوداء حمراء القمم والواح اردواز ، ورؤوس سهام وخناجر من حجر الصوان . . الخ ، وتحتوى الغرفة رقم ٢ على آثار المملكة القديمة منها الأوانى والأدوات والأسلحة النحاسية . وتحتوى الغرفة رقم ٣ على آثار المملكة الوسطى والامبراطورية الجديدة ، أما الغرفة رقم ٤ فانها تحتوى على آثار من العصر البلطيمى والرومانى . وهذا المكان يستحق الزيارة عن جدارة لأنه يعطى فكرة عن المستوى المحلى للثقافة في العصور المختلفة لأسوان وايليفنتين .

ولعل مقياس النيل هو الشيء الأول الذى تبدأ به الزيارة لأنه يقع بالقرب من مكان النزول الى البر . ان هذا الجزء من الجزيرة تواجهه اسوار من الطوب فيها فتحة عند نهايتها التى تواجه اسوان تؤدى الى مقياس النيل . وثمة مجموعة من الدرجات تنحدر من مستوى المعبد الموجود بأعلى والتى كانت مرتبطة بالمقياس في العصور القديمة ، وكانت هذه الدرجات وكذلك الممر المؤدى من النهر مسقوفتين بالجرانيت ، أما باقى المبنى فانه — بنى من الحجر الرملى .

لقد اختفى السطح تماما واصبح الدرج كله الآن مكشوفا ولقد اعتاد كهنة المعبد وضع علامات عند مستويات الفيضانات وذلك على جدران الدرج ، ومع مرور الوقت اصبح المكان هو المقياس الرسمى الذى تم بموجبه وضع النظام الضرائبى المصرى ، كما يقول سترابو لنا : « كلما ازداد ارتفاع النيل كلما ارتفعت الضرائب » .

كان وضع العلامات يتم بالاغريقية والديموطيقية (أى اللغة الدارجة) ، ويبدو ان المقياس لم يسبق العصر الرومانى ، وان كان الفراعنة بالطبع لديهم مقاييس اخرى للنيل قبل ذلك بكثير . لقد اعيد اكتشاف المقياس الحالى فى عام ١٨٢٢ ، وابتدأ استعماله من جديد فى عام ١٨٧٠ ، والذى بدأ استعماله هو محمود بك ، الفلكى المصرى البارز . ان المقياس الحديث منقوش على لوحات من المرمر مثبتة على الجدار .

(سحيل ـ SEHEL)

تقع جزيرة سحيل جنوبى اسوان عند أسفل الشلال ، وهذه الجزيرة تستحق الزيارة والمشاهدة لا بسبب جمال مناظرها وسحرها ، وانما نتيجة للمخطوطات القديمة الكثيرة التى وجدت على صخورها . ومن بين هذه المخطوطات أكثر من ٢٥٠ مخطوطا التى تم ترقيمها اولا من قبل مسيو دى مورجان ثم من قبل السيد ويجال . والسواد الأعظم من هذه المخطوطات ليست بذات اهمية وان من المفيد ان يتجه انتباه الزائر الى المخطوطات التالية : ـ

فالمخطوط رقم ٨١ طويل ومنقوش على مستوى عال على الصخور عند الطرف الجنوبى ـ الشرقى للجزيرة فوق الشلال ، وهو يتعلق بتزوير بطليمى يستهدف فيه رواية كيف اصبح كهنة خنوم وايلفنتين يمتلكون مساحة الأرض المعروفة في العصور الاغريقية باسم « دوديكاشونيوى » أو « الأثنى عشر شونيويا » ـ الشونيو = حوالى ٧ر٥ ميل ـ ويقول المخطوط ان ميدير (Medir) ـ حاكم الجنوب ، قد تلقى رسالة من الفرعون زوسر ، الذى بنى الهرم المدرج ، جاء فيها ان القلب الملكى قد الم به الكرب والضيق بسبب الجوع الذى حدث نتيجة لعدم ارتفاع النيل لمدة سبعة اعوام .

« وانا ابلغكم بهذه الرسالة بالحزن الذى اصابنى وانا جالس على عرشى ، وكيف أن قلبى يعتصرة الألم بسبب الكارثة الكبرى التى حدثت لأن النيل لم يرتفع لمدة سبعة أعوام . ان هناك ندرة فى القمح ، وليست هناك خضراوات ولا طعام من اى نوع وان كل رجل راح يسرق من جاره .

ولايستطيع المستشارون عندى ان يسدوا الى نصحا ، وانه حينما تفتح الصوامع لا يخرج منها سوى الهواء ، وكل شيء أصبح خرابا فى خراب» . وبعد هذه الشكوى المريرة ، يسال الملك الحاكم ميدير عما اذا كان يعرف اين يرتفع النيل ومن أى اله ينبغى له أن ينشد المساعدة .

وقد اتجه الحاكم شمالا بمعلومات عن أن ارتفاع النيل يتحكم فيه خنوم اله ايليفنتين ، وعندئذ ذهب زوسر الى ايلفنتين واتجه بشكواه والتماسه الى خنوم . وقد انحنى الاله له — وابلغه انه كان غاضبا لأن معبده ترك بدون اصلاح ، ولكنه سيعفو ويصفح ويمنح محاصيل وافرة اذا عنى به . وعلى الفور ، أصدر زوسر مرسوما بمنح خنوم وكهنته ، الأراضي الواقعة جنوبى جزيرة سحيل حتى جزيرة تاكومبو — وهى منطقة يتراوح طولها بين ٨٠ و ٩٠ ميلا واصبحت تعرف فيما بعد باسم دوديكاشو نوا (Dodekaschoinoi) .

والى جانب ذلك سن قانونا يقضي بفرض ضريبة لصالح خنوم او كهنته على صيادى السمك والطيور وعلى جميع من كانوا يعيشون من انتاج النيل وعلى اصحاب مناجم الذهب وقائدى القوافل الذين يعودون عن طريق ايلفنتين من الصحراء .

وهذا الأمر يبدو مقنعا تماما ، بل ويمكن قبوله كتفسير حديث للمنحة الحقيقية التى قدمها الملك زوسر ، لو لم يكن لكهنة ايزيس فى فيلة مخطوط آخر مماثل يذكر ان زوسر قد خصص منحة مماثلة لهم والأمر كما ذكر ، نستطيع الاستنتاج منه ان مجموعتى الكهنة ليسوا سوى جماعة من المبالغين فى طلباتهم ، وان الأرض المذكورة لا تخص اى فئة منهما .

ولو انه كان هناك اى خيار بين مجموعتى خاطفى الأرض المقدسين ، فان دعوى مجموعة ايلفنتين هى المفضلة لأن عبادة خنوم في ايليفنتين اقدم من عبادة ايزيس فى فيلة .

وثمة مخطوطات هامة اخرى يمكن ان نشاهدها تتعلق بشق قناة (وربما تعميق وتسوية ممر) عبر الشلال . ولقد تم بالفعل انجاز هذا العمل كما رأينا من جانب يونى — (Uni) فى عهد الأسرة السادسة ، ولكن عدم استعمالها لمدة خمسة قرون قد جعل هذا العمل عديم الجدوى . ولذلك اضطر سنوسرت الثالث الى اعادة حفر الممر من جديد لأسطوله البحرى .

ويشير المخطوط رقم ٨٣ الى اعمال سنوسرت. حيث يرى الملك وهو واقف امام انوقيت — (Anuqet) — ، احدى الاهات الشلال ، ونقش تحتهما مايلى : « لقد جعلها كنصب لأنوقيت ، سيدة النوبة ، وشق قناة لها واسمها هو « جميلة هى طرق خاكويرى - (سنوسرت الثالث) حتى ، يعيش الى الأبد » .

ويلى ذلك المخطوط رقم ٨٦ وهو عن سنوسرت ايضا . ويظهر سنوسرت فيه امام ساتت — (Satet) — آلهة الشلال الأخرى فيما يقف وراءه كبير الخزانة وملاحظ الأشغال .

ويقول المخطوط : « السنة ٨ ، فى ظل جلالة ملك مصر العليا والسفلى : خاكويرى ، الذى يعيش الى الأبد . لقد أمر جلالته بحفر القناة من جديد ، واسم القناة : « جميلة هى طرق خاكويرى حتى يعيش الى الأبد » ، حينما تقدم جلالته يشق طريقه فى النهر للاطاحة بكوش التعس . ويبلغ طول هذه القناة ١٥٠ ذراعا وعرضها ٢٠ ذراعا وعمقها ١٥ ذراعا » (Breasted, Ancient Records, 1, 64289)

وبعد ذلك تتخطى فترة اخرى تقدر بأكثر من ثلاثة قرون ونأتى الى المخطوط رقم ٩١ الذى يروى لنا قصة القناة فى ظل حكم تحتمس الأول من الأسرة الثامنة عشرة : « السنة ٣ ، الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم ٢٢ ، فى ظل حكم جلالة ملك مصر العليا والسفلى ، او خبركيرى (تحتمس الأول) ، الذى منح الحياة .

وقد أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مملوءة بالحجارة حتى أنه لم تكن اى سفينة تستطيع ان تعبرها . وقد ابحر فيها ، وأنعم قلبه بالسرور بعد أن ذبح اعداءه . وابن الملك هو ثورى — (Thure) .

ويروى لنا المخطوط رقم ٩٢ نفس القصة : « السنة ٣ ، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم ٢٢ . ابحر جلالته فى هذه القناة بقوة وكان النصر يسير فى ركابه فى طريق عودته بعد الاطاحة بكوش التعس . واسم ابن الملك هو ثورى — (Breasted, op. cit. II, 75 — 6) .

واخيرا نسمع تحتمس الثالث ، الذى لا يطهر القناة فحسب ، وانما يقضي بالمحافظة عليها مستقبلا : « السنة ٥٠ الشهر الأول من الموسم الثالث ، اليوم ٢٢ ، فى ظل جلالة ملك مصر العليا والسفلى ، من خبيرى (تحتمس الثالث)، الذى منح الحياة ، حيث أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مملوءة بالحجارة حتى أنه لم تكن أى سفينة تستطيع العبور فيها ، لقد افعم قلبه بالسرور ، بعد أن ذبح أعداءه . واسم هذه القناة هو : « فتح هذا الطريق فى ظل جمال من خبيرى الخالد » . وعلى الصيادين فى ايلفنتين أن يطهروا هذه القناة كل سنة . (Breasted, op. cit. II, 649 — 50) .

وعلى الجانب الغربى للجزيرة ، بالقرب من قرية سحيل ، تقع خرائب معبدين ، احدهما من عمل الأسرة الثامنة عشرة وربما من عمل امنوفيس الثانى . وكان هـذا المعبـد مكرسا للآلهة انوقيت ، احدى الالهتين الاثنتين للشلال .

والمخطوط رقم ٢٩٠ عن ميرسو (Mersu) حارس معبد انوقيت لجزيرة سحيل ، والمخطوط رقم ٢٨٢ من نيبمة (Nebmeh) حارس معبد ختوم وساتيت لجزيرة سيحل ، ولذلك ، كان لآلهة الشلال الأخرى معبدا صغيرا لها في الجزيرة ، وان كانت الآلهة انوقيت لها معبد خاص بها ، وكان هذا المعبد هو الأعلى شأنا هنا . اما المعبد الثانى فهو من عمل بطليموس فيلوباتور تكريما لآلهة الشـلال .

(مدافن بارونات ايليفنتين)

تتسم هذه المدافن بالأهمية ، وتقع على منحدرات التلال التى تشكل ضفة النيل الغربية قبالة الطرف الشمالى لجزيرة ايليفنتين ، واهميتها تابعة من انها تتيح لنا معرفة بعض السجلات التاريخية وما كان يحدث فى هذا الركن القاصي من مصر القديمة فى عهود المملكة القديمة والوسطى .

وقد قام اللورد جرينفيل باكتشافها وفتحها سنة ١٨٨٥ — ١٨٨٦ . وهناك ممر قديم صغير يؤدى اليها حيث يبدأ من حافة الماء ، ويتألف من درج مزدوج مع منبسط مائل بين سلسلة الدرجات لرفع التوابيت الحجرية ، ويؤدى هذا الدرج الى مصطبة كبيرة تنفتح عليها التوابيت . ولكن الطريق القصير يمكن سلوكه بصورة أسهل من ممر يؤدى الى مكان الهبوط الى البر .

وانسب وقت لزيارة هذه المدافن هو بعد الظهر ، حيث يكون سفح التل عندئذ فى الظل . وينبغى حمل تذكرة الزيارة العامة ويقدر تكاليف العودة بالقارب جنيهان للفرد الواحد .

ان أول مدفن تنبغى زيارته هو مدفن ميخـو ، رقم ٢٥ ، وكان ميخو ، كما سنرى بعد لحظة حينما نبدأ فى التحدث عن مدفن ابنه سابينى ، قد لقى حتفه في احدى الحملات الخطرة الي افريقيا الاستوائية التى ليس لدينا سجل عنها سوى المخطوط المنقوش على واجهة مدافن المستكشفين الأوائل .

كان ميخـو (Mekhu) اميرا ، والمسجل الملكي والرفيق الوحيد والكاهن الشعائرى فى حكم بيبى الثانى منالأسرة السادسة (وهنه اهم القابه) .

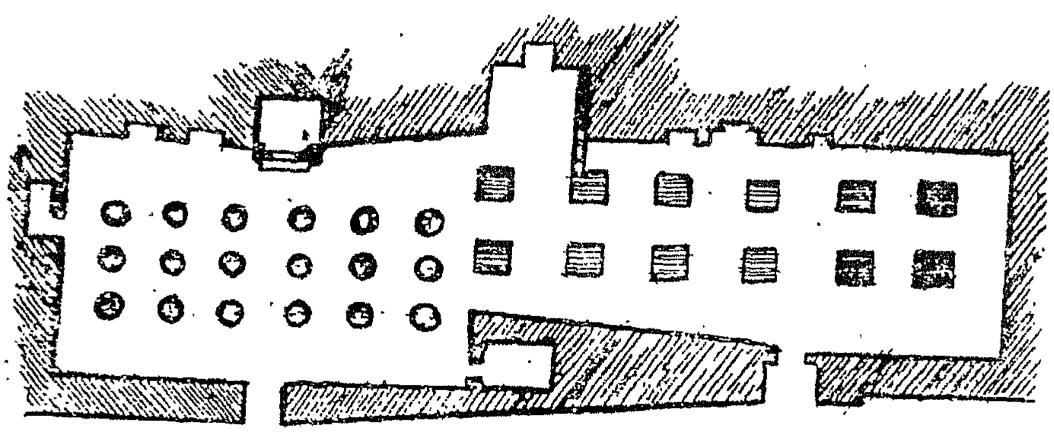
ومع أن مدفنه يعتبر من الناحية الفنية من الأعمال الفجة ، الا انها مؤثرة . فعلى الجانبالأيمن من البوابة حيث يرى الأمير ميخو مرتدياجلد فهد فوق تنورته (جونيلا) وبرفقته زوجته فيما يحمل اليه الخدم القرابين ، وعلى الجانب الأيسر يظهر فى صحبة رجل من اقاربه .

وندخل الآن قاعة المدفن ، وهى بمثابة « شقة » كئيبة يرتكز سقفها على (١٨) ثمانية عشر عمودا من الأعمدة المقطوعة بصورة خشنة ومرتبة في ثلاثة صفوف ومنقوش على بعضها مناظر لأشكال تتمثل لأشخاص ومخطوطات منقوشة . وهناك بين العمودين الثالث والرابع للصف الأوسط مذبح غريب على شكل خوان مكون من لوحة حجرية ترتكز على ثلاث لوحات حجرية اخري .

وثمة فجوة فى الجدار الخلفى لها باب وهمى (زائف) . تبدأ من عند درجات تنتهي الى المذبح وتحيطه جدران بمثابة ستائر حجرية . ومنقوش عليها صلاة الى أنوبيس واوزوريس على روح ميخو .

وتظهر الزخارف الوحيدة على يمين المدخل فى تناسق جميل حيث يستعرض ميخو القرابين التى تقدم له فيما تظهر الى الوراء مشاهد زراعية وحرث وحصاد القمح ونقله على ظهر الحمير .

ويلى هذا المدفن . مدفن سابينى ، ابن ميخو (رقم ٢٦) الذى له مدخل رائع ، احيط الآن بسور ، حتى ان الدخول الى هذا المدفن يتم عبر مدفن ميخو (والده) وينقسم المدخل الى قسمين بواسطة برطوم السقف المعترض وله مسلتان صغيرتان وأحواض للماء المقدس من الأمام ، وفي الداخل تقع القاعة التى لها اربعة عشر عمودا مربعا ، وهناك فوق المدخل المسدود نافذة مربعة مغلقة بشبكة حديدية (حديثة) وتظهر الزخرفة على جدار القاعة الخلفى حيث تتكون من مشاهد مألوفة قوامها صيد السمك وصيد الطيور فى مستنقعات من ورق البردى .



(شكل رقم ٥٥)

(مدفن سابينى وميخو فى اسوان ويلاحظ ان الدخول الى مدفن سابينى (الابن)

(يتم عبر مدفن ميخو والده)

ولكن الأهميـــة الرئيســـية لمدفن سابينى تتمثل فى قصة عن مخاطرته الكبرى التي امر بنحتها ونقشها على واجهة مدفنه · ولكن لسوء الطالع ، أتلفت تماما مقدمة القصة حيث تتألف من عدد من الأعمدة الحاملة للنقوش على شمال الباب ، وحتى فى الأعمدة التسعة عشر الحاملة للنقوش المنحوته على الجانب الأيمن والتى مازالت متبقية ، فيها شقوق كثيرة وثغرات وفجوات ، بينما بهتت النقوش والألوان كلها الى حد كبير . على ان دراسة دقيقة متأنية قد جعلتها ذات معنى جميل ، وتروى هذه القصة بطولة سابينى حول انقاذه جثة أبيه ، ويعنى فكرة الانقاذ حسب الاعتقاد المصرى ، عن تحنيط جثة الميت وحفظها من الفناء ، ويمكن تتبع هذه القصة بشوق وصعوبة كبيرة ·

ويحمل سابينى القابا عديدة منها الأمـير وحامل الختم الملكى وحاكم بلاد الجنوب والرفيق الوحيد والكاهن الشعائرى ، ويروى لنا سابينى اولا كيف ان اثنين من الناجين فى حملة ابيه وهما آنتف ـ (Intef) ـ قبطان السفينة وبنح ايسا · رئيس العمال ، وهما اللذان حملا اليه نبأ موت ميخو .

ثم يمضي قائلا : « لقد اخذت فرقة من مقاطعتى و ١٠٠ حمار محملة بالبراهم والعسل والملابس والزيوت لتقديمها هدايا الى أمراء بلدان الزنوج . وأوفدت اناسا كانوا في « باب الجنوب » وبعثت برسائل فيها معلومات تفيد بأننى خرجت لاحضار أبى من واوات واوتيت ـ (Utheth) .

والواضح ان حاكم الجنوب لم يكن يستطيع ان يترك مركزه ، حتى فى مثل هذه المهمة الدينية بدون احاطة الفرعون علما بنيته . وقد وجد سابينى جثة أبيه فى أفريقيا الوسطى ، موضوعة فى تابوت ثم حملها وبدأ رحلة العودة حريصا على ايفاد واحد من رجاله ، وهو « أيرى ـ (Iri) » التابع الملكى مع اثنين من الخدم الى بلاط الفرعون حاملين البخور والصمغ والمنسوجات المحلية ، وناب فيل طوله ثلاث ياردات ، مع ايعاز بأنه افضل ناب معه (مما جمعه والـده

المتوفى ؟) وناب آخر يبلغ طوله ستة ياردات وانه نجح فى استعادة جثة ميخو والده) ٠

ولما كان ايرى ، اخف من سيده في المسير ، فقد وصل الى البلاط فيما كان سابينى مازال يجد فى المضي شمالا ، وعاد بقارب محمل بمواد التحنيط التى تستعمل فى جنازة ميت من النبلاء ٠ مع رسالة شكر ملكية تقول : « اننى سأصنع لكم شيئا ممتازا جدا كمكافأة لهذا العمل العظيم . لأنكم أحضرتم أباكم - . »

وقد دفن سابينى والده : « لقد دفنت أبى هذا فى مدفنه فى المقبرة ، ولم يدفن أحد من مستواه هكذا قبل ذلك » ثم جاءت بعد ذلك وفى الوقت المناسب، جوائز الفرعون لخادمه المخلص منها المراهم والملابس والذهب المخصص للمديح والجرايات واللحم والطيور وقطعة من الأرض هبة له ٠

وتعتبر قصة سابينى فى جملتها واحدة من المع السجلات التى لدينا عن موقف العقل المصرى من الحياة بعد الموت وفكرة الخلود . ان سعى ابن لاستعادة جثة ابيه لدفنه بصورة كريمة مسالة لاتدعو الى الدهشة ، ولكن ان يعتبر فرعون مصر هذا العمل ذا قيمة عظيمة وبالغة الأهمية وهى انه انعم عليه بالجوائز والمديح تقديرا لهذا العمل العظيم وهو امر يقيم الدليل على التقدير والاحترام اللازمين للحفاظ على الجسد كشرط أساسي للخلود واحترام الأبناء لآبائهم . ويعتبر مدفن سابينى أكبر المدافن فى ايلفنتين ٠

ونمر الآن بمدافن عديدة غر منقوشة تغمرها الرمال ، ونصل الى المدفن رقم ٢٨ ، فهو مدفن مغلق وهو من الصغر بحيث يجعل دخوله امرا ليس باليسير، ولكن يمكن رؤيته من الخارج . وصاحبه يدعى حق ياب ــــ (Hegyeb) . الذى يحتمل أن يكون ابن أول الأثنين من السير ينبوتيين اللذين وجد مدفنهما هنا ، وان كان حجم مدفن حق ياب لايكاد يتفق مع روعة مرقد ابيه (المحتمل) ويمثل حق ياب ، الأب ، فى رسم زنجى له لمة مضفرة وبشرة سوداء .

ويرى على الجدار الشمالي للمدفن وهو يطلق سهاما ويرى على الجدار الجنوبي برفقة أصدقاؤه من الجنسين .

ويلي ذلك ، بعد المرور بمدافن أكثر غير منقوشة ، المدفن رقم ٣١ ، الذى ربما يعتبر اجمل المدافن وان لم يكن أكبرها ، من مدافن ايليفنتين . وهذا المدفن من إملاك سيرينبوت ، الذي كان اميرا ، ورفيقا وجيدا ورئيسا لكهنة خنوم وساتت وقائد قوات بوابة البلاد الجنوبية تحت حكم امنمحات الثانى من الأسرة الثانية عشرة .

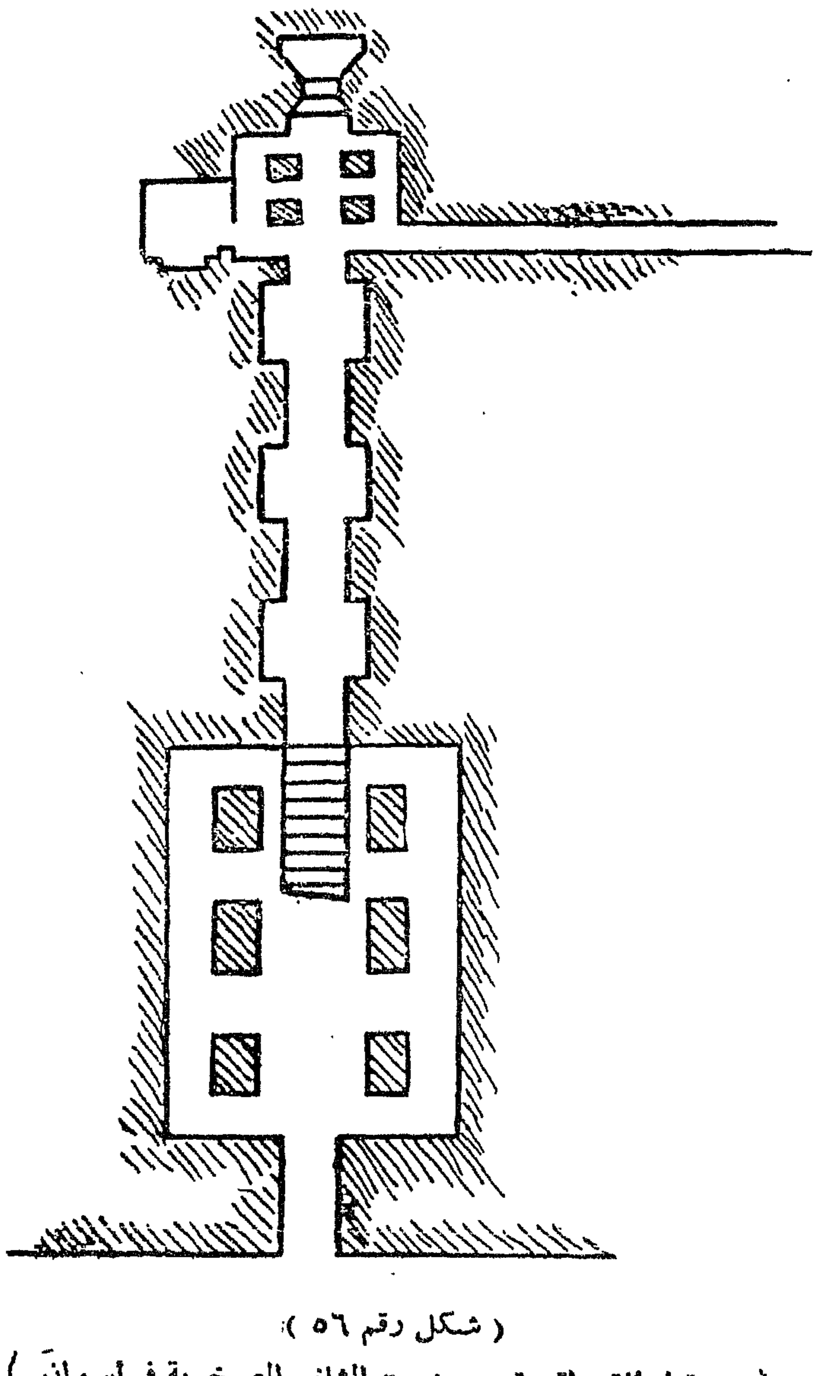
ويمكن ان يكون حفيد سيرينبوت ، الأمير الآخر الذي تقدم ذكره، وامة تدعى ساتت — حوتب — (Satet-Hotpe) — وفي مدفن سيرينبوت الأول ورد ذكر ابنة تسمى ساتت — حوتب . ولما كان سيرينبوت الأول قد عاش فى اثناء حكم سينوسرت الأول ، والثانى عاش فى عهد امن ام حات الثانى ، فان العلاقة طبيعية بالنسبة لتاريخ هؤلاء الفراعنة .

وهذا المدفن حيث يدخل المرء من فنـاء مقطوع فى واجهة التل ، الى قاعة خارجية عن طريق ممر ضيق ، ويرتكز سقف القاعة على ستة اعمدة . وعلى الجانب الأيمن من القاعة توجد مائدة جميلة من الجرانيت لتقديم القرابين مزخرفة بأسماء والقاب سيرينبوت أما الغرفة فانها خالية من النقوش . وهناك دهليز ضيق يؤدى من هذه القاعة الى القاعة الداخلية للمدفن .

وفى هذا الدهليز ثلاث مشكاوات على كل جانب تحتوى على تماثيـل سيرينبوت فى شـكل اوزيرى ، منحوت من الصـخر . وعلى يسار الفجـوة الأولى ترى رسم لوحة لسيرينبوت فى حالة جيدة حاملا العصا والهراوة ويرافقه ابنه وخلف الدهليز توجد القاعة الداخلية المرتكزة على اربعة اعمدة كل عمود منها عليه رسم منقوش لسيرينبوت .

وفي الجدار الخلفي من هذه القاعة تنفتح فجوة مطلية فى عناية بالستوك (معجون المرمر) . ويرى سيرينبوت على اليسار مع زوجته وابنه وعلى اليمين

ترى امه ساتت — حوتب جالسة امام مائدة للقرابين فيما يقف هو الى يمينها ، وعلى الجدار الخلفى للفجوة يرى جالسا على المائدة وابنه يقدم له الزهور ٠



(شكل رقم ٥٦)
(مسقط افقى لمقبرة سيرينبوت الثانى الصخرية في أسوان)

ان الصور الملونة جيدة النوعية ، وينبغى ايلاء عناية خاصة الى الكتابة الهيروغليفية التى نفذت بدقة بالغة .

ونأتى بعد ذلك الى المدفن رقم ٣٢ ، وهو لا ينطوى على اهمية ذات بال حيث يؤدى المدخل الى قاعة فيها ستة اعمدة ، ومن هذه القاعة ، كما هو الحال فى مدفن سيرينبوت ، هناك دهليز طويل يؤدى الى الغرفة الداخلية مع وجود محرابها فى الجدار الخلفى ٠ وفى المحراب صـــورة ملونة لصاحبه الذي يدعى آكو ـــــ (Aku) ويرى جالسا مع زوجته فى تكعيبة من دوالى العنب ، فيما يقوم ابنه بتقديم الطعام له ٠

ويلى ذلك مدفن خوى (Khuy) الذى تغطيه الرمال وللمدفن قاعة كبيرة بها اربعة اعمدة وفجوة بها محراب ٠ وكان خوى يحمل الألقاب العادية ويقال انه قام بحملات عديدة الى بلاد بونت ولذلك فانه يستحق مصيرا افضل من ذلك الأهمال ٠ وعلى مسافة قصيرة يقع مدفن آخر أنشئ بصورة سيئة ، واصبحت قاعته ذات الأعمدة الثمانية مفتوحة بسبب انهيار السقف .

وعلى الجدار الشرقى مناظر جميلة تبين صاحب المدفن جالسا الى مائدة كما يظهر فى مشاهد اخرى وهو يصطاد السمك والطيور ٠ وعلى الجدار الجنوبى مشاهد مشوهة وتالفة عن الحرف المختلفة كما يرى صاحب المدفن وزوجته جالسين امام مائدة القرابين .

وهذا المدفن لكاهن يسمى ما ـ(Ma) وزوجته آتحسن كاهنة الاله حاتحور وابنهما خونز (Khunes) الذى وصل الى رتبة الأمير ربما فى نهاية الأسرة السادسة ٠ وقد سمى المدفن باسمه .

وبعد أن نمر بثلاثة مدافن اصغر ، نصل الى ماهو اهم واروع وهـو مجموعة مخطوطات نادرة من اهم مخطوطات ايليفنتين كلها ، لا بسبب عظمتها ٠ ولكن لأن مخطوطاتها تعتبر من اهم الوثائق التاريخية المتبقية من المملكة القديمة

المتأخرة . على ان ذلك المدفن ذاته لاينطوى على اهمية كبيرة فهو يتألف من قاعة صغيرة واطئة لها أربعة اعمدة ، وممر منحدر للمدفن . وعلى الأعمدة نقوش باسم سابينى ، ويدعى أيضا بيبى – اونخ الذى كان يتقلد المراكز العادية كأحد باروناتات ايليفنتين .

واسم آخر لشخص يدعى زيما (Zema) ويسمى ايضا سنا الذى يحمل نفس اللقب ، كما يظهر اسم السيدة ديب منوفريت التى تسمى أيضا ديبا (Depa) —بيد ان المدفن هو فى الحقيقة لرجل يظهر اسمه فى المخطوط الخارجى وعلى لوحة المدفن الحجرية وهو – حرخوف ، الذى كان اميرا وكاهنا وحامل اختام الملك والرفيق الوحيد والكاهن الشعائرى وقائد القوافل بالاضافة الى كونه خادم الغرفة المنتمى الى نخن ورب نخب ولكن يظهر ان هذا المدفن قد اغتصب منه .

وليست بنا حاجة لكى تعوقنا الى خصائص ومنجزات الأمير حرخوف الأخرى حسبما هو مدون فى المخطوط الطويل الذى يزين واجهة مدفنه غير المهم نسبيا . فهو كغيره من جميع الأثرياء المحليين المصريين كان « يقدم الخبز للجوعى والملابس للعراة . وكان يحمل من ليس عنده قارب فى معديته عبر النهر » .

وكان يناشد السابلة أن يرددوا الصلاة الشعائرية العادية من أجل « الف رغيف خبز – وألف جرة جعة لصاحب هذا المدفن » ، وكان يقيم طلبه هذا على أساس أنه – فى حالة عودته – وبصفته كاهنا شعائريا سيقابل بدوره عملهم بالجميل فى العالم الآخر .

والى جانب ذلك اكد ، كما يفعل الجميع إنه « بالنسبة الى اى رجل يدخل هذا المدفن ويعتبره من املاكه ، سامسك به كطائر جارح ، وسيحاكم على ذلك امام الاله العظيم » – وهذا تهديد لم يعق مغتصبى المدافن من الاستيلاء على اى مدفن يعجبه متحديا بذلك اللعنة التى ستصيبه .

بيد ان أهمية مخطوط حيرخوف تبـدا حينما يبـادر الى التحدث عن مخـاطراته كقائد قافلة ، ويقـدم لنا سـجلا عن رحلاته الأربع الى افـريقيا الوسطى بهذه الطريقة فاولا أوفد بصحبته والده ايرى لكى يتعلم العمل تحت اشراف أبوى • « ان جلالة ميرنرى »؛ بسيدى ، اوفدنى مع ابى ، الرفيق الوحيد والكاهن الشعائرى ، ايرى ، الى ايام (Iam) لاسـتكشاف طريق الى هـذا البلد •

وقد قمت بذلك في سبعة أشهر فقط ، وجلبت معى جميع أنواع الهدايا والعطور من البلد المذكور . « لقد نلت ثناء جما على ذلك » • ونجده بعد ذلك يعمل فى طريق صحراوى من تلقاء نفسه : « لقد اوفدنى جلالته للمرة الثانية وحدى ، وقد سرت على طريق ايليفنتين ، وهبطت من آرثيت وميخر وتيريرس وارثيث ، وقد استغرقت الرحلة ثمانية اشهر .

وحينما عدت جلبت معى هدايا بكميات عظيمة جدا من هذه البلاد . ولم يحدث من قبل أن جلبت مثل هذه الكميات من هذه البلاد . كما لم يحدث أن استطاع اى رفيق او قائد قافلة ذهب الى ايام ان يفعل شيئا من هذا القبيل . » وحينما أوفد جلالته حيرخوف الذى لا يعرف الكلل للمرة الثالثة وجد زعيم ايام على وشك الـدخول فى حرب مع الليبيين فى الواحات •

لم يكن الصراع فى مصلحة مصر لأن التجارة ستتوقف ، وهكذا تعقب حيرخوف الزعيم المشاغب الذى بدا بالفعل يقتل شعب الواحة ، ونجح فى اقناعه بعقد الصلح واقرار السلم . ثم عاد حيرخوف ، صانع السلام الى الوطن مظفرا مع قافلة من ٣٠٠ من الحمير المحملة بالبخور والأبنـوس والحبـوب وجلد النمور والعاج وعصي الرماية وكل المعادن الطيبة » .

وكان الزعماء المحليون في البلدان التى كان يمر بها ينظرون بعيون شرهة الى قافلته ، ولكن زعيم ايام المعترف بالجميل ، الذى شكر الاله على حمايته

ن القتال ، قد بعث معه حراسة من محاربية الأقوياء مما جعل هؤلاء الزعم طلصون الى نتيجة هامة وهى انه من الأفضل ترك الغنيمة وشأنها .

« حينما راى زعيم آرتيت ، سيتو ، وواوات مـدى قوة وعدد جنود ايام لذين هبطوا معى الى الساحة وكذلك الجنود الذين ارسلوا معى ، عنـدئذ جاء لزعيم واعطاني ثيرانا وعددا من المواشي وسار بى نحو طريق مرتفعات آرثيت. لأننى كنت أكثر من ممتاز ويقظا من اى شخص آخر ، أو رفيق او قائد قافلة ارسل الى ايام من قبل » ويلاحظ أن حيرخوف لم يكن مثقلا بالاعتـدال أكثر من اى مسؤول مصرى آخـر وقد فهم انه اذا لم ينفخ بوقه فانه لن ينفخه له احـد .

ولكن اعظم نصر احرزه قد ادخر لحكم جديد ولرحلته الرابعة حينما نجح بالفعل في أن يأسر قزما حيا ويعود به وهذا القزم من قبيلة الأقزام الذين مازالوا يعيشون فى افريقيا الوسطى والذين اماط ستانلى اللثام عن وجودهم .

كان ذلك العصر فى عهد الملك بيبى الثانى الـذى كان حيرخوف قد قام برحلته بناء على أوامره ، وقد بلغ ذاك سن النضوج وهو ثمانية اعوام ، وقد ازدات فرحته وابتهـاجه اى مبلغ عندما سمع باللعبة الجديدة الكبيرة التى احضرها معه خادمه من ايلفنتين ، مما دفعة الى توجيه تقدير رسمى له ، لذلك امر بأن ترسل رسالة الى مواطنه المخلص صيغت بأسـلوب لم يستطع حيرخوف ازاءها ان ينكر على نفسه السرور والرضا بنقشها كلها فى مخطوط مدفنه ـ والتى ندين ببقائها الى الظروف الحسنة التى أبقت عليها لأنها تعتبر اهم وثيقة بشرية تاريخية تصل الينا من مصر القديمة .

وفيما يلى نص الرسالة :

« الختم الملكى ، السنة ٢ ، الشهر الثالث من الموسـم الأول ، اليوم ١٥ مرسوم ملكى الى الرفيق الوحيد ، والكاهن الشعائرى وقائد القافلة حيرخوف

«لقد اخذت علما بمسألة رسالتكم التى بعثت بها الى الملكووصلتالىالقصر حتى يتسنى له (الملك) ان يعرف انك عدت بالسلامة من « أيام » مع الجيش القوى الذى كان معك . لقد قلت فى رسالتك هذه أنك احضرت معك جميع الهدايا العظيمة والجميلة التى أعطتها حاتحور سيدة آمون الى « كا » التابع لملك مصر العليا والسفلى ، نفر كيرى (بيبى الثانى) الذى سيعيش الى أبـد الآبدين.

وقلت في رسالتك أنك أحضرت معك قزما راقصا للاله من بلاد الأشباح، مثل القزم الذى احضره بوردد كاتب خزانة الاله من بونت فى عهد ايزيس . لقدقلت لصاحبالجلالة مليكى : «لم يسبقلأحد زار ايام ان جلبمنها مثلماجلبت من خيراتها » وكل سنة تفعل ما يريده ربك وتشكره ، انك تقضي النهار والليل فى فعل كل ما يحبه ربك وتطيع كل ما يأمرك به .

ان صاحب الجلالة سينعم عليك بالتكريم حتى يكون وساما وزينة لابن ابنك الى الأبد ، وحتى يقول جميع الناس ، حينما يسمعون ان جلالة مليكى صنع لك هذا : « هـل هناك شيء مثل هذا الذى صـنع للرفيق الوحيـد ، حيرخوف ، حينما جاء من « ايام » ، بسبب اليقظة التى ابداها ، وان يفعـل ما يريده ويمتدحه ويأمر به ربه ؟ »

« تقدم شمالا الى البلاط فورا . انك ستجلب القزم معك ، الذى احضرته حيا يرزق ، رافلا بالنعيم والصحة ، من بلاد الأشباح ، من اجل رقصات الاله لاشاعة السرور والحبور فى قلب ملك مصر العليا والسفلى ، نفر كيرى والذى يعيش الى الأبد .

وحينما يذهب معك الى السفينة عين اناسا ممتازين . لـكى يـكونوا بالقرب منه على جانبى السفينة ، واحذر لئلا يسقط فى المـاء . وحينما ينام في الليل ، عين اناسا ممتازين ينامون بجانبه في الخيمة ، وفتش عليه عشر مرات في الليل . ان مليكى صاحب الجلالة شديد الرغبة فى رؤية هذا القزم

ومشاهدة الهدايا القيمة الواردة من سيناء وبونت . واذا وصلت الى البلاط أحضر هذا القزم معك حيا يرزق رافلا بالنعيم والصحة ، وان مليكى صاحب الجلالة سيفعل من اجلك أكثر مما فعل من أجل كاتب خزانة الاله بوردد ، فى زمن ايزيس ، وفقا لرغبة قلب مليكى فى رؤية هذا القزم .

« لقد صدرت الأوامر الى رئيس المدن الجديدة الرفيق والمعبود الأعلى ، لكى يأمر بأن تؤخذ الأقوات منه فى كل مدينة فيها مخازن ومن كل معبد، بدون أى تضييق فيه . (للاطلاع على نص المخطوط كله انظر : —
(Breasted, op. cit. 88, 325 — 35, 850 — 4)

ان هذه رسالة صبى حقا حيث لا تستطيع العبارات المطولة فيها ان تخفى شغف الفرعون الصبى الذى كان في الثامنة من العمر لرؤية القزم لعبته الجديدة. ويتساءل المرء عما كانت نهاية هذا الأمر ، وكيف استطاع القزم الصغير المسكين أن يتحمل تعرضه للتفتيش المستمر عشر مرات في الليل للاطمئنان عليه والتأكد من انه بصحة جيدة .

لم يسمع الملك الطفل بيبى قط عن امكانية قتل الأشياء المدللة بدافع من العطف . والواضح ان حيرخوف نجح في احضار صيده الى البلاط ، والا لما نقشت الرسالة مبعث الفخر على المدفن، ولكن المرء يعجب أيضا مما اذا كان بيبى قد وفي بوعوده التى بذلها بسخاء فيما كان القزم مازال منه بعيدا . ولم يوح مدفن حيرخوف بأنه فعل ذلك ، أو أن دور قائد القافلة ، مهما كان مشرفا ، يؤدى الى احرازه ثروة طائلة . انك تراه مستندا على عصاه على الجانب الأيمن من بوابة مدفنه فيما يؤرجح ابنه مبخرة أمامه — انه واحدا من الرجال القلائل الذين ينتمون الى ذلك العصر الفانى والذين نستطيع ان ندرك انهم ينبضون بالحياة. ويتنفسون الخلود من خلال اعمالهم الرائعة ، ولكنك تعجب ايضا ما اذا كان ذلك المدفن الصغير المهلهل كل ما فعله صاحبه طوال الأيام والليالى الشاقة العنيفة. التى قضاها فى قيادة القوافل يكون مصيره بذلك الشكل .

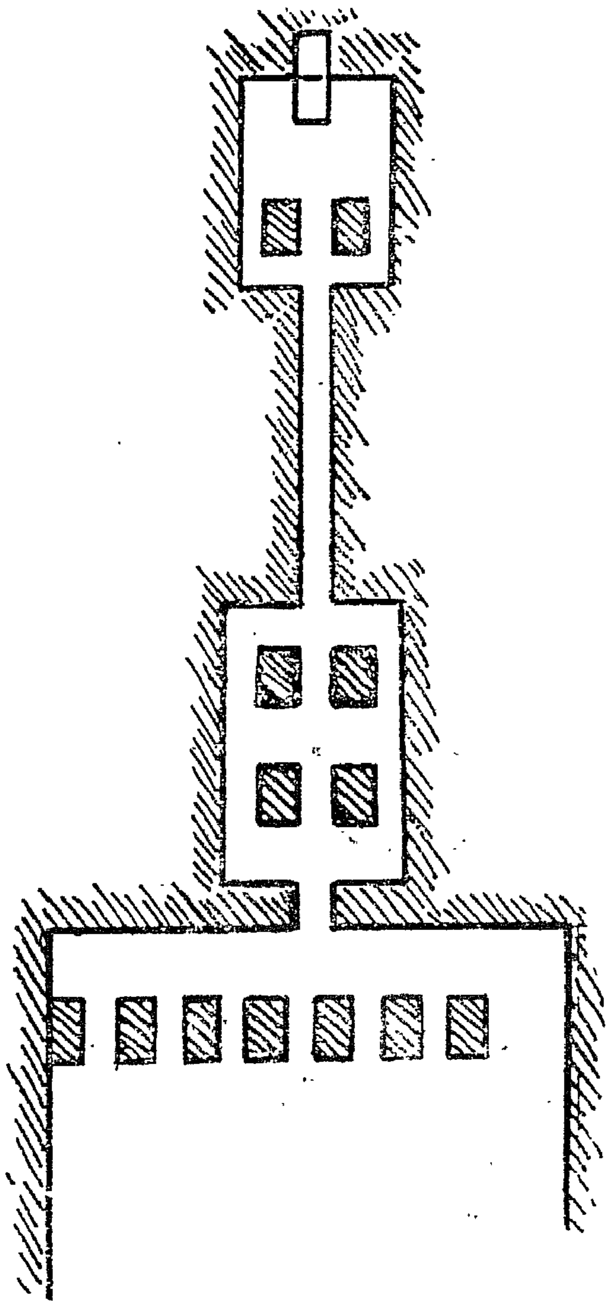
يلى ذلك المدفن رقم ٣٥ ، وهو صغير مغمور بالرمال، ولكنه ذو قيمة اثرية كبيرة، بسبب المخطوطات المنقوشة على جانبى البوابة . وهو مدفن بيبى - نخت الذى كان يحمل جميع الألقاب العادية لبارونات ايلفنتين،وقد اجتهد وسار على نهج الأمير حيرخوف فى حياته .

ومن الغريب ان اثنين من هـذه المخطوطـات الطويلة الثلاثة المتعلقة بنبلاء ايليفنتين عن المخاطرات التى قاموا بها ، يكرران حالات الموت العنيفة والمغامرات التى قام بها أقاربهم او زملائهم من الموظفين فى الخدمة الملكية . كما أن من الواضح ان منصب قائد القوافل في الأيام المضطربة للملكة القديمة كان بمثابة وظيفة بلا عمل يوازى مرتبها .

وكان الرجل الذىيتقلد هذا المنصب يصطحب زوجته معه حينما يطيع اوامر سيده . لقد سمعنا كيف هلك ميخو في الجنوب ، ويروى لنا بيبى - نخت كيف كان عليه ان يستنقذ الجسد ويثأر لموت « انن خت » . احـد قادة القوافل فى عهد بيبى الثانى .

يبدأ مخطوطه بالمزاعم العادية عن كونه نموذجا للفضيلة والعدالة ثم يصف بيبى - نخت كيف اوفده الملك لضرب قبيلتى ارثيت وواوات اللتين كادتا تتمردان وقد تم ذلك ، ولكن فى الوقت نفسه كان يوجد مسؤول آخر متخصص في الحملات البحرية،قد ألمت به مصيبه فقد أوفد «انن خت»،الذى كان الرفيق الوحيد وقائد البحارة وقائد القوافل ، الى ساحل البحر الأحمر لبناء سفينة هناك والابحار الى بونت .

وفيما كان منهمكا فى بناء السفينة ، هاجمه سكان الرمال كما كـان المصريون يصفون القبائل البدوية ، وقتلوه مع حراسه،لذلك كان من الضرورى، في حالة ميخو ، للمصلحة الأبدية للنبيل القتيل،استنقاذ الجسد وتحنيطه واجراء مراسم الدفن المناسبة ، وهكذا اوفد بيبى - نخت لاستنقاذ الجثة وتلقين سكان الرمال درسا قاسيا ولازما لاظهار قوة الفرعون وهيبته .



(شكل رقم ٥٧)
(مدفن سيرنبوت الاول الصخري باسوان)

ومن اقـواله :

« الآن . اوفدنى جلالة الملك الهى الى بلاد الآسيويين لكى احضر له جثة الرفيق الوحيد وقائد البحارة وقائد القوافل ، انن خت ، الذى كان يبنى سفينة للاتجاه بها الي بونت ، حينما انقض عليه الآسيويون المنتمون الي سكان الرمال وقتلوه ، مع جنود من الجيش الذين كانوا معه .

ولسوء الحظ أصاب بقية المخطوط تلف شديد ، واضطررنا الى اعادة تكوين صورتنا عن الحملة التأديبية من العدم : « وقد قتلت اشخاصا كثيرين ، انا ورجال الجيش الذين كانوا معي . » على اننا يمكن ان نفترض أن بيبى ـ نخت كان ناجحا في ادارة منصبه والا لما عمد الى تسجيل عمله فى مخطوط مدفنه . وهذا هو آخر المدافن التي تعطينا لمحة جميلة ورائعة عن بعض جوانب الحياة في المملكة القديمة الحافلة بالنشاط والحيوية والعمل والبطولة .

وبعد المدفن رقم ٣٥ . هناك مدفن آخر له رواق يستند على عمودين . ويخص هذا المدفن رجلا يدعي سن موزا يبدو انه عاش بعد نبلاء المملكة الوسطى الذين وجدت مدافنهم هنا . ويدعو المخطوط المنقوش على احد العمودين الأحياء لكى « يصلوا ترحما على روح سن موزا » .

وللقاعة اربعة اعمدة ولوحة حجرية تكرر اسم سن موزا . وبعد أن نمر بمدفنين غير منقوشين ، نصل الى المدفن رقم ٣٦ وهو مدفن سيرنبوت الأول . وهو جد سيرنبوت الثانى ، الذى زرنا مدفنه بالفعل .

عاش سيرنبوت اثناء حكم سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة وان السمة البارزة لهذا المدفن تدل على أنه كان شخصية بارزة محلية لها اهميتها ونفوذها . ويتم الوصول الى هذا المدفن من فناء فسيح ، له باب من الحجر الجيرى الأبيض الدقيق . وعلى جانبى البوابة يرى سيرنبوت جالسا حاملا عصاه وهراوته .

وكان الفناء فى الأصل محاطا برواق اختفى سقفه وتهدم ولكن أعمدته الستة التى كانت تسنده مازالت قائمة . وعليها نقوش ورسومات لشكل سيرنبوت

ويشاهد « القابه : الأمير الوراثى والمشرف على كهنة خنوم وساتت أمير النوبة السفلى ، وحاكم اراضي الجنوب ، والمسجل الملكى والمرافق الوحيد .

وهناك عند كل طرف من هذا الرواق . فجوة مع رسومات لسيرنبوت وزوجته ، وعلى واجهة المدفن مشاهد من نفس النمط . ويذهب سيرنبوت لصيد السمك والطيور في زورقه ترافقه زوجته فيما تجلس بطة اليفة على مقدمة الزورق كشرك او طعم ، كما يرافقة ابنه فى موضع المجذاف ، ويرى سيرنبوت واضعا ذراعه على ابنه .

وفوق هذا المشهد مشهد آخر يظهر فيه سيرنبوت يتفقد ماشيته استعدادا لمهرجان الآلهة في ايلفنتين ، وبجانب هذا المشهد يرى سيرنبوت وخادمه تتبعهما الكلاب . وعلى اليمين ومن الجهة اليسرى يشاهد على البوابة رسم كبير لسيرنبوت يتبعه رجل حاملا قوسا وعصا ، ويرافقه كلب آخر . ثم نرى سيرنبوت جالسا تحت سرادق فيما تقف أربع نسوة أمامه تحمل كل واحدة منهن زهرة .

وقد عرفهن المخطوط : الأولى زوجته « المفضلة عنده التى تجلس على عرش قلبه ، واسمها(ست — ذن)، ثم تليها امه التى تحمل نفس الاسم وهو (ست — ذن) فابنته(ساتت — حوتب)التى ، كما راينا ، قد تكون أم سيرنبوت الثاني واخيرا ابنته الثانية (ست — ذن). أن فقر التسمية واضح وجلى ويتكرر فى صورة أبناء سيرنبوت التى تظهر تحت . فالابن الأول هو الأمير حق ياب الذى ولد للسيدة(ست — ذن)، والثانى يسمى(حق ياب — حريب) والثالث حق(ياب وار). ويعقب ذلك مشهد لبنت وولدين . ربما ينشدون انشودة دينية .

وبعد أن نمر من البوابة ندخل قاعة لمقبرة أخرى لها اربعة اعمدة مزخرفة برسومات لأشخاص بالمداد على السنوك (معجون الجرانيت) .وقد

اصابها من التلف ما يصعب تبيان الكثير منها ، على أنها تبدو للمشاهد كأنها من النوع المألوف . وبعد ذلك نمر فى ممر طويل ذى سقف معقود النهاية الى القاعة الداخلية ذات العمودين ولها مزار ومشكاة .

والمقبرة التالية احدث عهدا من تلك التى استعرضناها ، لأنها تنتمى الى الجزء الثانى من الامبراطورية الجديدة . ولقد اكتشفها في عام ١٩٠٢ الدكتور هوارد كارتر والليدى وليم سيسيل ، وهى (تخص كا — كيم — كيو) كبير كهنة خنوم ، وساتت وانوكيت ، ولفنائها رواق دمر الآن تماما مع رسوماتها ذات الألوان الجميلة التى لم تستكمل قط .



(شكل رقم ٥٨)

(وزن القلب في ساحة قضاء أوزوريس — انوبيس وحورس يقدمان المتوفى الى)
(اوزوريس جحوتى و (توت) يسجل نتيجة وزن القلب مع رمز الحق)

وعلى الحائط الجنوبي (الأيسر) . وعند الطرف الغربى ، يوجد مشهد مدمر جزئيا يبين (كا — كيم — كيو) واقفا بين آلهتين مرتديتين ملابس حمراء اللون . وعند الطرف الجنوبى للجدار الخلفي يظهر اسطول جنائزى صغير عند الشاطىء الغربى . وعلى سفينة القيادة مزار رائع عليه رسومات بالألوان (لايزيس ونب ثيس) تبكيان وتبتهلان للآلهة .

وعند الطرف الآخر لهذا الجدار ، (يرى كا — كيم — كيو) راكعا امام العجل حاتحور الذى يظهر من الجبل الغربى ، وفوق هذا المشهد ظل باهت

لمشهد عن عملية وزن القلب . وعلى الجدار الشـمالي (الأيمن) يصلى(كا - كيم كيو) امام خنوم والآلهة الأخرى . وعلى الجدار الشرقى يشاهد كاهن آخر يسند مومياءه فيما تندب زوجته امام المومياء .

ندخل الآن الى المقبرة الحقيقية المنخفضة الى حد ينبغى أن نتوخى الحذر للحفاظ على اللوحات الرائعة وحمايتها من التلف ، وسقف هذه المقبرة مزخرف زخرفة جميلة . وبالقرب من الباب خنفساء (جعل) كبيرة الحجم زرقاء اللون تسند قرص الشمس وتتعبد امامها قردة خضراء وترى فى وسط السقف مجموعات من الحمام الأزرق والأبيض والبط البرى فى خلفية صفراء جميلة اللون .

اما الجزء المتبقى من السقف ، فهو مزخرف بنماذج هندسية جميلة تفصل بينها شرائط عليها كتابة هيروغليفية حيث تتكرر صلوات للآلهة المختلفة ترحما على روح(كا - كيم - كيو) .

وهناك فجوة فى نهاية الغرفة ربما كانت فى الماضي تحتوى على تمثال كبير للكهنة او لوحة حجرية . اما باقى الغرفة فهو خلو من الزخرفة اللهم سوى احـد الأعمدة الذى نقشت عليه رسومات تبين(كا - كيم - كيو) امام اوزوريس وايزيس . وفي ذلك المكان المقدس الذى له سحر مدهش فان جميع هذه المدافن فى الواقع تستحق الزيارة والتأمل والاستغراق في الماضي كانه حلم جميل .

ولكن يجب على الزائر في نهاية رحلته لهذه المنطقة ان لا ينسي الصعود الى قمة الصخرة المتوجة بقبة الهواء ، وهذه القبة ضريح لأحد الشيوخ ، حيث يستطيع الزائر من فوقها ان يمتع ناظريه بمنظر بالغ الروعة والجمال .

على أنه ينبغى ايلاءالإنتباه الى انتهاز فرصة وجود الطريق الجنوبى العظيم الذى يمكن الوصول اليه من نقطة على الجانب الجنوبى من الوادى

المؤدى الى دير سانت سيميون حيث يمر الطريق بالقرب من صخرة ظاهرة قريبة من ضريح شيخ آخر ، وهذه الأضرحة مزار مقدس لبعض أولياء الله الصالحون . كما تحمل هذه الصخرة عددا من أسماء بعض الفراعنة المسؤولين الذين كانوا متجهين جنوبا او شمالا على هذا الطريق فى الفترة بين الأسرتين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين،على أن هذا الطريق اقدم بكثير مما توحي به المخطوطات ، وليس ثمة شك في ان فراعنة وامراء وبارونات المملكة القديمة القدماء الذين كنا لتونا نقرأ سجلاتهم . قد مروا على هذا الطريق على طول الزمان في رحلاتهم وحملاتهم واستكشافاتهم الخطرة الى النوبة والسودان .

* * *

انتهى الجزء الرابع من الآثار المصرية فى وادى النيل ويليه

الجـزء الخامس والأخير واهـم موضـوعاته

معبد فيلة – معبـد كلابشة – بيت الوالى – معبد دندور – **كوروسكو** – جرف حسين – معبد الدكة – معبد المحرقة – معبد السبوع – **معبد الدر** – قلعة قصر ابريم – معبد ابو سـمبل – قلعة بوهن – قلعة سمنه **شرق** – **قلعة** سمنه غرب – نباتا – جبل برقل – مروى – كشك تراجان – **معبد دابود** – **معبد تافا** – **معبد قرطاسي** – قلعـة كوبان – معبد عمدا – **معبد ابو عودة** .

فهرست الصــور والأشكال

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

★ ★ ★

فهرست الموضـــوعات

رقم الصفحة

الفصل الثانى والثلاثون :

الفصل الثالث والثلاثون :

رقم الصفحة

★ ★ ★

رقم الايداع ٥٩٧٣٠ / ١٩٨٦

مطابع الدجوى ـ القاهرة ـ عابدين

« تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس »